هـــذه المجـــلة

■ رئيس التحرير

ان ظهور مجلة أدبية على مستوى عصرى جاد حدث أدبى جليل ينبغى أن يقابل بكثير من التفاؤل والترحاب ؛ فللمجلات الأدبية فى مصر وسائر أقطار الوطن العربى تاريخ طويل حافل بالعطاء الأدبى والفكرى الخلاق ، والاسهام فى مجـــال التطور الحضارى الحديث حتى لقد ظل بعض هذه المجلات ـ بما قامت به من دور فعال فى هذا السبيل ـ علامات مميزة على طريق نهضتنا الحديثة فى بعض مراحلها ٠

وهذه هى مجلة « ابداع » تبدأ أولى خطواتها على ذلك الطريق ، راجية أن يجد القارىء بين صفحاتها ما يتطلع اليه من ثمار الأدب والفكر ، وما يعبر عن روح العصر الذى يعيش فيه ، من خلال الشعر والقصة والمسرح وغيرها من فنون القول ٠ وهى ـ اذ تنضم الى غيرها من المجلات الأدبية فى مصر والوطن العربى ـ تأمل أن تسهم معها فى أداء رسالتها ، وأن يكون لها مع ذلك صوت ملحوظ ٠

وغاية المجلة ـ كما يدل اسمها ـ أن تقدم لقارئها نماذج مختارة من الابداع العربى فى فنون القول ، وشيئا من الفن التشـكيلى ، مع بعض المقالات فى الأدب والنقد ومتابعات للكتب والقضايا والأخبار الأدبية والفنية ٠ وتفسح المجلة المجـال أمام شباب الأدباء ليصلوا بثمار ابداعهم الى أوسع دائرة من القراء ، ولتظهر أعمالهم جنبا الى جنب مع كبار الأدباء والنقاد وأصحاب الفكر ٠ ومن الميزات المعروفة للمجلة الأدبية أنها تصل بين الكاتب والقارىء فى دورة زمنية منتظمة ، وتتسع صفحاتهـا لكثير من المذاهب والاتجاهات وتقدم صورة شـاملة لما فى الحياة الأدبية فى عصرهـا من صور التناقض والتناسق ، والمحافظة والتجديد ، على أمل أن يسفر اللقـــاء والمواجهة والجدل عن تفاعل حى يصهر تلك العناصر ويحيلها فى النهاية الى كيــان أقرب الى التجانس والحداثة والأصالة ٠

ولابد لأية مجلة تريد أن تصل الى هذه الغاية من أن تتخذ لنفسها معيارا تختار بمقتضـاه ما تقدمه الى قارئهـا ، وترتبط به بين ما قد يكون من تناقض فى مذاهب الابداع ووجوه الرأى ٠ ومجلة « ابداع » ترجو أن يكون معيارها الأول لما تختاره الجودة والابتكار والحداثة ٠ ولا شك أن هذه الصفات الثلاث ليست ذات مدلول واضح محدد لدى كل قارئى الأدب ، لكن القارىء البصير بتراث أمته وبروح عصره وقضاياه ومذاهبه يستطيع بالنظرة الموضوعية المنزهة عن سيطرة الآراء الشخصية الخاصة أن يصل الى « تصور » عام لما تنطوى عليه تلك الصفات من قيم فى طبيعة التجربة الأدبية وصورتها الفنية ، ثم يكون القارىء فى النهاية هو الحكم على صحة هذا التصـور أو خطئه ، وعلى نزاهته أو انحيازه ٠

على أن صفة الحداثة ـ أو المعاصرة ـ من بين تلك الصفات الثلاث كثيرا ما تثير جدلا شديدا حول مفهومها بين المحافظين والمجددين من الأدباء والنقاد ، وبخاصة اذا

اقترنت بصفة « الأصالة » التي يراد بها ارتباط العمل الادبي بالتقاليد والقيم الفنية الموروثة في مجال الابداع الأدبي • ويدور الجدل في الأغلب حول ما ينبغي أن يتحقق في العمل الأدبي من توازن بين هذين الجانبين ، وهو جدل لابد لأية مجلة أدبية جديدة في الوطن العربي من أن تواجهه وأن يكون لها رأي سابق فيه تهتدي به الى منهج واضح فيما تختار وما تقدم •

ولا جدال في أن أية أمة في أي عصر لا تستطيع أن تعيش منبتة الجذور عن ماضيها أو أن تتنكر لتراثها ، فالماضي والتراث يتسربان الى العمل الأدبي المعاصر بطريقة أو بأخرى ، على اختلاف في الدرجة والظهور والخفاء ـ على وعي من المبدع أو عن غير وعي • لكن أغلبنا يتوجس خيفة من كل جديد ويخشى أن يكون عدوانا على القديم وانسلاخا عن القيم « الثابتة » الموروثة • والحق أن ثبات القيم وصلاحها ـ في جملتها ـ لكل زمان ومكان في الأدب والفن شيء يخالف طبيعة التطور الحضاري والتغير الدائم في المجتمع في الفكر والوجدان البشري • والماضي كان في يوم من الأيام « حاضر » أمة بكل ما يكون في الحاضر من محاسن ومساويء وما في ابداعه الأدبي والفني من جيد ورديء وروائع وسواقط ، وما في بعض آثاره من قدرة على البقاء ، وما في بعضها من عجز أمام مرور الزمن وتغير الأحوال • وتقديس التراث الأدبي في جملته واتخاذ أشكاله وقيمه الفنية معيارا لصحة التجديد وصلاح « المعاصرة » خطأ نقع كثيرا فيه فيحيل لدينا ما ينبغي أن يكون حوارا فكريا مثمرا قائما على فهم واع لطبيعة العصر ومقتضياته الى جدل حاد عقيم بين طرفين متنافرين لا سبيل بينهما الى اللقاء •

والحكم دائما على الجديد بمقدار موافقته أو مخالفته للقديم يغل طاقة المبدعين ، ويعوق خطوات التجديد ، ويحول دون أن يتلقى الناس الابداع المعاصر بالقبول ، اذ يضعه موضع الشك والريبة • وهو ـ الى جانب هذا ـ حكم بعيد عن منطق الأشياء فمادام الجديد « جديدا » فانه لابد أن يختلف بالضرورة عن القديم ، وان انطوى بالضرورة أيضا على امتداد له • ولاشيء يمكن أن يرسم حدودا لهذا الاختلاف ـ سواء كان في موقف الأديب من الحياة والمجتمع ، أو فيما يتخذ لابداعه من أشكال ـ سوى موهبة الأديب وفكره وثقافته وطبيعة رؤيته لعصره ، ثم قبول الناس أو رفضهم لما يقدم اليهم من ابداع ، قبولا ورفضا يقومان على ما قد يجدون فيه من مواقف ورؤية وقيم تعكس طبيعة العصر الذي يعيشون فيه ، لا على مجرد الخلاف بين ذلك الجديد ، والتراث القديم • « وكل قديم كان جديدا في عصره » كما يقول الناقد العربي القديم منذ أكثر من ألف عام ! كل قديم كان ـ في وقت ما ـ جديدا يشك الناس في أمره ويتلقونه بكثير أو قليل من الحذر الى أن يثبت أصالته وجدارته بالحياة وقدرته على

التعبير عن روح العصر ، فيصبح « قديما » راسخا يقيسون اليه ما يأتى بعد من جديد .

والمعركة بين القديم والجديد امتحان لكل جديد وتمحيص له لكنها لا ينبغى ان تدور فى جوهرها حول الكشف عما قد يكون فيه من امتداد لقيم القديم وتقاليده الموروثة أو ما يتضمن من انقطاع عن تلك القيم والتقاليد ؛ بل ينبغى أن يكون مدارها حول طبيعة الجديد « فى ذاته » ، وهل نشأ من حاجة حقه اليه ، وهل أرضى تلك الحاجة بما أبدع .

على أن التطور الحضارى الحديث فى أقطار الوطن العربى عامة وفى جوانب كل قطر من هذه الأقطار لا يسير بخطى متساوية فى كل مكان وبين كل الناس ومازال التفاوت فى التعليم والثقافة والمدنية يتيح لبعض القديم وبعض الجديد أن «يتعايشا» وان يجد كلاهما من ملتقى الأدب والفن من يرضون عنه ويجدون فيه متاعا لوجدانهم وغذاء لأفكارهم . لكن مثل هذا القديم لا ينبغى أن يكون موغلا فى التقليد بعيدا عن العصر الحديث ، والجديد لابد ـ فى معظمه ـ أن يراعى طبيعة المجتمع ومرحلته الحضارية ، فلا يكون كله « طليعيا » ينشد الجدة وان أدى ذلك الى قيام القطيعة بينه وبين الناس .

والحق ان هذه هى ـ فى رأيى ـ القضية الأولى لأدبنا فى هذه الأيام ، فى الشعر والقصة القصيرة وبعض المسرحيات ، وان كانت أكثر حدة فى الشعر بوجه خاص . أما الشعر الذى يجرى على الطريقة القديمة فكثير منه مسرف فى التقليد وهو صورة شاحبة لتراثنا من الشعر القديم لا يكاد ينتسب اليه الا فى الشكل والأنماط التعبيرية المحفوظة ، والشكل وحده لا يصنع الجيد من الشعر ما دام خاليا من الابداع و « التراكيب » الفنية المبتكرة والايقاع العصرى الجديد .

وأما الشعر الجديد فقد جنح فى السنوات الأخيرة الى ضروب من « الحذلقة » والغموض المغلق والتفلسف الظاهرى ، والخضوع فى العبارة الشعرية لمجرد تداعى المعانى والألفاظ ، ففقد فى كثير من نماذجه الوهج والتوتر الشعرى ، وبالغ فى النثرية المقصودة وأكثر من استخدام الرخص العروضية واستحدث لنفسه رخصا خاصة ، حتى أصبح المتلقى لا يكاد يدرك سلامة موسيقاه فى بعض الأحيان الا بعد كثير من النظر والجهد ، وانحصرت أوزانه ـ فى الأغلب ـ فى بحرين اثنين من بحور الشعر العربى الكثيرة ، هما المتدارك والمتقارب متداخلين معا فى كثير من القصائد .

وليس الغموض عيبا فى ذاته اذا كان قائما على « فلسفة » فنية واضحة المعالم والغايات عند الشاعر ، وكان على قدر من « الشفافية » والقدرة على الايحاء ، نابعا

من طبيعة التجربة الشعرية لشاعر مسيطر على اللغة عليم بأسرارها وامكاناتها . غير أن كثيرا من نماذج تلك النزعة الغالبة تكاد تكون صورا مكررة يحتذى بعضها بعضا ، ويدور أصحابها فى دائرة مغلقة فى الموقف والفن ، مقلدين فى هذا عددا قليلا من كبار الشعراء فى الوطن العربى ممن رادوا هذا الاتجاه عن وعى وقدرة .

واذا كان من حق الشاعر أن يرود آفاقا فنية جديدة ويتطلع الى رؤية «مستقبلية» خاصه فان من حق المتلقين فى كل عصر أن يجدوا فى اغلب نماذج الابداع فى عصرهم صورة فنية لحياتهم ، ولا باس بعد هذا من أن يكون لدى بعض الشعراء والادباء اتجاهات فرعية خاصة تبشر ببعض المذاهب الجديدة التىقد يقدر لها أن تسود فى مرحلة تالية . وبدون هذا التواصل بين الأديب وأبناء عصره من المثقفين تقوم قطيعة بين الأدب والمتلقى ويصبح الأدب مجرد تجربة ذاتية لا غاية لها الا التعبير عن مشاعر المبدع وفكره وحده . ومهما يكن من أمر الأديب واستغراقه فى لحظة الابداع فانه فى النهاية يهدف الى أن يصل صوته الى الناس ويؤثر أدبه فى الحياة والمجتمع . وفى يقينى أن الشعر العربى الجديد يعانى الان هذه القطيعة ، وتضيق دائرة متلقيه يوما بعد يوم ، ولا سبيل له من الخروج من عزلته الا بالعودة الى الاصالة الذاتية المتميزة التى تختار أسلوبها من طبيعة موهبة الشاعر وثقافته وفلسفته الخاصة ، ولا تنساق وراء اتجاه بعينه لمجرد المحاكاة أو الرغبة المقصودة فى « التعمق والتفلسف » توهما أن هذا هو طابع العصر !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد يقال مثل هذا – على اختلاف فى الطبيعة والدرجة – عن كثير من نماذج القصة القصيرة ، وبعض مسرحيات الفصل الواحد ، ذات النزعة التجريدية او الذهنية المسرفة .

والأمر بعد ذلك – فى الحكم على هذه النزعات الجديدة – راجع الى المتلقين والنقاد ممن لا يتوجسون خيفة من كل جديد ولا يقيسونه دائما الى القديم ، ويعون حكمة الزمن واختلاف الأجيال . ولا شك أن من بين هذه النزعات ما هو أصيل ومبدع وجدير بالتشجيع وقادر على البقاء . وصفحات « ابداع » مفتوحة لكل المبدعين فى الوطن العربى فى كل الأشكال الأدبية – قديمها وحديثها – ما دامت تتسم كما ذكرت بالجودة والابتكار والمعاصرة . وهى ترحب بالتجارب المخلصة الجادة لدى الشباب بوجه خاص ، على أمل أن تمحص التجربة والممارسة وموقف القراء والنقاد قيمة هذه التجارب .

والله ولى التوفيق ؟

عبد القادر القط

الخيول

أمل دنقل

(١)

الفتوحات – في الأرض – مكتوبة بدماء
الخيول .

وحدود الممالكْ
رسمتها السنابكْ .

والركابان : ميزان عدل يميل مع السيف ..
حيث يميل !

* * *

أركضي أو قفي الآن .. أيتها الخيلُ :
لستِ المغيراتِ صبحا
ولا العاديات – كما قيلَ – ضَبحا
ولا خُضرةٌ في طريقك تُمحى
ولا طفلَ أضحى
إذا ما مررتِ به .. يتنحّى !
وهاهي كوكبة الحرس الملكي ..
تجاهد أن تبعث الروح في جسد الذكرياتِ
بدق الطبول !

اركضي كالسلاحفِ ..
نحو زوايا المتاحفِ ..

* * *

صيري تماثيل من حجر في الميادين ،
صيري أراجيح من خشب للصغار –
الرياحين ،
صيري فوارس حلوى بموسمك النبويّ ؛
وللصبية الفقراء : حصانًا من الطين
صيري رسومًا .. ووشمًا
تجف الخطوط به
مثلما جف – في رئتيك – الصهيل !

(٢)

كانت الخيل – في البدء – كالناسِ ..
بريةً تتراكض عبر السهولْ .
كانت الخيل كالناس في البدء ..
تمتلك الشمس والعشب والملكوت الظليلْ
ظَهرُها لم يُوطَّأْ لكي يركبَ القادة الفاتحونَ ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يلن الجسدُ الحرُّ تحت سياط المروض
والفمُ لم يمتثل للجــام ،
ولم يكن الزادُ . . بالكادِ ،
لم تكن الساقُ مشكولةً ،
والحوافر لم يكُ يثقلها السنبكُ المعدنيّ
الصقيل .

كانت الخيلُ بريةً
تتنفس حريــةً
مثلما يتنفسها الناسُ في ذلك الزمن الذهبي
النبيل .

* * *

اركضي .. أو قفي
زمن يتقاطعُ ،
واخترت أن تذهبي في الطريقِ الذى
يتراجعُ ،

تنحــدر الشمسُ ،
ينحــدر الأمسُ ،
تنحدر الطرق الجبليةُ للهوة اللانهائيةِ :
الشهبُ المتفحمةُ
الذكرياتُ التى أشهرت شوكها
كالقنافذ ،
والذكرياتُ التى سلخ الخوف بشرتها ،
كلُّ نهر يحاول أن يلمس القاعَ ،
كل الينابيع إن لمستْ جدولاً من جداولها
.. تختفى .

وهى .. لاتكتفى !
فاركُضى أو قفى
كل درب يقودك من مستحيل إلى مستحيل !

(٣)

الخيول بساط على الريح ..

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

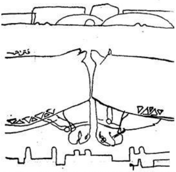

سار – على متنه – الناس للناس عبر
المكانْ .

والخيول جدار به انقسم الناس صنفينِ :
صاروا مشاةً .. وركبانْ .

والخيول التى انحدرت نحو هوة نسيانها
حملت معها جيل فرسانها
تركت خلفها : دمعة الندم الأبدى ،

وأشباح خيلٍ
وأشباه فرسانْ .

ومشاةً يسيرون – حتى النهاية – تحت
ظلال الهوانْ .

اركضى للقــرار
واركضى أو قفى فى طريق الفــرار .
تتساوى محصلةُ الركضِ والرفضِ فى
الأرضِ ، ..

ماذا تبقى لك الآن ؟
مــاذا ؟
سوى عَرَقٍ يتصببُ من تعب
يستحيل دنانير من ذهب
فِى جيوب هواة سلالاتك العربيَّةِ ،
فى حلبات المراهنة الدائريةِ ،
فى نزهة المركبات السياحية المشتهاة
وفِى المتعة المشتراةِ
وفِى المرأة الأجنبية تعلوك تحت ظلال
أبى الهولِ ..

هذا الذى كسرتْ أنفه
لعنةُ الانتظار الطويلْ .

(٤)

استدارت – إلى الغرب – مزولة الوقت :
صارت الخيل ناساً تسير إلى هوة الصمتْ
بينما الناس خيل تسير إلى هوة الموتْ !

السقف

■ فاروق خورشيد

ليس يدرى أحد كيف بدأ هذا .. ولكنه حدث وانتهى الأمر ، ولم يعد أحد يستطيع أن يتجاهله أو ينكره ، فقد غدا حقيقة واقعية تزداد رسوخا ساعة بعد ساعة ... ويوما بعد يوم ...

نقطة وراء نقطة ، والسقف يرسل نقط الماء ليتساقط الملاط ولتقع النقط فوق البلاط ، وترتسم فوق بلاط السقف ، حيوانات ، ووحوش ، وأشكال غريبة متداخلة .. والبلاط تبدو فيه بقعة مصفرة ، ثم تحوطها بقعة داكنة ، ثم تحوط الرقعة الداكنة رقعة أخرى لا لون لها .. والنقط يوما بعد يوم تحفر فى البقعة الأولى حفرا فتغور ويرسب فيها الماء ، والنقط تنزل فوقه ويهتز ثم يسكن ، ثم يهتز ثم يسكن ، ثم يهتز ثم يسكن من جديد ..

وكان كل ما أستطيعه هو أن أبعد السرير عن هذه النقط المتساقطة وأقبع فوقه لأرقبها فى صبر وصمت ، لأسمع صوت النقط المتساقطة كأنها تحفر فى عقلى حفرة كتلك التى تحفرها فوق البلاط ، وكأنها تكون فى عقلى دوائر وأشكالا كتلك التى تكونها فوق ملاط السقف من فوقى ...

وكنت جائعا .. جائعا جدا ، جائعا ، كما لم أعرف الجوع من قبل ... منذ الأمس انتهت الكسرات الجافة ، فقضمتها بلا شىء الا الماء من الصنبور ... ثم لا شىء .. اضطررت الى غسل الكسرات الباقيات بماء الصنبور حتى أزيل عنها آثار الصراصير والجفاف ، والعفن ، ولكنى أكلتها كاشهى ما يمكن أن يأكل انسان .. ثم نمت .. نمت نوما عميقا لا حلم فيه .. وحين فتحت عينى لم أر الا الماء المتساقط ، وهذه الرسوم الغريبة فى السقف ، وهذه الدوائر الملونة فوق البلاط ...

وهتف هاتف غريب بى ، أن أركل الملاءة المهترئة ، وأقفز الى خارج الحجرة ، الى خارج الشقة ، الى خارج هذا البيت العتيق ، الى حيث الهواء والصيحات والناس ، وصليل الترام ، وأبواق العربات ، ونداءات الباعة ، وبكاء الأطفال وأرداف النساء تهتز ، وكلاب الحى تعوى ، الى حيث الوجود والحياة والناس ....

ومددت يدى ، أجر الملاءة فوق رأسى ، وأغمض عينى ثم أنام من جديد ، فى صمت غريب مبهم ، أنام من جديد ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان حلوا الا أرى نور النهار ، وألا أخرج من هذه الحجرة المظلمة ، وألا أسعى مع الناس ووراء الناس ، حتى لا يصدمنى مرفق أحد الناس ، أو يقذف سباب واحد آخر من الناس ، كل الضيق والغل الى صدرى ووجودى عند الصباح .. نعم .. كان حلوا أن أنام فى الحجرة الرطبة المظلمة ، يتساقط مطر غريب فوق بلاطها وأنام ، ويحفر فيها ماء متسرب من سقفها أشكالا وأشكالا ، وأنام ...

أبدا لست أحب شيئا فى الوجود ، قدر أن يتركنى الوجود فى مكانى هذا الأجوف ، أنام.. فابتعد عنه ، ويبتعد عنى ، ويحل السلام بقلبى رغم الجوع ، فأنام .. وطرق الباب ، وغطيت رأسى بالملاءة المهترئة فتعرت قدماى ، وعاد الباب يطرق ، وتقلبت فى مكانى ، حريصا على ألا أحدث حركة تكشف أننى موجود ... وطرق الباب ..

وأغمضت عينى فى عنف ، وتجاهلت أذناى وقع النقاط من السقف ، نقطة وراء نقطة .. وطرق الباب .. ووضعت يدى على فمى حتى أحبس أنفاسى فلا يسمعها أحد ، حتى ولا ذلك الطارق الملح على الباب .. وطرق الباب ، مرة ومرة ومرة ، وكأن الطارق لا يريد أن يصدق أننى غير موجود ، أو يريد أن يكسر الباب ويدخل والسلام ...

ممن أعرب ؟ أنا تماما لا أعرف ، ولكننى أخاف طرق الباب ، كأنه يهز دقات قلبى نفسها فيختلف وقعها ويتغير ايقاعها ، وتضطرب وتهتز ، معها تضطرب أنفاسى وتهتز ، ثم ينثال العرق باردا متفصدا من جبينى ، وبين عينى ، وفوق عينى ، وتصبح أنفاسى شيئا صعبا ، ضاغطا فوق قلبى وصدرى ووجودى كله ، وأحس أننى سأموت ، بل أننى أموت وأختنق ، أموت وأختنق ..

وعاد الباب يطرق من جديد ، وعدت أضع المخدة فوق رأسى من جديد أيضا ... وعادت طرقات نقاط الماء تسقط فوق نافوخى تماما ، نقطة نقطة فى رتابة واصرار وعنف ...

ولم أستطع أن أواصل النوم ... هذا عبث لاجدوى منه أبدا فمن كان يظن أن هذا يحدث ، وأن ينشق السقف عن هذه النقط الرتيبة اللعينة التعسة الدائمة الوقع ، الدائمة الاصرار والوجود العنيد ..

وفتحت عينى فى حذر .. وعاد الطرق بعنف ، وأغلقت عينى وأذنى ، وحاولت أن أنام .. ربما .. ربما نمت ..

لم يكن هناك شيء واضح أبدا ، كان ذهنى مشوشا ، مجموعة من الصور الغريبة والرؤى العفوية ونقاط من السقف وطرق على الباب ، وأشياء هلامية تمر برأسى ولا تستقر ... ولكنى أحسست أنه لا بد أن أرى الطارق ، أن أفتح الباب ، أن أعرف من هذا الذى يصر فى عنف على دق مسامير فى رأسى وعقلى ووجودى كله ، كأنه يدفع بقبضته لتخترق جمجمتى وتنفذ الى مخى وتدهسه فى عنف وقسوة ...

ودق الباب .. دق الباب .. دق الباب ..

ومن السقف نقطة وراء نقطة ويتساقط الملاط . ملاط السقف ، فوق البلاط ، وتزداد الفجوة سوادا ، دوامة صغيرة ، ثم حفرة ، ثم بياض .. وقمت .. كان لا بد أن أقوم ....

كل شيء يمزق سكونى ، كل شيء يمزق قدمى ، كل شيء يمزق رأسى .. وقمت ... كان لا بد أن أقوم ....

وحين وقفت كان صدرى عاريا وساقاى وقدماى .. كل شيء عاريا تماما .. وتلفت حولى ولم أجد شيئا يسترنى .. لا شيء ، يستر أبدا .. لست أدرى أين وضعت القميص ، ولا بنطلون البيجاما ، ولا الخف .. لا شيء .. لا شيء ...

وكل شيء بارد .. وأنا أرتجف .. والطرق من جديد ، وقطرات الماء تنزل من السقف .. والماء يتكوم عند البلاط ، وأنا أرتجف وقد ضممت ذراعى الى صدرى ، وكل جسدى يرتجف ، ودق الباب من جديد .. ونزلت قطرات من السقف ، ورفعت رأسى أنظر الى السقف وكأننى لم أره من قبل ... دوائر ودوائر ، ومستطيلات ومربعات ومخمسات ، ثم أشكال تدور فى فلك غريب ، لو وضعت يدا هنا ، وساعدا هناك ، لكان أمامك عالم كامل من الأشكال والحيوانات والتعاسات والسقطات ...

ودق الباب من جديد .. وأخذت أمد قدمى بحثا عن الملاءة ، ولا ملاءة هناك .. ثم بحثا عن الخف ، ولا خف هناك .. الشيء الذى ضايقنى أن البلاط بارد ، وأن قدمى لا تستطيعان الصمود أمام برد البلاط .. وجسدى كله يهتز ، فالبرد غريب ، من كل مكان يجيء ، وأحسست أننى سأموت بردا ان لم أفعل شيئا ، وعدت أضم ساعدى الى صدرى وأرتجف فى صمت .. ثم أخذت أتوجه الى الباب .. الباب كان هنا .. فعلا .. على بعد خطوات من الحجرة ، ولكن الحجرة طويلة ، طويلة .. وأنا أسير ولا تنتهى .. أسير وأسير .. والطرق يشتد ، وأنا أسير .. كدت أصيح : أنا قادم ! ، ولكنى لم أتكلم .. ثم لم أتحرك ، ثم لم أتنفس ، كان الطرق عاليا ورهيبا وضخما ، وكأنه صاعقة من بعيد تطرق كل وجودى بصرخاتها وصيحاتها العالية .. ومن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دقريب كان السقف ينقط قطراته العجيبة والدائمة السوداء تتسمم فى اطراد ٠٠ فى اطراد ٠٠

وصرخت ، عل أحدا يسمعنى٠٠ صرخت بأعلى صوتى ، بكل ما عندى من قوة وصوت ٠٠ صرخت ، وصرخت ٠٠ ولم أسمع الا الصمت ٠٠ لم يسمعنى الطارق عند الباب ، ولم يسمعنى من فى الطابق الأعلى ، يتركون الماء يندفع ليغرق سطح غرفتى بالماء ٠٠ لم يسمعنى أحد ، فقد صرخت ، وصرخت ، فقط لم يسمع أحد صوتى الا أنا ٠٠ وعدت أصرخ من جديد ٠٠

والطرق عند الباب يشتد ، وأنا أتعثر وأقوم ، أتعثر وأقع ٠٠ وأتحامل من جديد ، لأقف ، ولأسمع صوت الطرق العنيد ٠٠

من يسأل عنى ؟ ٠ لا أحد ! ٠ من يطرق بابى كيف أعرف ؟ ٠٠ لعله الزبال يريد أجرته ، لعله قارىء عداد النور ، يريد أن ينفذ الى العداد ، عبر رأسى ، وعبر جسدى المتعب ، وعبر استيقاظى المؤرق التعس ٠٠ لعله البواب يريد ايجار الشهر ، أو ثمن الماء المستهلك عند الآخرين ، فلست أذكر أننى أصنع من الماء شيئا سوى أن أغسل وجهى ، ولكن الشقة التى هى فوق ، تترك الماء ينساب وينشع ، وتترك الماء يتساقط ويخترق السقف ويهمى فوقى ٠٠ ويريد منى أن أدفع ثمن هذا الماء الذى يدمر وحدتى بوقعه من خلال السقف الذى ينشع ،ومن خلال نقاطه المتساقطة فى رتابة تقتل حتى معنى النوم والأمان ، وتقتل حتى معنى السأم ٠٠

ولكن لعله صديق أو قريب ، أو لعلها امرأة٠٠ وتعثرت فى مقعد فى غير موضعه ، وسقطت ، وحاولت أن أقف من جديد ، فتحاملت ومددت يدى الى كل شىء حولى أتساند ، حتى أقف ، وما ان انتصبت فى مكانى حتى أحسست بالثورة تملأ كيانى كله ٠٠ أيا كان هذا الطارق فهو ليس بانسان ٠٠ فماذا يريد الا أن يقتحم وجودى ، ويهزمه ! ٠

ودق الباب من جديد ، وتعثرت من جديد ، وسقطت ، وأحسست بجبهتى ترتطم بجسم صلب ، ودارت الدنيا بى ، وكدت أضيع ٠٠٠ بل أنا ضعت ، سقطت فجأة فارتطم أنفى بشىء صلب ، وكدت أصيح من الألم ، وأحسست أن شيئا قد تمزق وتحطم ، وحين رفعت يدى أتحسس أنفى ، لم يكن أنفى فى مكانه ٠٠ صرخ شىء فى داخلى الماء ، وامتلأ وجهى لزوجة ، ومددت يدى الى وجهى وعادت ملوثة بسائل ثان ، بدم ٠٠ دم أنفى الذى اصطدم بشىء ما فتحطم ٠٠ وامتلأت عينى بدموع غزيرة ، ولم أكن أعرف ماذا أفعل ٠٠ هل أتمخط ، أم هل أمسح وجهى من الدم أم أمسح عينى من الدموع ٠٠ والطرق ملح ، ومستمر ٠٠ وأنا فقدت قدرتى على الحركة ولم أعد قادرا على المعرفة ، فقدرتى على المعرفة والادراك قد ضاعت لحظة تركت مكانى فوق سريرى التعس ، ولحظة وقعت الملاءة المهترئة من فوق جسدى وقدمى ، ولحظة نسيت نفسى فاندفعت أستجيب للطرق الملح على الباب ٠٠

وتوقفت ، نزعت نفسى من الألم ، والخوف ، واللزوجة المحيطة بكل وجودى٠٠ ولملمت نفسى وتحاملت ووقفت ، كنت أهتز ، كان جسدى كله لايعرف كيف يتماسك ، وكان هناك ألم مخيف فى وجهى وكانت يدى ترتجف ، والطرق مستمر، لا يتوقف ، ولا يتراجع ، وشىء فى عقلى يستجيب ، ويريد أن يذهب ويفتح الباب ، وشىء فى داخلى يرفض ويصرخ أن هذا كمين ٠٠ فمن الذى يطرق الباب ويصر ٠٠

ورفعت يدى الى وجهى ، كان الدم ينثال من أنفى ، هل الموت قريب ؟ ما أحلى أن أموت ! ٠ ما أحلى أن تخرج حياتى كلها من أنفى ٠٠ الدم لزج ، وهو لا يتوقف ٠٠ وشىء آخر لا يتوقف أبدا ٠٠ هذا الطرق على الباب ، وهذا الصراخ فى أعماقى أن أرفض كل طرق وأن أعود الى سريرى من جديد ٠٠ والدم ينزف من أنفى ، وعرق بارد يملأ جبهتى ، ولزوجة تغلف راحتى، ولا أعرف ماذا أفعل ٠٠ فأقف حائرا فى الصالة، والطرق يدوى من جديد ٠٠

وتحركت قدماى فى ضعف ووهن ، وكنت من غير أن أحس ، أقصد الحوض عند مدخل الصالة ، وفى بطء شديد وصلت اليه ، وفى اصرار شديد نسيت الطرقات عند الباب ، وفى شجاعة شديدة نسيت آلام وجهى الممزق ، وتعاسة فى داخلى ترافق كل شىء ، وتغلف كل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شيء بيأس مرير ، يجعل كل شيء يتحول الى عبث وهراء ، وتفاهة لا معنى لها ٠٠٠

وانحنيت فوق الحوض ، وفتحت الصنبور ، وتدفق الماء ٠٠ وأخذ الدم المنثال من أنفى يختلط بالماء المتدفق من الصنبور ، وأحسست براحة ، كان اندفاق دمى شيئا مريحا ، مع اندفاع الصنبور بالماء ٠٠ كان شيء ما يشاركنى تعاستى، وخطوة خطوة ، فقد الماء المتدفق فوق راحتى من الصنبور وأنفى ، ملمس اللزوجة ٠٠ ورفعت راحتى الى عينى ، ولم يكن هناك الا الماء ، اختفى لون الدم ٠٠ ورأسى مازالت تدور ، وأنفى تنبض داخله مضخة ، والطرق يعود ويشتد من جديد ، وكأنه يتجاوب مع النبض فى أنفى ، فأحس بالألم ينفذ الى رأسى فتدور ، وتدور من جديد ٠٠

والماء يسقط من السقف نقطة بعد نقطة ، كأنها تنزل وسط رأسى ، حيث يتجمع كل معنى الدوار والألم ٠٠ وتحفر لها طريقا وسط الشعر المبتل ، لتصل الى جلد الرأس ، وتسقط قطرة ، قطرة ، فى اتساق مع هذا النبض الرهيب عند أنفى وهذا الطرق الملح فوق الباب ٠٠ نقطة وراء نقطة ، وشيء ينفذ الى يافوخى ، ٠٠ قطرات الماء ٠٠ أنا مبلل ، وداخل رأسى قطرات تنزف الى مخى ، الى أنفى ، الى عينى ٠٠ وأندفع لاهثا نحو السرير ، الملاءة الممزقة ملقاة على الأرض ٠٠ وكنت أرتجف ٠٠ رأسى يرتجف ويقطر ماء ٠٠ ووجهى يرتجف وأنفى يقطر مزيجا من الماء والدم ، وجسدى يرتجف ويهتز لايستطيع أن يعيد سلامه مع نفسه ، وقدماى ترتجفان وأنا أهتز فى سيرى نحو الملاءة ٠٠ ممزقة مهترئة ، ولكنها الدفء والأمان ٠٠

وعاد الباب يطرق من جديد ، ورفعت رأسى ٠٠ وعند السقف كان الماء يتسرب ، والملاط يسقط ،ودوائر غريبة من البلل تحيط بكل ما تبقى من ملاط السقف ، رأسى أنفى تتلوى ، تريد أن تنفث سمها فى شيء ما مواجه لها ، ما هو هذا الشيء ؟ رأس رجل ملثم ، يتحول ٠٠ رأس ثور له قرنان ٠٠ يتحول ، رأس ذئب ، أذناه مرتفعتان ، منتصبتان ثم هما قرنان ، ثم هما دائرتان٠٠ ثم كل شيء يغيم ٠٠ وتتحول بقع السقف فوق الملاط الى شيء هلامى كأنه سحابة متحركة ، وتغيم عيناى ، ولم أعد أرى ٠٠ والطرق يشتد ، ونسيت كل شيء ٠٠

ومددت يدى وأنا أتمدد فوق سريرى الى الملاءة ٠٠ شيء مهترىء ، ممزق ، ولكنه يحوط جسدى ، ويلملم أكتافى ويدى وصدرى وأنفاسى ٠٠٠

والطرق يشتد ، مصرا ٠٠ عنيفا يشتد ، لا لن أفتح ، سأتكوم فى السرير ، ألم الملاءة المهترئة ، لتضم رأسى وقدمى ، وتندام من عند رأسى ، وألمها ثم تتقاعس عند قدمى ٠٠ والطرق يشتد ٠٠ والماء يتقطر من خلال شعرى ، ورأسى تدور ، وتدور ، وجسدى كله يهتز ، فأنا محموم ٠٠ أو أنا خائف مذعور ٠٠ ويطل الفار العنيد من عند حافة الحائط ٠٠ عند التقاء الحائطين فى الزاوية ، يقف بريئا مصرا عنيدا ، يهز شواربه ، ويتحرك فى هدوء وتؤدة ٠٠ كأن لا شيء يعنيه ، ولا شيء يهمه ٠٠

ولم يكن يستطيع أن يتحرك ليضربه بفردة حذاء ، أو بأى شيء ، بكتاب ، أو كراسة ، أو حتى قلم ٠٠ كان عاجزا عن الحركة ، والفأر حر ، يهز له شواربه ، ويقف فى مكانه القريب وسط التقاء الحائطين فى تحد مستفز ، ووقح٠٠

والطرق يشتد من جديد ، ٠٠ ماذا يريدون، هو ليس هنا ، هو مات من هنا من زمن ٠٠ والفأر يسرع فجأة ليختفى عند زاوية التقاء الجدارين ، والملاءة تنزلق من فوق جسدى كله مع حركة الفار السريعة المفاجئة ٠٠ وأحاول أن ألملمها من جديد فتعرى قدمى ، ثم أحاول أن أغطى قدمى فتعرى رأسى ٠٠ يا كم تعرى رأسى ٠٠ يا كم تعرى !

ويدخل بعضى داخل بعضى ، وألتم فى أقل مساحة ممكنة وسط فراشى الذى يهتز مع كل حركة فى جسدى ، ونقطة من السقف ، وراء نقطة ، وطرقة من الباب وراء طرقة ، ومن صنبور الصالة الذى لم أحسن غلقه تتساقط نقاط ونقاط ٠٠ ويتساقط حولى كل شيء ، وأغمض عينى ، وأغطى أذنى ، وأهتز من البرد والخوف ، والضياع ٠٠٠

وأعرف أننى وحيد

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

نُسغ الحياة

■ صقر القاسمي

ماذا ستُوحي ، إن مررت بها
دوني ، الربوعُ .. ويُنشد البدرُ؟
ماذا سيوحي وخي فاغيةٍ
ماذا يرتّل للهوى الشعر
ماذا يخلّد وقع مِشيتنا
في ساحل أحلامه زُهر
هل يذكرنّ السُّمرُ مجلسنا
وحديثنا ؟ .. أم هل سها السَّمر
ومُنىً من الاحلام باسمةٌ
أنست بنا .. ومرابعٌ خُضر
ورُؤى خلقناها من مفاتنها
أحلامنا . فرمى بها الدهر

وصِغارنا .. والبِشر يغمرهم
كملائك غشاهمُ الطُّهر
فصُراخُهم ألحان زقزقةٍ
وحديثُهم مالا دري السحر
ووجوههم .. والليل معتكرٌ
أقمارُ سارٍ ماله فجر
كبِروا ، ومازالوا الصغارَ ، لهم
قلبي .. كأفراخ القطا ... وكْر
إن أصحُ ، أو أهجع فإنهمُ
بجوانحي الترتيل والذِّكر
والله يعلم أن جمعهمُ
نُسغُ الوجود وريحهم عطر !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأناء الوطن

□ فــاروق شــوشــه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على جَناحِ الصيف يرجعــون
تُلقى بهم مــدائن الغُربة والعراء والحنين ،
فى مفارق الطُرقْ
مغلــولةٌ أيديهمو إلى خزائنِ الأشواق
مشدودةٌ عيونهم إلى حقائب السفر
ملدوغةٌ وجوههم بوشم عام مُحترق
تساقطت أيامه فى هُوة الزمن
مُشرعةً آذانهم إلى نداء بالرحيل
وخطوهم يسوخُ فى عبء الأسى الثقيل
وفى العيون بعضُ ما تُخلِّفُ الصحراءُ من غبار
وفى الحلوقِ بعضُ ما استقرَّ من أسَنْ
تتابعت حقائب المُحمَّلين والمُزوَّدين
واختلطت مواكب المسافرين والمشيِّعين
وانفتحت خزائن المحدِّقين فى انبهارْ
وليس فى الجراب غيرُ كوْمةٍ من السَّنين
وحفْنةٍ من المحار
لعلَّها – من بعد طول النَّأى والترحال
والطواف –
ورحلة الخريف والجفاف
لعلَّها الثمن !

* * *

ها أنْتَ فى وقفتكَ المرسومةِ المراوغة
لا تحتفى بهم ،
ولا تصدُّهم
تجمَّعوا أمام بابك الوحيد ذاهلين
وانفرجت شفاهُهم عن دهشةٍ ونعمةٍ
هل أخطأوا حين أتوْا ؟
هل أحسنوا ؟
لا يعرفــون !
لكنهم برغم صمتك القبيح يُحشرون

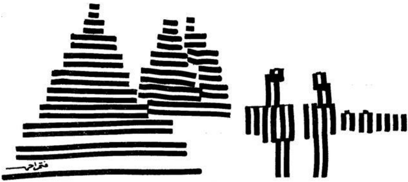

تمــوج فى عيونهمْ دوائرُ الحنين
وحين تُطبقُ الفخاخُ حولهم يستسلمونْ
دون انتظار غاية لسعْيهم أو حكمة !
ولسْتَ حانيًا
كما توقَّع الغيّابُ حين يرجعون
أو حــافلاً بالخــير ،
مثلما تعوَّد الآباءُ حين يغرفون من
عطائك الميمون
وسرِّك المباركِ المكنون
من حول هُدأة ولُقمة
أو جامعاً للشَّمل ،
عندما كَنْتَ مُصلًى للجميع
ينحنون فى تُرابكْ
ينتشرون فى شعابكْ
ويُقسِمون فى رحابك

بأنَّ عهدك الوثيق لن يهونْ
قد لاتكون أىَّ شيء بعدُ ، يرتجون
فقد تشقَّقت حلوقُهم ولم يعوا يهتفون
وانسحقت أحلامهم تحت خُيول الظُّلمة
وأصبحوا حين يغنُّون وحين ينشجونَ ..
يْستحون
وإن أفاقوا مرَّةً وجرَّبوا يُفسِّرون
قالوا : تغيرَّ الــزمن
لكنَّنا نلْ تماك ، ياسرْعان ما نَنْهارُ فى
أحضانكْ
كىْ ندفنَ الغرْبةَ فِى أحزانكْ
ونَسْكنَ العظام فى شطآنكْ
دون سؤالٍ عنك أو عنَّا ، وعنْ .
لأنَّك الوطن !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قبل السقوط

□ إدوار الخراط

خرجت من الحارة المزدحمة التى كنا نسكن فيها منذ سنين ، وحيطانها المتقابلة تغطيها دائما مساحة داكنة الرطوبة صاعدة من الارض ، متموجة الخطوط · والرائحة الثقيلة التى لاتنجاب عنها أبدا وتسطع فى آخر النهار ، محسوسة · رائحة مياه الغسيل والمسح وبقايا الطبيخ وريش الفراخ وقشر السمك التى تصب ويطوح بها من النوافذ والأبواب والسطوح فى أى وقت من الليل والنهار على تراب الحارة ، فلا يجف الوحل أبدا حتى على الرصيف ، ورائحة ما يتركه الأطفال تحت الحيطان عندما يرفعون الجلاليب ويقعدون فرادى أو جماعات ، ويغيبون لحظة عن العالم فى نشوة مستغرقة خاصة ، ثم يثبون ، وينطلقون جريا الى صراخهم ولعبهم الذى لا ينقطع حتى تلحق بهم أخواتهم البنات الأكبر قليلا يضربنهم على الرأس والكتف لكى يعودوا للبيت ·

كنت قد صحوت من نومة بعد الظهر المتاخر وكنت بالبيجاما القطن وفيها خط مستطيل لامع، وصعدت السلالم القديمة بسياجها الخشبى الذى يلمع سواده من القدم ومن الأيادى · وكان معى « جمهورية أفلاطون » وأنا أطل من سور السطح على الحارة التى تتقلب فى ضجيجها وروائحها ونداءاتها ·

الست سنية زوجة المعلم أبو دراع العربجى، فى البيت المواجه القريب أمامى ، من تحت · تطل من النافذة القديمة المفتوحة ، بصدرها الثقيل المكشوف فى قميص النوم الساتان الفضى الناصل النسيج المشغول بدانتيلا سوداء · كان صدرها مضغوطا على قاعدة النافذة بلحمه الأسمر الزيتى ، أراه من فوق · وجهها يبدو منتفخا ، وعيناها ثقيلتان قديلا من نوم بعد الظهر · فأضم بين ساقى صلابة استدارة غير مقلقة وغير ملحة ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان آخر نقيق الفراخ فى العشة قد خفت وأخذ يتقطع ثم سكت · ومازال على السطح نور السماء الحارة وهواء المساء المبلل ، والتفت الى الباب الخشبى وهو ينفتح ومنى تدخل الى السطح تحمل بمشقة طشت الغسيل المثقل بملاءات السرير والجلاليب والفساتين وقمصان النوم الملونة والملابس الداخلية الرجال البيضاء، مبلولة ومعصورة وملفوفة على بعضها وفيها ثقل الماء ورائحة الغسيل والصابون النظيفة الحادة ·

أسرعت اليها بلهفة ، ووجهى ملء بالدماء ، والبيجاما الخفيفة تفضحنى على الرغم منى · وقالت بابتسامة خافتة وعينين فيهما خجل ، ومعرفة : « سعيدة » وكان صوتها صغيرا كأنه صوت قطة · وقلت لها : « عنك » · حملنا الطشت الثقيل معا ، وسرنا بضع خطوات حريصة متعثرة ، جنبا الى جنب · واصطدمت ساقى بفخذيها الرقيقتين من وراء الفستان وأحسست

البلولة فيه من ماء الغسيل ، وكانت ركبتاها خشنتين ولونهما أكثر سمرة من ساقيها المجدولتين ومن قدميها الحافيتين التويتين • ووضعنا الطشت على الأرض ، ببطء ، ونحن نبتسم • وعندما انحنت مال صدرها المخروطي المتماسك الى الأمام ، تحت القماش الرطب • وكان وجهها بجانب وجهي وهي تقوم ناعما جدا ومسحوبا وسمرته مضرجة بلون داكن عند أعلى عظمتي الخدين البارزين ، وشفتاها واسعتان ونضرتان •

وعندما كانت ذراعاها النحيلتان مرفوعتين ، وهي تنشر الغسيل على الحبل المدود بين عشة الفراخ وسور السطح ، كان نهداها الصغيران راسخين ، يرتفعان الى أعلى في حركة ثابتة ، وكان بطنها هضيما ومستوى السطح ، كأنها ولد

وحكيت لها عن جمهورية أفلاطون وقلت لها أن الذى يحكم فيها هم العقلاء والحكماء وليسوا العساكر ، وليس فيها انجليز ، وليس فيها حرب ، وأن الناس يجب أن يتعلموا الموسيقى ويعزفوها ، منذ صغرهم • ولم أشرح لها معنى الموسيقى ، فضحكت وقالت لي انها تحب أن تتعلم ضرب العود معي وأن تغني وأنا العب العود وقالت لى انها تحب « اسمهان » جدا وتموت في أغانيها وتحب « رجاء عبده » أيضا • وكان شعرها قليلا ومعقوصا وملموما في ضفيرة واحدة ومؤخرة عنقها دقيقة وبيضاء قليلا وفيها شعيرات سوداء •

كانت تنشر الملابس والملاءات الثقيلة المتقطرة بالماء بيدين رقيقتين ، محمرتين قليلا في نور الماء ، وكانت ملابسها الداخلية الملونة الخفيفة القماش بمقاسها الأصغر والفتحات الصغيرة غير المرتوقة فيها ، مختلفة عن ملابس أختها الكبيرة ، ومعروفة على الفور وتوجد بيني وبينها نوعا من المعرفة الحميمة والسر الساذج ، دون خجل •

وقالت لى انها بعد أن تخلص من نشر الغسيل ستغير فستانها وتشترى حاجات للعشاء من عم محمد البقال في شارع راغب باشا •

ونزلت بعد أن قالت مرة اخرى بصوت خافت فيه انتظار : سعيدة •

ولما رأيتها تخرج من الحارة ، وكنت أمشي منذ فترة ، على أول الشارع ، هبط قلبي واستدرت من الناحية الاخرى • كانت مع ابن خالها الطويل الغليظ الشفتين الذى كان يزورهم كل ليلة تقريبا ويتعشى مع أخيها •

كنت قد قلت لها : ابن خالك هذا ، على فكرة ، أين يسكن ؟

قالت : في البياصة ، بعد شارع ١٢ ، في بيت ملك ، عقبى لك •

قلت : مسافة بعيدة •

قالت : أخي يعمل معه • عند ميكانيكي سيارات في البياصة ، كانت بينه وبين أبى معرفة قديمة •

قلت : والغريب أنه يلعب البلى مع أولاد الحارة الصغار •

قالت : هو هكذا • يحب لعب البلى • مع أنه كبير • وضحكت •

وتيقظت غيرتي مرة أخرى ، من هذه الضحكة • وكان ابن خالها له عينان مدورتان جاحظتان من محجريهما ، ووجه كالعجين المتخمر ، أبيض وبه حفر صغيرة من أثر جدري قديم ، وشفتاه مملوءتان •

وكانت أختها الكبيرة تزور أمي ، وكانت دسمة الجسم وطويلة وصدرها يكاد يكون مربعا ووثيقا في البلوزات الشفافة الضيقة التي كانت تحب أن تلبسها فتكشف تحت كتفيها القويين عن قميصها الداخلي الأسود اللامع دائما • وكانت تسلم على بيد طرية لا عصب فيها ، مرمرية كأنها لا عظام فيها • وكانت تعمل في فابريكة الغزل والنسيج في كرموز وتدخل الحارة في أول المساء بعد الشغل ، وشعرها مفكوك متناثر • وكنت وأنا في غرفتي الداخلية التي تطل على المنور ، أذاكر الجغرافيا وأحل مسائل الجبر وأنقل قصائد جبران خليل جبران في أوراق صغيرة مقتطعة من فواتير أبى القديمة ، أسمع الجارات ، أحيانا ، يحكين لأمي انها ماشية مع المهندسين في الفابريكة • وكن يسكتن عن

الكلام عندما أمر بالفسحة فى طريقى الى دورة المياه .

وكان أولاد الحارة الكبار ، صبيان البقالين والحلاقين والسباكين يقفون مع تلاميذ المدارس الابتدائية الخائبين وعمال الميكانيكية الذين تسيل فى أيديهم النقود بلا حساب والذين لا أعرف ماذا يعملون ولا أعرف من هم ، يتجمعون على أول الشارع أمام خرابة يحيط بها سور من خشب قديم ووراءه أكوام الزبالة الجافة .

وعندما كانت تمر من أمامهم بجسمها الملىء الذى أحس ، دائما ، أنه متحرر وغير مكبوت وشبعان بالمتعة والعمل والخبرة ، كانوا يسكتون فجأة وتتجه عيونهم اليها بحركة واحدة تلقائية ، وكنت أعرف ما يفكرون فيه ، ولم يكن لى بينهم أصدقاء ، وكانوا لا يهتمون بى .

الحديقة الواسعة المزدحمة كلها خالية ، ليس هناك فيها أحد غيرى . والليل هادىء ومشحون وأكاد أتعثر وأنا أهبط بسرعة على الارض القاتمة الخضرة ، بين حشد أشجار قصيرة ومظلمة أغصانها متقبضة على بعضها البعض ، كأنها تتآمر . كانت كل شجرة حولى يقظة وصامتة ، أعرف أن فيها خطرا ، فلا أجرؤ أن أمد يدى لأمسك بها .

كنت أعرف أننى فى الشلالات ، لكننى لم أكن أعرف مع ذلك هل ركبت ترام الجمرك أم الرمل ، وهل هذه الارض المشجرة المرتفعة التى أتدحرج عليها ، وأكاد أسقط ، فى رأس التين أم فى الشاطبى . وأشجار النخل الملوكى الشاهقة بسيقانها البيضاء المنفورة وتيجانها الدائرية المفروشة تهتز فى السماء الخفيفة . وأرى خلفها وقريبة جدا منها أسوارا من الحجر الأحمر المتين وبوابات عالية مقوسة العقود ، وأبراجا غامضة الاركان فيها نوافذ مستطيلة متقابلة مفتوحة أمام بعضها البعض ، وتبدو خلالها زرقة ليس فيها نجوم ، وأسأل نفسى هل هذه رأس التين أم ملعب الملك . وأشم رائحة البحر القريب ، عطنة وأنفاسها حارة ومائية .

وأهبط ، أخيرا ، باندفاع ، الى وهدة الارض المغطاة بخضرة أكثر وضوحا وشحبا ، مقصوصة

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

وخشنة المظهر . وأحس تحت قدمى قوة التربة المتموجة ببطء وثقة . عتمة آخر المساء تحت صف الاشجار المتقاربة ، وللهواء فى أوراقها الكثيرة حفيف أجش . وأكاد أنزلق الى ترعة ضيقة جدا وفى قاعها ماء قاتم يجرى بصمت وسرعة وينعكس على سطحه اللامع السواد نور لا يكاد يستضىء ، كأنه عتمة أخف قليلا مما حولها ، بين قمم الأشجار ، من سحابات بيض، ثغرات مفتوحة فى سماء الليل .

أثب ، خطوة واحدة ، ولكنها لا تنتهى ، على الممر المائى الرفيع ، وكأنى لا أهبط أبدا على الشط المقابل ، وأستمر مرتفعا فى الهواء ، فى وثبة صغيرة جدا ولكن لا يفرغ زمنها أبدا ، لا أصل أبدا الى سفح الأشجار المصفوفة التى تقف ، تنتظرنى ، تترصدنى . أحلق ، وأعرف انه يجب أن أصل ، بأسرع ما أستطيع ، الى شئ ما ، ضرورى .

الشارع المسفلت العريض الذى تقف عليه أسوار المدافن ، صامت وفسيح . أنظر اليه من تحت وأنا أجرى فى نعومة ، كأننى أشق بلا جهد موجا مفتوحا أمامى ، وجيش العابرين حولى ، لا صوت له ، وغير مرئى ، ووثيق الصفوف ، وسوف تنطبق عليه الامواج . وكنت هادئ الانفاس لا أحس ضربات قلبى . وقلت لنفسى اننى الآن لا أعرف أين قبر أبى ، واننى لم أزره مرة واحدة منذ أن دفن فى حفرة عميقة طويلة ، وكنت أريد أن أدفن نفسى معه ولا أتركه ، ولما خرجت الى هذا الشارع كان نور الظهر الساطع وهواء البحر يجفف دموعى .

الملائكة الرخامية من وراء أسوار الجبانات تحلق معى فى الافلاك العلوية صلبة وبيضاء ، بأجنحتها المبسوطة الثابتة ووجوهها الجميلة كأنها تبتسم لى أنا وحدى .

وتحت رفيف الملائكة أرى العسكرى ببدلته السوداء التى تلمع فيها أزرار نحاسية يومض بعضها وينطفىء بعضها ، يسير بثبات ، وبندقيته العتيقة الطراز على كتفه كأنه جامد فى مكانه ، لا يتحرك ولكنه يسير بخطواته البطيئة لا وقع لها على الاسفلت ، ونحن جميعا معا ، الملائكة وأنا والعسكرى ، بلا غرابة ولا سؤال ، كأننا فى بطن مركب مغلقة تخوض بهدوء عباب بحر واحد مياهه ساجية ، ولكننا لا نرى أثرا للبر . وكان حياتى نفسها تتوقف على الوصول الى شط البحر .

أريد أن أسأل العسكرى لماذا المصابيح مطفأة هل نحن فى غارة ؟ فأنا أسمع صفارة الانذار . ولكننى أعرف أن العسكرى لن يجيب ، انه لن يسمعنى ، وانه أيضا لا يعرف ، بالتأكيد .

لابد أن أكسر هذا الطريق . دون سؤال . هذا محتوم .

وعندما أنحرف فى الطريق الواسع الى اليسار فليس ذلك ، على نحو ما بارادتى . الشارع مظلم ، ومرتفعات الشلالات الى جانب ، بأشجار العجوز القوية فى الليل . والى جانب آخر ، جدران مخازن فورد العالية أحجارها رمادية وضخمة تقطعها النوافذ الكبيرة المغلقة بزجاج شديد القتامة تلمع عليه من الخارج قضبان حديدية سوداء ، وليس فيها نور . ولا تنتهى . الأبواب الحديدية الهائلة عليها أضلاع المتاريس المتقاطعة ، وتحت الجدران صف واحد متلاحق من سيارات الاوتوبيس الزرقاء منتفخة البطن ، سطوحها مقوسة وداكنة فى العتمة التى تتكاثف وكأننى أحس لها قواما وجسما .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

رائحة المطاط القديم فى عجلات الاوتوبيسات المرصوصة تختلط بنفث التراب الساخن من الشلالات والخضرة الجافة وعبق الزهور اليابسة الحمراء التى تفتتت وغطت بقعا واسعة تحت الاشجار المحترقة من الشمس طول النهار . وأنفاس البحر الليلية تأتى الى من فوق المدافن الشاسعة المزدحمة بالموتى ، وأعرف أنه ليس لى موتى فيها بعد ، وأعرف فى الوقت نفسه أن أبى ، وأخى الصغير الذى مات بالتيفود ، وأختى التى ماتت محترقة ، قد دفنوا فيها ، فى مستقبل لم أضعه موضع سؤال .

كنت قد رأيت منى تخرج من الحارة وتستدير حول البيت المهدوم ، واضطرب قلبى واستدرت بحركة لا أكاد أحسها نحوها ، وتوقفت حركتى فجأة وكأنما غاضت الدماء من جسمى كله . كانت

تسير بسرعة وقريبة جدا من ابن خالها ، وساقاها العاريتان تلوحان وهما ناعمتان ورفيقتان تحت فستانها الخفيف الذى يسقط الى مافوق الركبه بقليل ، واسعا يهتز بايقاع رشيق ومتوفز • ورأيت فى عينيها نظرة لا يمكن أن يشتبه معناها • نظرة البنت العاشقه التى تتعلق بحبيبها ، فيها هذا الفضول الاسر والجاذبيه الاوليه التى لا مفر منها • جاذبيه الارض ، جاذبيه النجوم فى مسارها المضروب • نظرة ثابته • لا تتحرك ، لا تستطيع ان تتحول وفيها نسيان تام للعالم كله من حولها ، ومعرفه بأن العالم هناك ، صحيح ، ولكن ليس له أدنى أهميه • واقتربت بوجهها منه ، وهمست له فى أذنه بشىء • هل كانت ترمقنى عندئذ بطرف عينها فى حركتها المندفعه بعيدا عنى ؟ سمعتها تضحك بلا مبالاه كأنها قسوة • وكان الولد يضحك أيضا دون أن ينظر ناحيتى • وعرفت أخيرا معرفة قاطعة للقلب أننى ، فى النهايه ، جزء من هذا العالم الذى ليس له أدنى أهمية •

وعرفت ، وأنا مخدر القلب بعد ضربة الجرح ، أن فى هذه القسوة مع ذلك علاقة مابينى وبينها ، علاقه حميمة ، وحسيه أيضا ، وقلت لنفسى اننى لن اقبل هذا الارتباط أبدا ، ولن أخرج اليها أبدا ، ولكن أنتظر ، حتى ، تأتى الى عن طريق الصدفه أو عن طريق التدبير • وقلت لنفسى ان القسوة قائمة ، هناك ، وان رفضى لن يمسها ولن ينفيها • وقلت لنفسى أن العالم قسوة واحدة متصلة •

أسير ببطء ، ثقيل الصدر ، لا أعرف متى غادرتنى الملائكة الحجرية • وفوقى سقف منخفض ، وكأننى فى سوق مهجور ، أمر أمام أبواب خشبية قديمة مغلقة على الناس النائمين • والعساكر تقف على الأبواب ، ملابسهم سوداء مهدلة ، وعلى أكتافهم البنادق طويلة الفوهات • لا أرى وجوههم تحت الطرابيش المكسوة بقماش أسود أيضا له حافة طرية دائرية على الوجه وعلى مؤخرة الرأس • كل باب منها عليه عسكرى ، يقف بجمود ، لا يهتم بى •

ويهجس بقلبى رعب مكتوم وغضب مكتوم ، وأعرف بيقين واحساس بالجريمة ، أنه محرم على أن أمر بهذه الطرقات الداخلية • واننى أقترف اثما كأنه الاثم بالمحارم •

وأعرف أن النائمين يحسون بى • مصابيح الغاز القديمة بفوانيسها المربعة تشتعل تحت السقف بشعلات مهتزة • وأنا أعبر هذه الممرات الداخلية بين البيوت القديمة الحجرية كأنها من بيوت المماليك الاثرية التى يلجأ اليها الناس للسكنى والحياة ، بعض أحجارها قد سقطت وتركت فجوات مشعثة مظلمة وغاصة بالحياة ، تعشعش فيها طيور أو لعلها خفافيش ، وتتدلى منها أعواد قش جافة لا يتطاير بها الهواء • والممرات مبلطة وعليها تراب ويهب فيها هواء بارد ، وحواف البلاط متعرجة جمدت بينها خطوط الطين الرفيعة ، الصلبة وجزء من جسم البلاط •

وأنا أريد أن أنادى ، أريد أن أوقظ الناس ، أعرف أن هناك ما يهددهم ويهددنى ولا أعرف كيف أقوله • أريد أن أصرخ ، أريد أن أجأر ، أريد أن تهتز الجدران والأبواب المنهاوية تحت صيحتى التى تختنق وتخنقنى •

أعرف أن الناس من وراء هذه الحيطان القديمة كأنهم موتى • ولكنهم ليسوا موتى • وأن الامهات نائمات على المراتب القطن القديمة الجافة ملقاة من غير ملاءات على حصير الارض • وأنهن يغطين أولادهن بملابسهن القديمة وبأذرع أنهكها الحنان والقلب المكسور • وأعرف أن الرجال قد ناموا كالموتى ، عيونهم مفتوحة ، يطبق على صدورهم دخان المعسل والكد والأفيون الردىء •

وأحس قلبى مقطوعا شقين ، وجافا لن يرتوى أبدا •

كانت قد قالت لى ، لكنك لا تعرف كيف تغنى، هل تعرف أن تقول أغانى فريد الأطرش ؟

واقتربت بوجهها منى • وكان فمها كبيرا وحمرة شفتيها طبيعية طازجة ، وأردت أن أقبلها فى فمها ، وقالت لى : ولكن ماذا تعرف ، أنت؟ أنت لا تعرف شيئا أبدا ولا أراك أبدا مع اولاد الحارة • ماذا تفعل طول النهار ؟

كنت أعبر شارع ١٢ • وكانت قضبان الترام لامعة تشق بلاط الشارع الخالى والدكاكين كلها

ARCHIVE
archivebeta.Sakhrit.com

مغلقة ، والمصابيح الكهربائية متقدة من وراء زجاجها المطلي بالازرق ضوءوها غريب ومحزن ولا يستفيد منه أحد ٠

وعندما نظرت الى أعلى ، فجأة ، دون سبب ، رأيت الشرفة ذات القاعدة الرخامية الضيقة بسياجها الخشبي الذي يلوح أن طلاءه القديم قد تعرى عن الالياف اليابسة ٠ كان القمر الأحمر الباهت المدور ضخما وجسيما ومعلقا على سطوح البيوت المقابلة كأنه ملصق بالسماء اليابسة ، ضوءه القليل لا يكاد يستبين ٠

وكانت الشرفة فى الشارع الهادىء بالليل تهتز ، ثقيلة تحت حشد من الناس الذين يلوحون بأيديهم ويشورون ، ويفتحون أفواههم ويهزون رؤوسهم ، دون أن أسمع لهم صوتا ٠ ومالت الشرفة الى تحت ، ببطء ، وكأنني أسمع صوت تقلقل الخشب ينتزع من بلاط الحائط ٠ ولكني لا أسمعه ٠ وسقطت الشرفة الى الارض ٠ وسقط الناس ٠ ولم أسمع اصطدامها بالشارع ولم أسمع صراخهم ، ولم أسمع الأجسام ترتطم بالرصيف وكان هذا كله لم يحدث ٠ وهو قد حدث ٠

اندفعت الى الباب الخارجي المفتوح ، بحديده المشغول على شكل أزهار وأوراق وأغصان متعرجة ، وكان كل شيء داخل البيت هادئا ٠ وصعدت السلالم الجديدة المصنوعة من الاسمنت المحبب ٠ وكنت اغالب خوفا من حضور قوى مهدد يكمن فى ظلمة بير السلم ٠

ووثبت الدرجات اثنتين اثنتين وخبطت بلهفة على باب الشقة ٠ وسمعت صوت الخبط على الباب يدوى مرتفعا له أصداء تتضخم وتوقظ سكان الشارع كلهم ٠ وفتحت لى فلاحة شابة تغطى جانب وجهها النائم بطرحتها السوداء ٠

ولم استغرب أننا كنا فى أول الصبح ٠ والشقة كلها نورها شاحب وفيه وخامة يدخل من وراء ستائر بيضاء كثيفة ثابتة الطوايا تنتهى بشراشيب داكنة الحمرة ٠ وفى الفسحة مائدة كبيرة خشبها ضخم ومصقول ومطعم بعروق ذهبية ، وفوتيهات محشوة ومنجدة بالقطيفة ولونها كالنبيذ الثقيل ملتفة حول استوديو مريح كأنه السرير مكسو بنفس القماش النبيذى المنتفخ بقطنه الوفير ، والسجادة على البلاط الذى يبدو جانب منه تحتها ٠ كثيفة ، وقدماى عليها لا صوت لها ٠

وكانت نائمة ، أو ممددة ، على السرير ، لا أعرف ، تحت أغطية كثيرة وناعمة وغنية النسيج ٠ وكنت أعرف أنه لا سيقان لها ، ولا وجه لها ،وانها أنثوية ، ودمثة الجسد ، ولا أستغربها ، ولا أنفر منها ، ولا أرفضها ٠ بل أحس أنها تجتذبنى اليها ، كأنها تدعونى٠ وكانت حية ولكن باردة الدماء ، وقد استكنت فى الفراش ، وكانت تنتظرنى ٠

وعندما اقتربت منها وانحنيت عليها كان قلبى واجفا ولكن يداى ثابتتان ٠ ربت على كتفها الغض وكأنه مكسو بفرو أبيض حى ، تغوص فيه أصابعى ٠ وكانت داجنة وراضية وعيناها مدورتان فاهمتان ٠ ومن خلال الفرو كنت أحس تحت يدى بكتف امرأة ، ناعم الدوران ٠ وكانت تخرج أصواتا أليفة ، شبعانة ، دون كلمات ٠ وكأننى أقبل هذه الأصوات وأنا أسمعها تتردد فى فسحة البيت الذى ما كاد يصحو من النوم ، أصواتا تكاد تكون انسانية ، نسائية ، ولكن فيها هرير مكتوم خافت ، ومواء صغير ، ونقنقة هادئة تأتى من مياه ضحلة ساكنة ٠ ولكن صوتها كان فيه أيضا بحة ، كأنها توشك أن تتكلم ، لأول مرة فى حياتها ، من غير جهد ولا معاناة ، ودون كلمات ٠

وصرخت صرخة واحدة ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

د. شكرى عيّاد

• افتتاحية •

« انتظرونى . . . »

أجيء فى الريح العقيم

وأدور أبحث فى الجذوع الخاويات

لألقح الرحم القديم

وألم فيه حروف جسمى العاريات

وأكون .

* * *

الحرف الأول حرفُ غَضَب . . .

ما أعظم حرف الباء !

« شق البويضة »

حطمَ إيقاع السطر البائس

صرخَتْ : ويلاه ! هُتِكَتْ ! فُضِحت

جُنَّتْ فَرَحًا واحتضنته

* * *

الحرف الثانى حُلْم . . .

لايفتح رحم العاقر إلا الحلم .

حلْم حبٌ حزنٌ حرمان

حقدٌ وحنان

حرف الحاء يشق الحَلْق

ويثير الخلق

حرف حلو حاد حار حراق .

* * *

الحرف الثالث أبحث عنه

عن ثُلْثى الضائع

فالحرف الواحد لايصنع بعثا

لايُطلع شمسا

حتى لو كان الباء .

والحرفان إذا اختصما انهدما

حتى لو حرفَى حب .

* * *

ولم أزل أهيم

فى وحشة السديم

فى الرحم العقيم

أبحث عن حرف يُتِم كونى

لكى ترونى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• نشيد •

عرائسَ الشعر ! ألهِمنَ القريض فمى ... فما بقلبى قد أربى على كَلِمى
لو يُذهِب الدمع عنه بعض حرقته ... إذن لأطلقت دمعى غير محتشِم
يا للشقىّ ! طوى الأيام فى كَبَدٍ ... وخاض فى ظلمات اليأس والعدم
حتى إذا كاد – والأنفاس زاهقةٌ – ... أن يبصر الصبح طلاعا على القمم ،
إذا الشياطين تعشى فيه مفسدة ... وتصبغ الورد في آفاقه بِدم !

* * *

عرائس الشعر ! ألهمن القريض فمى ... ظلاً من الوحى أو نورا من القلَم
أقرّ بالعجز وجدانى وأرّقنى ... أنى على ما أراه غير مُحتكِم
وأننى لا أعُدُّ القول نافلة ... حتى أعيش بقلب الذاهل الوَجِم
أعرنى من ظلال الوحى مُحكَمة ... حَذّاء تبتك ما حاكت يد الظُّلَم
أعرنى من ظلال الوحى قارعة ... ترد شِرة باغ للدماء ظَمِ
أعرنى من ظلال الوحى معجزة ... ترد ميتا وتُهدى النور عَين عَمِ
الله يعلم ما بالقلب من حُرَقٍ ... إلا لما حل بالأحبابِ من نِقَمِ
والله يعلم ما فارقتهُم برِما ... لهْفى على طاعنٍ منهم ومحتلِمِ
وصبيةٍ كالقطاط العمى لثغتُهم ... ألذُّ وقعا على أذْني من النَّغَمِ
وللسماء بريقٌ فى أعيونِهم (ى) ... وللملائكِ منهم حُسن مُبتَسِمِ
حبُّ القلوبِ هُمُ (و) ، إن مسَّ خنصرهم ... جُرحٌ تداعت له بالنزف والأَلَم
ما أعجَبَ النفس : طغواها ورقتها ! ... كم حار في فهمها من ناظرٍ فَهِمِ
إن كان فى الحمأِ المسنون مسكنها ... فسِرُّها نفخةٌ من بارئ النَّسَم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سبحانه ! لم يغب عن علمه قدرٌ ... إذ عقّ آدم من أصفاه بالنعم
سبحانه ! لم يغب عن علمه قدر ... إذ قرب ابناه بكر الزرع والنّعم
خليفة الله ! من أنساك موثقه ... إذ أنت حرفٌ بظهر الغيب لم يُتم ؟

* * *

قد كانت الأرض بيضاء الأديم ، فهل ... وجدا عليك بدت حمراء كالعَنَم ؟
عذراءُ طُهرٌ فضضتَ اليوم عُذرتها ... بطعنة من فتى كالثور مغتلِم
فاضت عيون روابيها وقد بصرت ... دم الشقيق على كفيك كالضَّرَم
مُعلِّم الملأُ الأعلى وسيِّدهم ! ... من الغراب تعلَّم بِرَّ ذى رَحِم
احثُ التراب على الوجه الحبيب ولا ... ترحم محاسنَه من لُبسة الرَّغَم
واستخبر الروض من أودى ببهجته ... ومن دها طيره الغرِّيد بالبَكَم
وانس الشقيق الذى بالأمس كان هنا ... وطأً على قبره ، إن شئت ، بالقَدم
وانعم بدنياك ــ أنت اليوم سيدها !ــ ... والعب ، ولاعب ، وغالِب سورة الندم !

* * *

تبارك الله ! من بالوحى كرَّمه ... هو الرحيم ، غفور الذنب ، ذو الكَرَم
كم آيةٍ لك يارب الورى سطعت ... أنوارها فى ربوع الشرق من قِدم
تلك الحنيفية الغراء مهبطها ... بين الهلال وأرض النيل والحَرَم
بات الخليل حزينا يشتهى ولدًا ... يسعى بملَّته من بعدِ مُختَرَم
بات الخليل حزينًا يشتهى ولدًا ... وتلك أيامه مالت لمُنصَرم
بات الخليل حزينًا يشتهى ولدًا ... وزوجه قد بلاها الله بالعُقُم
لحكمة فى ضمير الغيب ما عَقُمت ... والله حكمته جلّت عن الحِكَم

ARCHIVE http://archive.sakhrit.com

بنى بها حُرَّةً مصريَّةً حَبِلت ... ببذرة النور هادى الخلق كُلِّهم
بفارس مُصحِر ، بالسيف معتقِل ... إذا احتمى الفُزَّعُ الانكاسُ بالأُطُم
سمراءُ شماء إفريقيةٌ ، نبتت ... فى منبت السحر بين القفر والأَجم
بنت الألى رفعوا للخلق معجزةً ... من الحضارة مثل النار فى العلَم
عبرَ القرون أضاءت والشعوب سُدًى ... حتى تلقَّت هداها كفٌّ مستلِم
ما الكرنك الخالد المعمور واحدَها ... ولا الكنوزُ ولا أعجوبة الهَرَم
العقلُ والقلبُ والذوق الرفيع هدت ... أصابع الفن فى مأثورة الرُّقُم
وباذخُ الحلم شقّ العَمْدَ باذخة ... وشاد شبه الجبال الشم من رَضَم

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صبارةً بنتَ مصرٍ ! كم ألم بها ... من الخطوب فلم تجزع ولم تهم
إنى أراها على الجدباء ساعية ... تكاد تهوى من الإعياء والسَّقَم
فى حضنها ابن خليل الله تبرأُمُهُ ... وفى الحشا لاعج النيران لم يَنَم
تود لو عصرتْ ماء الحياة لهُ ... وقد أذابت حنان الثدى فى اللَّقَم
هناك أبصرتَ يارحمن حيرتها ... بين الصفا والجدادِ الغُبرِ والأَكَم
ياخالق الماء ، لبىَّ أمر خالقِهِ ... فى باطن الصَّخر الصيخودِ كالرُّكُم !
أجريته لمن استرعاك واحدهُ ... ومن رعى اللهُ لم يُبخَس ولم يُضَم
باركتَ أرضَ الحِرار السود فانبجستْ ... بيضاءُ صافية فاضت على الأُمم !

* * *

لما ادكرتُ أحبائى وما اجترحوا ... مزجتُ دمعًا جرى من مقلتى بدم

القطار ذو الغلاف الأزرق

■ عبده جبير

كانت « رضوى » تجلس وكان القلق يعتريها ، ففكرت وهي تضم أصابع يديها الى بعضها ، وقد تأخر المساء ، أن « ليلى » ربما لن تأتي الآن لسبب ما ، وضبطت نفسها متلبسة بالنظر الى شراعة الباب تتابع ظلال الذين يمرون على السلم ، منتظرة أن يتوقف أحدهم عن الحركة ثم يتبعه الجرس ، ولكن أفكارها ذهبت الى الخوف من ذلك الذى بدالها رعدا ثم خالته مجرد هاجس ، كذلك الذى سمعته في الأيام الأخيرة عدة مرات ، لكن رخات المطر بدات الآن تتساقط بالفعل على زجاج النافذة ، وبدا صمت الليل محاطا بالوحشة التى تخيم على نفسها كلما تساقط المطر ليلا وهى جالسة تنتظر .

كانت تنتظر « ليلى » لأنها كانت تود أن تتحدث معها ، وكانت بالفعل قد رددت عدة مرات تلك الجملة التى ستبدأ بها الكلام ، لأنها كانت تعرف ليلى جيدا ، قررت أن تخفى عنها بعض الأشياء ، من ذلك النوع الذى أخفته مرارا عنها عندما تحدثت اليها :

قالت رضوى :

ـ « لقد انتظرتك طويلا جدا »

قالت ليلى :

ـ « لقد جئت . ولم أكن أظنك جالسة هنا فى الصالة . لكن . كيف . كيف ؟ »

قالت رضوى .

ـ « كيف ماذا ؟ » .

قالت ليلى ـ وهى تخرج من جيب معطفها كتابا دافئا على غلافه رسم لقطار باللون الأزرق :

ـ « كيف لا تحسين بى وأنا أدخل ؟ ! »

قالت رضوى :

ـ « أنا التى تركت لك البـاب مواربا لأننى خشيت أن تأتى ولا يكون لدى القدرة على ترك المكان الدافىء الذى أنا فيه . آه . بالفعل . لقد خشيت ذلك » .

قالت ليلى :

ـ « وأنا وجدت الباب مفتوحا » .

قالت ذلك وخلعت معطفها ولم يكن قد تبلل كثيرا ، لكن المطر أصـابه برذاذ خفيف عـلى الكتفين ، ثم استندت برأسها على خلفية «الفوتى» وقـد مدت ذراعيها النحيلتين على جانبيه ، ثم انهـا أغمضت عينيها ، وانتظرت رضـوى أن تقول شيئا ، ـ (هكذا كانت قد حدثتهـا فى التليفون وطلبت منها الحضـور لتسـتمع الى حكايتها) ـ لكنها لم تقل ، فقالت رضوى نفسها :

« كيف حال المطر ؟ » .

فتحت ليلى عينيها وقالت دون أن تنظر اليها ، وبشىء من الملل :

ـ « أى مطر يا رضوى ؟ » .

كانت ذراعا رضوى ترتعشان الآن بالفعل ، فأخذت تقاوم الرعشة دون أن تكون قادرة على حركة جريئة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قالت رضوى :

ـ « هذا المطر ! » •

قالت ليلى ـ وهى تعتدل وتنظر الى المصباح ذى الضوء الخفيف المائل الى الاصفرار :

ـ « ليس هناك مطر على الاطلاق • انه مجرد رذاذ خفيف لزج » •

قالت رضوى :

ـ « ولكن •• هذه الأصوات ؟ » •

قالت ليلى :

ـ « لقد قلت لك كثيرا جدا انها مجرد خيالاتك التى تجعلك تبـالغين • لقد قلت لك مرارا أن تحاولى كبح خيالك • أقلت لك ذلك أم لا ؟ » •

قالت رضوى :

ـ « ولكننى أسمع صوتا كأنه مطر غزير ! » •

قالت ليلى :

ـ « ما عليك الا أن تذهبى الى الشرفة وتفتحى الشراعتين لترى اذا كان خفيفا أم أى شىء » •

نظرت رضوى الى نفس المكان الذى كانت ليلى تنظر اليه ، ناحية المصباح ، وخشيت مزاج ليلى وكانت تعرفه ، لكنها لم تكن تعرف طريقة تغير بها مجرى الحديث ، وكان يتجه ناحية الخلاف ، وبدا لها أنه من الأفضل لو تجاهلت الموضوع الذى كانت تود أن تكلمها عنه ، لكنها عجزت عن المقاومة ، ورأت ذراعيها ترتعشان بشدة ، وعند ذلك تساقط المطر غزيرا بالفعل ، وكانت ليلى قد عادت وأسندت رأسها على جانب المقعد ، وانفجرت فى البكاء • وقفت رضوى ، لكنها ، رأت شابا يمد يده الى شراعة الباب المفتوح ويسأل :

ـ « هل أغلق الباب ؟ » •

شعرت رضوى بذعر ، وخشيت ألا يكون هذا مجرد مبالغة من ذلك النوع الذى حدثتها عنه ليلى منذ قليل ، لكنها سمعت صوت انغلاق الباب بالفعل •

ظلت واقفة لحظات ، وبدأت ليلى تكف عن البكاء ، فتقدمت ناحيتها ومالت عليها •

قالت رضوى :

ـ « ما الذى حـدث ؟ • يمكننى أن أستمع اليك » •

قالت ليلى وهى تمسح الدمع عن خديها :

ـ « لا شىء • لقد جئت لأسـمعك • وهأنذا مستعدة الآن • يمكنك أنت أن تقول » •

ابتسمت رضوى وقالت :

ـ « هل يمكننا أن نذهب ونتحدث فى الفراش • اننى أشعر ببرد شديد • هل يمكن ؟ • اننى أحتاج لدفء » •

ابتسمت ليلى ومدت يدهـا ، فاصـطدمت بالكتاب الذى كان على جانب المقعد : كانت باردة بالفعل •

الجنون والبحر

□ أحمد سويلم

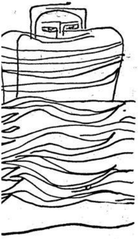

ساكنٌ فى ضلوعى اشتهاؤكَ
يابحرُ ..
إنى تحدرتُ من سافيات الرياح
ومن غضب الآلهة .
أعيُنى لكَ - ياقدرى - والهة
مقلتايَ تسمرتا فى امتداد ذراعيك
حيث تكسرتِ الشمس .. يهزمها الموجُ
حيث تغيب النوارسُ مفعمةَ القلبِ
حيث تضلُّ عيون البشرْ
إننى جمرة أستعرْ ..
- لو تحسست جلدى ..
توقدتَ ..
لو تلمستَ خفق ضلوعى .. تفجرت ..
لو تسللتَ بين خيوط دمى
لتغير لونك
وانفرطت ذبذبات مياهكَ ..
وانكسرت فى شواطئك الراسيات
العنيدة ..

* * *

إن عينيَّ - ياقاتلى - الآنَ
تستعذب الغوصَ ..
أصرع كل الأساطير ..
- أستعذب الغوصَ -
أمتصُّ ملحكَ حتى يطهرَ خطوى ..
- أستعذبُ الغوصَ -

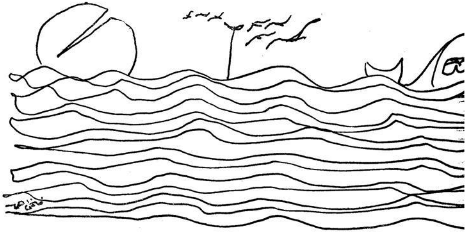

أتخطى رقـاب الوحوش التى تكمن الآن
ترصدنى من بعيد ..
تسـدد سهماً من البغض
يرتد من حيث جـاء ..
وأواصل غوصى .. إلى حيث يحتدم
القلبُ
حيث ينفجر القلبُ ..
يخلع ظلمته .. وبضاء ..
واعـدتنى زمـانـاً ..
ومااالوصل إلا وعود اشتهاء
أ مل الآن لؤلؤة القلبِ ..
حين توهج حلم الزمان
بعينىَّ .. لم أستكن

لم تضعضع جنونى المحن
كان وعـدى لها قبلـةً
واشـتهائى صـلاةً
وسـكر جنونى .. فناء ..
قلتُ : لن يئدَ البحر قلباً تطهر بالملح
أو أعيناً تتضوء بالجرح ..
أو قدماً لايضعضعها السفح
كنت يابحـر سكر عيونى ..
تعتصـر القلب ..
تلطمنى – ساعـة – بالأساطير ..
حتى كأنى خيطٌ عصى من
الموج ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

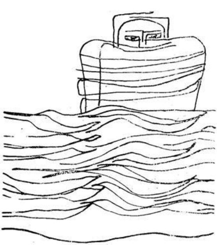

تحملنى ساعة فوق كفيكَ

تمسح عنى جراحى .. تبدد

خــوفى

تضحك .. تسخر .. يهتز من صوتك

العالم الرحبُ.

تندثر الأَرضُ .. أغمض عينىَّ

يحملنى البحر فى حلقات الـدوار . . .

أحمل الآن لـؤلـؤة القلب ..

أبدأ خطو انتصار ..

داخلى البحر .. والشعر .. والليل . .

والشمس .. والسكر كل الرؤى بين

قبضة كفى .. اعتصار

* * *

ياروْى العين .. إنى خُلقت جديدا

من البرق .. والرعد .. والموج .. والعصف ..

والزلزلات العنيدة راحلٌ بين عينيك ..

أنظر كل الذى سوف يأْتى مع المـد

كل الذى مــاأود ..

ومــالا أود ..

فاقبضينىَ غرساً من الوهج المستعر

وابدِّنى الآن عمــر الـدوار ..

إن بقلبى جنوناً من البحر

لا ينحسر ..

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه اللحظة

■ محمد المخزنجي

انقطع التيار ، فجأة ، وأنا فى الشارع •

سادت الظلمة ، وأحسست أننى – على غير انتظار – أنبعث فى هذا الليل

بدا العالم حولى كأنما ولد من جديد فى هذه اللحظة • بدا طازجا وأليفا خلال صفاء الظلمة ، حتى أن هواء الليل البارد قد استحال نسيما يرطب جبهتى ، ويملأ صدرى بالانتعاش •

شعرت على نحو مفاجىء أننى أفتقد الحياة • أفتقد الحياة حقا منذ أمد بعيد ، وغشانى اليقين أننى كنت أحيا سنينى الأخيرة ميتا على نحو ما •

شعرت بحاجة هائلة للبكاء ، المحرق ، وودت لو أجرى صارخا ما أستطيع ، دون أن يتعرف على أحد فى هذه الظلمة •

لكننى اكتشفت المدى اللا نهائى من الراحة ، فى الغناء •

راح صوتى يتعثر ، حتى سلست « الدندنات » ، ثم انبثقت فى فضاء الروح مقاطع الأغنيات الحلوة البسيطة ، البعيدة ، التى ظننتها ماتت فى نفسى من قديم •

أخذ أدائى يشجينى كلما جلوت صوتى بالغناء ، وكنت أتمادى فأشعر كأنى أفلت من مراقبة ما ، كأنى أعتق من شىء يكبلنى ، وأنطلق خفيفا خفيفا فى رهافة الظلمة ، وبراحها •

انتبهت الى نفسى وقد بلغ شدوى حد ارتفاع الصوت ، فسكت متلفتا ، أتحسب استغراب الناس الماضين – كاشباح – فى الظلمة حولى •

لكن هنيهة خجلى تحولت الى دهشة عندما أرهفت السمع ، واقفا فى ظلمة الشارع الكبير •

سمعت ما يشبه همهمات خافتة ، ثم تبينت النغم فى تداخل الأصوات ، وكأن أفراد فرقة موسيقية – وقد اختفوا فى مكان ما – يضبطون آلاتهم قبيل ابتداء العزف •

رحت أميز اختلاف الأصوات والأغانى كلما مرت بى أشباح الناس فى الظلمة : كل شبح بصوت ، وكل صوت بأغنية ، وكل الأغانى كانت مفعمة بالشجو والشجن •

عدت أواصل سيرى والغناء ، وكان صوتى يرتعش ، وتروغ الأغانى ، كلما أوجست عودة التيار ، بغتة •

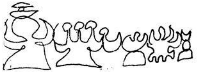

الطمأنينة

كامل أيوب

أيتها الطمأنينة

ماذا تخبئين تحت سطح وجهك الكذوب

غير فِطرِ الاعتياد والأ فونة ؟ ؟

* * *

أكرهُ أن أراكِ

على ملامح الخليلة الجميلة

منذ أتيتِ مرَّةً بآخرِ المساء

تطوقين وجهها فى النوم بالهدوء والسكينةْ

وكنتُ ما أزالُ بعد أن سقيتُ كرمها وأخلدت

إلى النعاس .

مسهدا موزع الإحساس

وظامئا بقربها تنوشُنى الوحدَة ! !

أكـرهُ أن أراك

بأعين الرجال ترفعين شارة التكيُّف البليد

ترسمين صورة الترهُّل اللعينةْ

حين يصيبُ الرُّوح .

فتعلن التسليم والرِّضى .. ويَخمدُ البريق والسُّخونةْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتفقد النسور قدرة التحليق .. تنتهى ..
تمــوتُ
في حظائر الدجاج مستكينة . .
أكره أن أراك
فى نشرة الأخبار تنُقِلينى أنباء الأمان
للجياع فى المدينةْ
وتعلينهم بالعدل والرخــاء .
بينا يجوبُ الفُرسُ والرومانُ والهكسوسُ
فى أرجائها
وينهبون ما يتاح من كنوزها الثمينة ..
أيتها البحيرةُ الراكدةُ المسكونة

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

بالطين والحصى وبالديدان والطحالب
الهزيلة المسنونة . .
أفزع منك أشمئز من خنوعك
الضعيف .. من سكونِكِ المريب
فالتمِس صراحةَ البحر وجُرأة التيار فى
أمواجِهِ المجنونةْ . .
تحركى ! تعذّبِى بالمد والجزْر .. أنهضى
وجاوبِى
عواصفَ الرياح .. قاومى تقلب الفصول
إنْ شِئْتِ أن ينطلق البركانُ من
قاعِكِ .. أنْ تكتشفى قُوّتك الدفينة ..

المراقب

أحمد الشيخ

آفته الكبرى برغم امتيازه الواضح هي افتعال النسيان ، يحدثني ثم يشرد ببصره بعيدا متصنعا عدم سماعه لأقوالى ، يهمهم قائلا :

ـ ماذا قلت ؟ عفوا ، لم أتابعك بشكل لائق أرجو أن تعيد على مسامعى كلامك مرة أخرى .

فى أول الأمر كنت أكرر كلماتى وأحاول أن أكون دقيقا فى ذلك ، لكنه كان يقاطعنى قائلا :

ـ لا ، أنت لم تقل هذا الكلام يا صاحبى ، لماذا تغير ألفاظك بين لحظة وأخرى ؟ الألفاظ تعبر عن الانسان ، أنت انسان متقلب المزاج ، حائر ، ولا تثبت على حال ، سأعيد عليك ألفاظك الاولى وأقارنها بما قلته بعد ذلك ، لتتبين الى أى حد تختلف الكلمات .

يقول هذا ، ويعيد على مسامعى ما سبق أن قلته بدقة فى المرتين ، لدرجة تدهشنى من مقدرته الفائقة على التقاط الكلمات ، وعندما تظهر الدهشة على ملامحى يقول بثقة :

ـ ليس من السهل خداعى ، فأنا شاعر ، صناعتى هى الكلمات ، أكتبها وأحفظها ، وأرددها ، حتى ولو كان ما أسمعه صخبا ممتزجا فى ميدان فسيح ، أما أنت فلا تعرف أهمية الكلمات ، لأنك لست شاعرا مثلى .

كنت أتقبل لومه دائما ، دون أن أجرؤ على سؤاله عن سر ذاكرته القوية التى يتميز بها ، ذلك أنه كان بارعا في تذكر الأحداث ، والتواريخ ، وأسماء الأشخاص الذين يلتقى بهم فى كل مكان ، لكنه كان ينظر الى أحيانا بدهشة ويسألنى عن السر فى عدم اهتمامى بالشعر قائلا :

ـ أنت رجل غريب ، ذاكرتك ضعيفة بحق ، ومع ذلك تدرس التاريخ ، أمثالك يصلحون للشعر ، ولولا ثقتى فى كل ما أكتب من قصائد، لتمنيت أن نتبادل مراكزنا ، تكتب أنت الشعر ، وأدرس أنا التاريخ .

وعلى هذا النحو كانت علاقتى به تزداد ترابطا على مدى الأيام ، يحدثنى عن همومه كشاعر ، وأحدثه عن همومى كدارس للتاريخ ، أعمل فى الصباح كاتبا على الآلة الكاتبة في شركة مقاولات، ويعمل هو فى مركز الأبحاث .

ولست أصدق دعواه التى قالها مرة من أنه أصيب بعدوى النسيان هو الآخر ، ذلك أننى كنت أثق أن فكرته عن الشعر ، وضرورة أن يكون الشاعر أكثر تحليقا فى عوالم بعيدة ، وأن تكون ذاكرته أميل الى النسيان ، هى السبب الحقيقى وراء تلك التصرفات الغريبة التى كان يلجأ اليها أحيانا ، بينما أراقبه وهو يتعامل مع بعض الأصدقاء ـ متناسيا أسماءهم أو أرقام تليفوناتهم ، أو عناوين منازلهم ، قائلا فى كل مرة :

ـ عفوا ، لقد نسيت ، اعذرنى ، اننى مصاب بداء النسيان ، كانت ذاكرتى قوية ، ثم فقدتها فى صباح لا أذكره .

وكان الآخرون يتهامسون أحيانا بما يفيد تصديقه دون مناقشة قائلين :

ـ فعلا ، لابد أنك نسيت ، هكذا الشعراء دائما ، انهم أكثر الناس نسيانا .

أما أنا فكنت أنظر اليه ، الى الغبطة التى ظهرت على ملامحه ، عند سماع مثل هذه الأقوال ، وأقول لنفسى : انه يتصنع النسيان ، دون أن أدرى لذلك سببا غير الوهم الثابت فى عقله الواعى ، بضرورة أن ينسى الشعراء .

دربت عقلى على التذكر قبل الامتحان ، كان

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

من الضرورى أن أنجح فى دروس التاريخ ، برغم كل العسر الذى صادفنى فى حفظ الأسماء والتواريخ ، حاصرت نفسى بفكرة مؤداها أن التمادى فى الاستسلام لحالة النسيان التى أعانى منها غباء حقيقى وعجز عن الفهم يتعلل بالنسيان ، وقلت انه اذا كان صديقى الشاعر يتباهى بالتناسى ليسمع المديح فاننى لن أحصل الا على الفشل فى دراستى ، ولذا فلابد أن أنجح فى حفظ الأسماء والتواريخ مهما كلفنى الامر من مشقة وسهر .

يوم الامتحان كنت أجلس فى القاعة الكبيرة، أحاول أن أندمج مع الآخرين فى أى حوار قد يؤدى الى ضياع المعلومات التى شقيت فى حفظها ، كنت مشحونا بالتوتر والقلق ، أسترجع ما كان يعلق فى ذهنى من معلومات دقيقة وأسماء معارك وأبطال ومدن ، متخوفا من احتمال الخلط والخطأ لحظة الاجابة ، قائلا لنفسى اننى سوف أراجع ما أكتبه قبل تسليم ورقة الاجابة للمراقب .

عندما تسلمت ورقة الأسئلة تمثلت الأحداث والتواريخ فاطمأن قلبى ، لكننى امعانا فى الحرص رحت أكتب بقلم الرصاص فى أوراق الاجابة أهم الخطوط التى سوف أحتاج اليها عند الاجابة ، ثم شرعت فى الكتابة بحماس وثقة ، كانت المعلومات تتوالد والذاكرة تعمل على خير وجه مما جعلنى ألوم نفسى على تلك المخاوف التى كنت أعانى منها قبلا ، كنت غائبا عما يدور حولى حتى جاء أحدهم ، أدركت أنه مراقب ، مد يده وقلب أوراق الاجابة ربما ليطمئن أننى لا أغش كما يفعل البعض ، كان رجلا مهذبا له ابتسامة ودودة مهذبة ، قال فى ود وتعاطف بينما يشير الى غلاف أوراق الاجابة :

ـ اكتب اسمك هنا .

لحظتها غبت عن نفسى ، أو أفقت لنفسى ، لأطرح على عقلى المدرك المتألق سؤالا عن اسمى ، فيصر عقلى على انكار المعرفة تماما ، أحسست بالحرج ، بينما المراقب الودود يقول ، فى اصرار وتعاطف ، ما سبق أن قاله لصالحى :

ـ اكتب اسمك ، ماشاء الله ، اكتب اسمك هنا ، أنت طالب مجتهد ، وحرام أن تتوه ورقتك مع ورقة طالب آخر ، لم يجهد نفسه فى المذاكرة مثلك ، اكتب الاسم أولا حتى لا تنساه .

ودون أن أدرى قلت :

ـ لكننى نسيته .

لكن المراقب لم يقتنع بذلك ، حسبها نكتة عارضة ، فكرر طلبه من جديد :

ـ اكتب اسمك .

ومن جديد قلت :

ـ نسيته ، نسيته .

بدا له أننى مصر على السخرية منه ، فقال بحدة أكثر :

ـ ليس عندى وقت أضيعه معك فى مثل هذا الهذر السخيف ، اكتب اسمك ياسيد .

ولما كنت أثق يقينا أننى لا أدعى سيد ، فقد قلت :

ـ عفوا ، لى اسم آخر غير سيد .. لا أذكره .

ثار الرجل ، وراح يصرخ فى انفعال ظاهر ، متوهما أننى أصر على مشاكسته ، لمجرد المشاكسة ، التفتت الينا كل العيون ، بينما يقول بصوت عال :

ـ عيب .. كلام فارغ ، اطلب منك كتابة اسمك فتسخر منى ، وأنا فى سن والدك ؟ الاطفك فتحسبنى غبيا الى هذا الحد ؟ أنا ياحضرات موظف محترم استحق الاهتمام لا الاستهزاء به كما يحدث الآن ، كرامتى أهم عندى من أى مكافأة أحصل عليها نظير مراقبتى ، وفى مثل سنى لا يحق له أن يطالبنى بأن أتمادى معه فى التهريج ، أأراعى مصلحتك فتسخر منى ؟ أنت طالب فى الجامعة ، فهل هذه أصول التربية ياحضرات ؟

كان الرجل يرتجف من شدة التأثر ، وملامحه الودودة اللطيفة تتبدل الى ملامح متوترة مشدودة قاسية ومخيفة أيضا ، جاء الآخرون ، مراقبون وأساتذة مساعدون ومدرسون ، ثم جاء العميد ، أحاطوا بالرجل فى محاولة لتهدئته ، بينما الطلبة والطالبات قد تركوا أقلامهم وكفوا عن الكتابة ، حسم العميد أمره ، وقال بينما يشير الى :

ـ هات أوراقك واتبعنى ، وأنت ياأستاذ ، تعال أيضا الى حجرتى .

قمت من مكانى ، وحملت أوراقى ، وسرت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خلف العميد ، بين نظرات الدهشة والرهبة مما يحدث ، ولأول مرة أدخل هذه الحجرة الفسيحة، حائرا كيف سأتمكن من الخروج من مأزق وجدتنى موضوعا فيه غصبا عنى ، أمرنى العميد بأن أجلس ، أن أحدثه عما جرى ، فتلعثمت بطريقة جعلته يحسبنى أخطأت فى حق المراقب ، مصمص شفتيه ، ونظر نحو الباب الذى دخل منه المراقب متساندا على أحد الأساتذة ، كان الرجل قد تهالك على نفسه تماما ، كان يبدو منفعلا ، ومتأثرا الى حد كبير ، جلس على أول مقعد صادفه ، وجعل يلهث ، وكأنما روحه على وشك الخروج ٠٠ أمر العميد بكوب ليمون للمراقب حتى تهدأ أعصابه والتفت الى متوعدا ، ولائما فى نفس الوقت ، لأننى تسببت فى كل هذه الفوضى ، وفى يوم امتحان ، قال متبسطا للمراقب :

ـ والآن ، حدثنى ، ماذا حدث بالضبط ، نحن لا نرضى بأن يتجاوز أى طالب حدود الأدب ٠

قال المراقب بعسر شديد ، بينما يلتقط أنفاسه أثر كل عبارة يقولها :

ـ لاشىء ٠٠ لاشىء ياسيدى ، ليس عندى ما يقال ، لا أريد أن أكون سببا فى أى ضرر يناله ، انه على أى حال مثل واحد من أولادى ، أولادى مثله طلبة فى الجامعة ، لكننى ياسيادة العميد أحسنت تربيتهم ، وعلى أى حال ، هو واحد من شباب هذه الأيام ، لا يقدر المسئولية ، ولا يحترم أمثالنا من كبار السن ، جيلنا ياسيادة العميد كان يحترم الآباء ، ولقد تحملنا أخطاءهم ، وضحينا من أجل أولادنا ، اننى أبحث عن عمل اضافى رغم كبر سنى ، اسعى فى مناكبها كما يقولون ، لأزيد دخلى من أجل مستقبل أولادى ، أحرم نفسى من كل شىء ، لأدفع لهم مصاريف الجامعة ، وأثمان الكتب ، الأسعار غالية كما تعرفون ، اننى لا أشترى لنفسى ما يستحق أمثالى للمحافظة على مظهرهم أمام الناس ، ملابسى قديمة كما ترون ، ياقات قمصانى وأساورها ممزقة ، رباط عنقى عتيق ، ولا يليق بأحد فى هذا العصر ، لكن ما حيلتى ، حذائى قديم ممزق ، لو فكرت فى اصلاح نفسى ما استطعت أن أعلم أولادى أو أطعمهم ، لكن هؤلاء الشباب يسخرون منا كلما وجدوا الفرصة لذلك ، اننى أضحى ولا أجد من يقدر هذه التضحية ، وكل ما أطلبه هو اعفائى من الاستمرار فى المراقبة ، كرامتى لا تحتمل ياحضرات ، أنا برغم كل شىء انسان محترم ، ونظيف اليد ، و ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ !

جاهد بعسر أن يكمل حديثه لكنه لم يستطع، حاول أن يقوم من مقعده فلم يتمكن ، حدق بعينيه ناحيتى ، ثم سقط رأسه على مسند المقعد ، تكهرب الجو ، وتبادل العميد مع الأساتذة نظرة مفجوعة ، جس أحدهم نبض الرجل ، وهز رأسه أسفا ، وأعلن فى صوت حزين :

ـ الرجل مات ٠

انصبت على وجهى النظرات ، تحيرت ، تاهت من عقلى كل الدفاعات التى كنت أفكر فيها لأخرج من المأزق ، كان الموت الذى عشش بسطوته على المكان أقوى من كل الكلمات ، ومرة أخرى أفاجأ بالسؤال :

ـ اسمك ٠

قالها العميد ولم يتلق جوابا ، مد يده الى كراسة الاجابة ، ولم يعثر على الاسم ، فثار :

ـ هذه فوضى ، أين الاسم ، لماذا لم تكتب اسمك حتى الآن ، هل أنت طالب عندنا ؟ أم انك مندس ؟ ان ظاهرة المندسين فى الجامعة تستفحل هذه الأيام ٠ ها هو واحد منهم ، مندس ، يأتون ويتسللون بين الطلبة ، يبثون أفكارهم المسمومة ويحولون الجامعة الى مسرح لأحداث الشغب ، يقودون أبنائى الطلبة الأبرياء فى مظاهرات متكررة تطالب بأشياء لا تعنيهم ، نحن فى مأزق حقيقى ، لقد مات الرجل بسبب هذا المندس الغريب عن ساحة العلم ، وأنا أسألكم عن الطريقة التى تعالج بها الأمر ، ان عجزنا عن منع أمثال هذا المندس من الاندساس وسط الطلبة شىء مؤسف ، ولكن ، هل نبلغ البوليس؟ أعتقد أنه من الأجدى أن نقوم بابلاغ مباحث أمن الدولة ، أو جهاز المدعى الاشتراكى ، أعتقد أنه هو المختص بمحاكمة أمثاله من المندسين ، آه٠٠ هذه هى نهاية ميولك التخريبية ، قتل انسان برىء ٠

كان يدير قرص التليفون بعصبية ، فقال أحد الأساتذة من ركن الحجرة :

– نتأكد أولا من موت الرجل ، ربما كان فى حالة اغماء ·

قال آخر :

– أظنه مات ، ومن الاوفق ابلاغ النائب العام ·

قال ثالث :

– ولماذا لا نبلغ المخابرات العامة ، اننى أفسر الأمر على أنه قتل سياسى مدبر ·

عارض الأول فى حماس :

– الاسعاف ، الاسعاف أولا ، ثم اننى أشك فى أن يكون هذا الطالب مندسا ، انه منتسب فى قسم التاريخ كما أظن ، والآن ، قل لنا اسمك ، المسألة بسيطة كما ترى ، قل اسمك حتى يزول سوء التفاهم الذى حدث ·

لكننى قلت معتذرا للاستاذ المدافع عنى :

– صدقنى ، صدقنى اذا قلت لسيادتك أننى نسيته فى زحمة الأحداث ، ومن قبلها من رهبة الامتحان ·

شعرت بالرضى عن نفسى ، لأننى أحسنت التعبير عن مشاعرى ، ولأننى نلت بعض الرضى على الأقل جعلت الأكثرية من الأساتذة فى موقف حيادى ، بعد أن كان الكل ضدى ، لكن العميد تململ فى مكانه ثم واجهنى مستفسرا :

– ولكن هل أنت طالب ياولد ؟

– ليست هذه هى القضية يا سيادة العميد ، القضية هى التأكد من حالة الرجل أولا ·

قلت هذه العبارة وأنا أتقمص شخصية صديقى الشاعر الذى ينجح غالبا فى صياغة الكلمات ، بهدف الخروج من المواقف الحرجة فى أى حوار ، متوهما أننى أتقدم الى الأمام أكثر · لكنه حدث أن اقتحم الغرفة رجلان أكرشان ، يتقدمهما رجل نحيل ، يرتدى معطفا صوفيا ، ويتصبب عرقا بسبب حرارة الجو · اقترب النحيل من السيد العميد ، وشد على يده فى حرارة ، قبل أن يلتفت نحوى ، وهو يقول :

– تحت أمركم ، آه هذا الولد نعرفه ، أنا أعرفه جيدا وأعرف شركاءه ، انه أحد المشاركين فى المظاهرة الأخيرة ، مخرب كما يعرف هو نفسه ذلك عن نفسه ، والآن قل لنا اسمك الحقيقى ، لا داعى للكذب ، نحن نراقبك من مدة طويلة ، نعرف أسماء أجدادك ، وأصدقائك ، والأماكن التى ترتادها ، لا تكذب فلن يفيدك الكذب فى شىء ، وعلى أى حال ، فحتى لو كذبت الآن ، فسوف تعترف بكل شىء بعد ذلك ، عملنا هو تعليم أمثالك كيف ومتى يقولون الصدق ·

وعندما انهى عبارته الأخيرة أشار الى الرجلين الأكرشين فأحاطا بى من كلا الجانبين ، قمت مستسلما وقرأت على وجوه الأساتذة والعميد نظرة مدهوشة عاجزة عن التعليق بأى كلمة مناسبة ·

فى السيارة السوداء التى لا أعرف أى الجهات تتبع ، كنت أجلس بين الرجلين الأكرشين بينما الرجل النحيل ذو المعطف يجلس بجوار السائق ، كنت مازلت أفكر فى التاريخ القديم ، استحضر الأسماء والمعارك ، وتواريخ البطولات ، وأعداد القتلى ، أتمثل الضحايا الذين لم يذكرهم التاريخ لحظة سقوطهم فى الميدان ، دون أمل فى تحقيق المجد لذواتهم ، أتعاطف معهم ، وأقول لنفسى : انهم برغم ما حدث من أنهم ماتوا فى صمت ، ولم يذكرهم التاريخ أكثر اخلاصا لأوطانهم ، ذلك أنهم تركوا لقادتهم الأمجاد والبطولات ، كانت ذاكرتى قد انفصلت عن اللحظة التى أعايشها ، وغاصت فى تواريخ الرجال والشعوب الحاسمة ، ناسيا اسمى ، ومضحيا به ، بينما تنحرف السيارة يمينا ، ثم شمالا ، ثم يمينا آخر ، بعدها تنحرف أكثر من كل توقعاتنا نحن راكبى السيارة ناحية اليمين ، فتوشك أن تنقلب لولا مهارة السائق الذى يعالجها الى اليسار مرة أخرى ، بعدها عدت من جديد أتذكر أسماء الشهداء ومواقع استشهادهم وتواريخها البعيدة ، سعيدا بذلك التألق النادر فى ذاكرتى ، وراضيا فى ذات الوقت بنسيان اسمى ، وهويتى ، الى آخر العمر ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سندباد يواجه التحدي

■ عبد الرحيم عمر - الأردن

وكان التجار يلقون بقطع اللحم الكبيرة فى اعماق الأودية فتاتى الطيور وتلتقطها مع ما يعلق بها من الأحجار الكريمة واذا ما حطت الطيور على قمم الجبال نفرها التجار وسارعوا لالتقاط الحجارة الكريمة ومضوا .

أقفر الوادى
وأنت الآن فى مأزقك الدامى وحيد
ياغريب الدار
لا ماء ولا زادٌ وهذى قسوة الصحراء
تلقيك إلى رائعة الموت طعيناً من جديد

* * *

غدر الحادى
وهذا الدربُ كالنَّهر وكالقبر ، وأحلام
المساكينِ ،
أحادى النهاية
دأبُه أن يأخذ الشارين لكنْ لايُعيد
هكذا راحوا ومافى الأفق منهم أىُّ شارة
مرَّةً أخرى يخون الركبُ
تبقى أنت والدرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذى الأرضُ غير الأرضِ
ما فيها العصافير التى كانت إذا طال غياب الفجر
تأتيك تغنى للبشارة
وسنا يوم سعيد

* * *

فارحمى . . . أوفاحسمى
ياتلال الملح والهم ! تُرى فى جعبة الريح
نواحٌ أم نشيد ؟

* * *

ههنا فى أرض « قارون » ، يموت الناس
من جوع ويُلقى اللحم للطّير
« ومن ذلّ ، يبرر قسوة القهر
ومن كبت ، يلفُّ الجرح بالجَمرِ »
ههنا الناس عبيدٌ أودعوا آمالهم فِي القاع ،
أنواع الحجارة
فارحمى يا أمُّ ، أو لا ، فاحسمى الأمر
وزيدى .

* * *

ماالذى تصنعه اليوم ، وهذا العالمُ الواسعُ
قد ضاق ، ولم يبق سوى التيه ، ونبض
الموتِ .
تلقاه بلا أهل ، ولا خيل بعيدًا ،
لاتُرجى نخوَة ، أو نجدةً تأتى من الصّمت
البعيد !

* * *

ماالذى تصنعه اليومَ ؟
وها هَول الخيار المر مرسومٌ على صم الحجارة
ماالذى يصنعه المرءُ إذا جرِّد هذا العالَمُ
المسكونُ بالرغبة فى الكسب ، وأضحى
كلُّ ما فى الكون من حُب ونُبل وفداءٍ وشجاعة
سلعًا ، تُطلبُ أو تُشرَى كما تُطلب أو
تشرى البضاعة
ثُمَّ ألفى نفسه أتلف أو بيع وماعاد له سوقٌ
وأن الناس مازالوا يباعون ويُشْرَوْن
وفى السُّوق رواجٌ وتجارة
مثلما فيها دهاء وشطارة .

* * *

اخرجى ياأرض من عينَيه ! غيبى
إن يَكُنْ ذاك : فميدى
واعزُبى ياصُوَرَ القسوة فى البريّة الأولى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وغيضي ياكنوز القاع ، ذوبى ياحجارة

فهو فى إصراره الفذ العنيد

لم تزل تـأسرهُ تلك الطهاره

ثائرًا ، تشغله أوطانُهُ

صابرا ، لا تنتهى أحزانُهُ

وهو حتى اللحظة الحيرى له إيمانُهُ

الصافى ونابُ الموتِ فى حبل الوريد .

* * *

أبعدى عنك دبيب اليأسِ

مازلنا على رغم الزمان النَّحسِ

حتى اللحظة الحمقاء مسؤولينَ

عن جدوى غروب الشمس ، والليل المديد

* * *

فتّشى عنهُم

لقد مزّقت الأيدىِ التى تحلم بالرِّيح

جسومًا منهمُ تُلقى إلى القاع وللطَّير

كما سلَّمت الأيدى التى تحلمُ بالذَّبح

ألوفاً للثرى الصادى

رفجدّى

واصرخى ملءَ فجاج البرِّ والبحر ونادى

ياأحبَّائى !

أحباء الردى والحلم فى تيه البوادى

غرباء الحقْل والفرحة فى كل النَّوادى

وارقبيهم : يفِدوا من ثَبج الأرض

وروع الرفضِ

نادى ! يفدوا من حرقة الحرف

وحدِّ السَّيف

نادى ! يَفِدوا من كلِّ حدب ينسلون

* * *

عظم الخطب وفى الدنيا كثيرٌ من شَرف

وهم الفتيةُ فى أعناقهم عهد الشَّرفْ

وعلى دربهم نحو الهدف

حيثما اجتازت خيولُ الكدِّ قوس المنعطف

طالما نادى المنادى

فاستجابوا يسقطون

واستجابوا يُؤسرون

واستجابوا يُقتلون

وهم الأدرى بأن القدر العادى

يقفوهم إلى كل المنافى والبلاد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عن التأرجح بين حبال الموت والحياة

■ نصار عبد الله

الموتى يتكئون إلى جدران المــوت

إن المــوت جدارٌ ودثارٌ للموتى

أما أنتا

فإلى لاشيءٍ تريح الظهر المكدود ،

إذا طــال بك السير وأُجهدتا

متْ إن شئتا

أو فلتصمت صمتا

أو فلتكتم أنفاسك حتى

تحكي صفرةُ وجهك لونَ رمال الأَرض

ولتمكث حيث تكون إلى أن يلقيك الأَحياءُ ،

إلى جُبِّ المــوتى

* * *

هذا يوم من أيام الخداعين المخدوعين

هذا يوم من أيام البَشر الفانين

هتأَرجح قلبك فيهِ

بين سياط الجلادين وبين ظهور المجلودين

تتواصل فيه الأَيام وتتصل الآلام إلى

يوم الدين ..!

فانجُ بنفسك أو لاتنجُ فإن الناجين

النَّاجين

هم من هلكوا الآن قبيلَ الطامة

والطوفــان

وقبل هطول المطر المتدفق من غسلين

ومن حمأٍ مسنون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنت أيضًا ترتجف

□ فتحى سلامه

● فى اليوم السابق ، ذكرت لك أن السيدة عندما فتحت لى باب منزلها ، كانت ترتجف ، وكنت أنا أيضا كذلك • وعندما دخلت وجلست ، كما سبق وقلت لك ، شعرت بوعكة خفيفة فى أسفل بطنى ، وراحت ذبابة لعينة تطن داخل رأسى ، وكما حكيت لك بالأمس ، خرجت بعدها وجلست على طوار الشارع أنظر الى الأسفلت الأسود ، ثم تحاملت على نفسى وعدت الى المنزل وكان الاحساس بالانتصار هو ما تملكنى عندما أردت النوم ، هكذا قلت لك بالأمس ، ولكنى تذكرت أننى لم أقل لك ، أقصد أننى نسيت أن أقص عليك ماذا فعلت منذ أن دخلت وجلست حتى خرجت ، ذلك لأننى بالأمس لم أكن متذكرا كل شىء ، وكل ما ذكرته لك كنت وقتها أتذكره بصعوبة لأن طنين الذبابة بدأ يعلو داخل رأسى ، وأعتقد أننى لم أحاول التذكر جيدا ، لأن ما حدث فيما بين جلوسى وبين خروجى من منزلها ، هو الأهم وهو أيضا الأجمل • ذلك ــ وهذا ما سوف أحكيه لك الآن ــ أن السيدة كانت قد وعدتنى بأن لا تبوح هى بشىء فى مقابل أن لا أبوح أنا • واليوم ، عندما كنت صاعدا سلالم المنزل الرخامية ، رمقنى حارس الباب وهز رأسه ، ويبدو أنه ابتسم فى سخرية • لا أقصد السخرية وانما ابتسم فى حسد ، ولا حسد أيضا ، انما ابتسم فى غل •• نعم انها ابتسامة غل ••• والرجل ــ حتى ولو كان حارسا لأحد المنازل المقامة على النيل ــ يغار من الرجل الآخر القادم من وسط المدينة ، ولا بد أنه يقول فى نفسه : ولم لا أكون أنا الصاعد اليها ؟!

بل دعنى أصارحك اليوم ــ أنك سوف تبتسم أنت أيضا الآن ، وتقول داخل فمك نفس الكلمات ، وأنت طبعا تعدنى عبيطا ، ولا أساوى فى عالم الرجال ما تساويه أنت ! وأعترف لك من الآن •• انك على حق ، وأنا كذلك لا أساوى ما تساويه أنت ، ولكن وهذا ما سوف أعترف به لك الآن قبل أن أنساه •• اننى عندما جلست وراحت الذبابة تطن داخل رأسى ، كانت هى تحوم حولى فى توسل ؟ لا •• أعتقد أنها كانت تحوم حولى فى خبث •• أصارحك •• أننى لم ألتفت اليها جيدا ، ولهذا لم أستطع تحديد نوع دورانها حولى ، أعترف بينى وبينك أننى كنت أرتعد ، بل كانت مفاصلى مفكوكة ، وعندما قدمت لى علبة السجائر •• وقفت مرتعدا ، وامتدت يدى الى العلبة ثم تراجعت ، أنت تعرف أننى لم أعد أدخن •• أنت طبعا تذكر هذا •• حقا اننى لم أعد أتذكر مسألة التدخين هذه ، وياليتك تخبرنى بحقيقة الأمر ، المهم اننى لم أحاول التدخين لا بسبب أنى تذكرت أننى لم أعد أدخن •• لأننى صراحة لم أعد أتذكر هل أنا أدخن أم لا ، •• بل لأننى ارتبكت ووجدت أنه من الأسهل أن أرفض • تصور يا صديقى أنها غضبت ، وجلست أمامى وهى تدخن فى شراهة ، ثم قامت وجلست بجوارى ووضعت •• سوف أذكر لك كل شىء بصراحة ، فأرجوك لا تخبر أحدا ، لقد وعدتها أن لا أخبر أحدا بما حدث ، وها أنا أخبرك لكى تتدبر معى الأمر ، وتقول لى كيف أمسك لسانى فلا أخبر أحدا بما حدث • ان هذا الحارس اللعين عندما نظر الى ، وابتسم ، ثم أصدر صوتا • نعم نسيت أن أخبرك •• آسف

اننى مضطرب وأشعر باالرغبة فى البكاء ٠٠ نسيت أن أخبرك بأن الرجل حارس المنزل أصدر صوتا خبيثا ، لا ٠٠ لم أتبين ما قاله ٠٠ ولكنه خبيث ، سمعته يصل الى قفاى ، لم أحاول الالتفات نحوه ، مضيت فى صعودى ، أليس هذا أفضل ؟ نعم شعرت أن هذا أفضل ! ما الذى كنت سأفعله لو نظرت خلفى ورأيته وهو يبتسم وسمعته وهو يقول قولته الخبيثة ؟ ماذا ترانى كنت فاعلا ؟ ،

لا شىء ٠٠ انت تعرفنى حق المعرفة لو كنت معى ، لتشجعت ونظرت خلفى وقابلت نظرته بنظرة منى أشد قوة ، ورددت عليه قولته بأخرى أشد خبثا ، ولكنك لم تكن معى وهذه هى احدى عاداتك السيئة ، انك دائما تتركنى فى أحرج الأوقات ٠ ألم أقل لك تعال معى وأنا ذاهب اليها ؟

أتذكر ماذا قلت ؟ نعم ، تذكرت الآن ، انك ابتسمت فى سخرية ، نعم ابتسمت مثل حارس البوابة فى سخرية ، نعم تذكرت الآن وقلت كلمة خبيثة مثل تلك التى قالها حارس البوابة ٠

انك أيضا مثل ذلك الحارس ، لابد أنها أخبرتك كما أخبرته ، وأنت الآن تعرف تماما ماذا حدث منذ أن جلست وطنين الذبابة داخل رأسى حتى خرجت ٠ انها هى التى حكت لك وقصت عليك كل ما حدث ، بينما وعدتنى بألا تبوح بما حدث بيننا ، انها خانت العهد الذى بينى وبينها ، وحق لى أن أبوح أنا ايضا وأحكى لك ما حدث ٠٠ ولكن لماذا أحكى لك وأنت تعرف منها ٠٠ نعم لقد تذكرت الآن كل شىء ، ٠٠ عندما قصصت عليك بالأمس ما حدث ٠٠ كنت أنت أيضا ٠٠ لماذا لا أتذكر الأحداث الا بعد فوات الأوان ٠٠ نعم كنت انت أيضـــا موجودا معى فى منزلهـــا وكنت انت أيضا ترتجف ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التمساح والوردة

■ يسـرى خـميس

يكبر والدك يجاوز حد السيف
يسقطُ فى المستنقع ، يتلقفه الضفدع
يغرقُ فى الوحل ، لحد الركبة ، للسرة ،
للكتفين
فيوشكُ أنْ . . . .
تجذبه الوردة فى الماء الوسخ الآسن ـ
الوردةْ : تاج من فضّة
أوراقٌ بيضٌ تسع ، مغلقةٌ
مفتوحة
مياسمُ لون النّارنج .. الشهد..
الشمس
حبات لقاح لاتُحصى
فى كأْسٍ بللـوري أخضر .
تجذبه الوردة فى الماء الوسخ الآسن ،
يندفعُ فيمسكه الطين ، يحاولُ ، يمسكه
الطين ،
ينظرُ للخلف :
لا شجر ولازورق . بل رملٌ ورمالٌ وزُمُولُ
صحارَى صغرى ، وصحارى كبرى ، أوطانٌ
تتكلسُ ، بلدانٌ تتشقق ، وحدودٌ تتفكك ،
وضباعٌ ضارية تلعق عظم الموتى . ينظرُ
وجه الأم المهملةِ العاتب .
وجهكِ ياطفلتىَ التائهة بهذا العالم ،
على خديك الدمع ، وفى يدك الوردةُ
مكسورة .
تجذبه الوردة فى الماء الوسخ الآسن
مازال يُحاول ، فيمد يديـه لـ . . .
يغرق فى الوحل لحد الرقبة
وتصيرُ الرأسُ ـ الشطْ ، وبينهما الوردة
خيطاً متصلاً فوق الماء الوسخ الآسن ـ
لُعبةْ
يلعبها الأمرُ المتوهمّ فى حركات الأفلاك
الرملية
يا أللّــــــه ! ، ياالبهاء الوردة ! !
مر الهدهدُ فوق الـرأس وصاح
وانزلق على طول الخيط تجاه الشط
اكتشفَتْ عيناه
خلف الوردةِ ، يقبعُ منتظراً عند الشط ،
التمساح ! !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انطفاء

عبد اللطيف عبد الحليم

لا تشعلى القلب إنـــه انطفأت
رِغابُــه . حين ضمهــا الــوَسَــنُ
أو توقظى الريح .. إنها خمــدت
وردهــا عن جماحهــا أَسَـــــنُ
أحسبنى .. لا الخداعُ يبسم لى
ولا يــرانى فى جذبه رَسَـــــن
وبتُّ لاينبض الفـــــؤاد ولا
يهـــزه منطقٌ ولا لَسَـــــن
لكننى قــد نسيت ما اعتقدتْ
نفسى إذ لاح وجهـــك الحسن

* * *

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

الظلال

■ سامى فريد

حملت أوراقى وأسرعت أقطع المسافة من غرفتى الى الاجتماع .. اليوم نسقط مشروع الادارة .. ! ! ..

كنت قد اتفقت مع عدد من أعضاء المجلس على رفض مشروع الادارة وتقديم مشروعنا بدلا منه مستغلين حماس شباب المهندسين فى المؤسسة لرفض تسلط الادارة على الفنيين ..

توقع الجميع أن يكون اللقاء حاسما .. وسرت فى جميع أقسام الادارة والمصانع والفروع تكهنات تترقب نتيجة الاجتماع .. وقال البعض أن نجاحنا سيكون ضربة قاصمة قد تؤدى الى تغيير المجلس بأكمله .. كذلك لم يفقد رجال الادارة الأمل فى قدرتهم على كسب هذه الجولة أيضا ..

درت مع الممر المفضى فى نهايته الى قاعة الاجتماع .. كانت كل العيون التى التقيت بها فى طريقى تلمع ببريق التحفز .. قد يكون تحفزا من أجلى أو تحفزا ضدى انتظارا لما يسفر عنه الاجتماع كدت أصطدم بها وهى تستدير تتلفت حولها .. لمحت طرفا من وجهها وأسرعت أتجاوزها .. أبطأت خطوى .. شىء داخلى قال أنها هى .. توقفت .. استدرت ألقى عليها نظرة أتأكد بها من ظنى أو أنفيه .. سرى داخلى تيار غامض من الخوف من المفاجأة .

عندما رفعت عينى اليها كانت فى مواجهتى تماما .. أربكتنى نظرات عينيها المسددة نحوى .. تشاغلت لحظات بالبحث داخل جيوبى عن أى شىء تاركا لها فرصة اتخاذ رد الفعل ..

كانت تقف فى بداية الممر .. ظهرها الى الضوء فى حين امتد ظلها أمامها حتى كاد يلامسنى .. لم أستطع تبين ملامحها بشكل قاطع لكن وجهى الذى سقط عليه الضوء كان واضحا أمامها بكل تأكيد .. اقترب الظل منى حتى سقط على يغطينى .. فكرت لحظة فى الهرب .. حاولت استئناف سيرى لكن صوتها كان أسرع من محاولتى ..

ــ حمدى .. ؟ !

متسائلا .. مندهشا .. ملهوفا .. نفس الصوت القديم مازلت أذكره يسألنى اليوم أن كنت أنا .. أنا ؟ !

سقطت فى هوة من ذكريات الماضى أطبقت تحوطنى .. توقف الزمن عن التقدم فوقفت حائرا عاجزا عن الكلام .. طاف بذاكرتى دفء شفتيها وحرارة أنفاسها فى أذنى .. وملمس أناملها فوق شفتى تمنعنى من الكلام ..

ها هى تقف أمامى الآن امرأة ناضجة فى منتصف الحلقة الرابعة من عمرها تمد يدها بالمصافحة .. نفس الأنامل مفرودة تنتظر منى الجواب ..

مددت نحوها كفا مترددة ورسمت ابتسامة وضعت فيها كل ما استطعت جمعه من الدهشة لوجودها هنا ..

حاولت بعينى أن أؤكد المعنى فرفعت حاجبى متسائلا عن مقدار ما مر من السنين قبل أن نلتقى اليوم ..

تنهدت .. رفعت شعرها بأصابعها ومالت نحوى فانكشف جزء من وجهها أمام النور ..

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بصمات الزمن على شعرها ووجهها بدت الآن واضحة لعيني .. لكنني رغم ذلك قلت انها لا تزال كيوم رأيتها آخر مرة .. ضحكت قائلة انني ولاشك أبالغ لأنها لم تعد تلك الفتاة التي كنت أعرفها وأنني أيضا لم أعد ذلك الفتى الريفي الخجول طالب الجامعة .

على باب قاعة الاجتماع وقف أحد الزملاء يشير مناديا بعصبية ينبهني الى اقتراب موعد بدء الاجتماع .. هززت رأسي « حالا .. »

قالت مبتسمة « يبدو أنك مشغول جدا » .. وأضافت « لابد أنك تشغل هنا منصبا كبيرا » .. هززت رأسي مبتسما .. تمنيت لو أنني أستطعت الوقوف معها أطول فترة ممكنة : سألتني فجأة ان كنت تزوجت ! !

.. كان واضحا من نبرات صوتها أنها بذلت جهدا كبيرا لتسأل ... ترددت ..

قلت بعد فترة أنني بعد أن أنهيت دراستي في الخارج وعدت .. بحثت عنها .. لم أجد أحدا في المدينة القديمة يعرفهم أو يستطيع أن يرشدني اليهم ..

قالت في أسى واضح كأنما تحدث نفسها « نفس القصة القديمة تتكرر .. »

تجمعت الدموع في عيني من شدة تأثري بصدق ما أقول .. بدا التأثر على ملامحها .. قالت في حنان « حمدى .. أنت تبكي ! ! »

اجتاحني طوفان حنانها .. حملني فوقه .. انزلقت الدمعة ساخنة فأسرعت تمسحها .

على البعد توقف بعض الموظفين يرقبون المشهد .. قالت انهم بعد أن غادروا المدينة زمن الحرب أقاموا فترة في القاهرة عند قريبة لهم ثم انتقلوا جميعا الى الأسكندرية وهناك افترقت عنهم لتعمل في احدى الشركات بالوجه البحري ..

كان صوتها ينساب هادئا دون أن أتبين ما تقول .. مضت تكمل حكايتها .. لم يكن يعنيني سوى أنها معي هنا وأننا يجب ألا نفترق أبدا .. تنبهت فجأة الى كفها تيزني .. قالت انها يجب أن تنصرف الآن لأن زوجها والأولاد ينتظرونها في السيارة أمام المبنى .. فكرت للحظة في سؤالها عن سبب زيارتها للمؤسسة .. خمنت أنها ربما كانت تزور صديقة لها وأقنعت نفسي أن السؤال لا معنى له ..

سرت معها خطوات أوصلها الى المصعد .. ضغطت على الزر ووقفت تنتظر .. مددت كفي أصافحها قبل أن تغيب داخل المصعد والرغبة في البكاء تلح على فاستدرت عائدا بسرعة بينما راح المصعد يهبط بها في اصرار ..

كان زميلي لا يزال أمام باب القاعة ينتظرني .. مد ذراعه يدخلني مغلقا الباب من خلفي .. اتجهت من فوري الى مقعدي وبحركة آلية فتحت أوراقي وجلست انظر فيها دون أن أرى ما أمامي ..

طن من حولي كلامهم متناقلا من ركن الى ركن حول المنضدة .. تنبهت على لكزة زميلي الى جواري .. رفعت وجهي اليهم .. أدرت عيني فيهم .. جاءني صوت رئيس المجلس متسائلا في ود وبشاشة عن رأيي ..

تعلقت أبصارهم بي تنتظر فتح النار .. أطرقت برأسي لحظة .. رفعتها ثم قلت :

ـ أعتقد أننا يجب أن نتمسك بكل قيمة غالية في حياتنا وألا ندعها تفلت من بين أصابعنا حتى لا تضيع أعمارنا هدرا ثم نكتشف فجأة أننا لم نحقق حلما واحدا من أحلامنا وأن يد الحياة قد سرقت منا أعمارنا ..

كان صوتي غريبا حتى على أذني ..

بدت الدهشة واضحة على وجوه كل الأعضاء ..

هتف المجلس :

ـ يعني أنت موافق على مشروع الادارة .. مبروك ..

نهضت أجمع أوراقي في صمت .. حملتها .. أزحت المقعد من خلفي واستدرت خارجا .. أغادر القاعة .. والمبنى .. والمدينة .

يوم خميس

■ خيرى شلبى

فى كل يوم يبدأ مدرس الفصل بأن « يأخذ الغياب » عن سطور القائمة التى أصبح يحفظها جيدا أو يستطيع ترديدها واحدا وراء الآخر دون أن ينظر فيها ، ومع ذلك ينظر فيها • ينادى كل واحد منا • ثم ينتظر برهة تكفى لأن يرد قائلا : « أفندى » ، فان طالت الوقفة رفع حاجبيه قليلا وبعث نظرة تخترق لتستقر على درج فلان الغائب ليؤشر أمام اسمه بعلامة الغياب ••

كنا فصلا مشهورا بالغياب لأسباب غريبة ، ربما لأنه ضم عتاة « العيال » من الحفاة الخشنين والأذكياء ذكاء يغطى فيهم كل عرى جسدى ، وربما لأننا جميعا كنا « فاقدين » أى تجمعنا أسباب متعددة للغياب وللضياع • وقد يغيب الواحد منا لأن جلبابه لم ينشف بعد ، أو لأنه ذهب يوصل أباه الى محطة القطار بالركوبة أو ليشارك فى عمل يقتات منه هو وأهله • وكانت الغيبة تنتهى بمجرد أن يقابل أحد الحاضرين أحد الغائبين قائلا : « اتخدت غياب ! » فيهز الغائب الذى حضر رأسه فى غير مبالاة •

— الا الغياب في يوم الخميس ، وفي يوم الخميس بالذات ! ••

ففصلنا الذى جمع كل الاشقياء . وحقق نتائج تفخر بها المدرسة ، ويخجل منها الاعيان والتجار وأبناؤهم الذين كانوا — ولا أحد يدرى لم — ! — يتوقعون لنا مستقبلا غير باسم فى المدارس ، وكأنما المدارس خلقت لهم وحدهم هم وآباؤهم • فصلنا هذا جمع بين ابن العمدة الذى يعيش فى بيت له شرفة ، وبين « عبد الفتاح » ابن الفقى « خميس الجميعى » •

ولم تكن الحكاية من الأصل لتستوقف انتباهنا أو تجعلنا نقيم لها وزنا بل أن تصبح شغلنا الشاغل ومكمن سقوط الكبرياء • فى البداية نادى المدرس فى صيحة آمرة : « عبد الفتاح خميس الجميعى » • فلم يرد أحد ، وكان من الممكن أن نكتفى بالتأشير أمام اسمه بالغياب ، ويستمر فى مناداة غيره ، لولا أنه بحركة غير معهودة ، أخذ يبرم أصابعه حول رأسه عدة مرات وملامح وجهه تتراقص تراقصات جهنمية وهو يقول : « الولد عبد الفتاح ده ايه حكايته •• هو دايما يغيب يوم الخميس ليه ؟ • أنا ملاحظ الحكاية دى •• أنا بدأت أشك فى الحكاية دى •• كل يوم خميس فى أول حصة آخد الغياب يطلع هو بالذات اللى غايب ! » •

حركة غير طبيعية صدرت عن الدرج الملاصق لدرج عبد الفتاح ، جعلت المدرس بعدما أسدل حاجبيه على الورقة يعود فيستفهم ناظرا نحو الولدين « سبعاوى » و « قرموط » وكانا لتوهما قد رد كل منهما على زغدة الآخر بقرصة ، وبسمة شقية ، سرعان ما تنتقل عدواها الى شفاه كثيرين من الصفوف المتاخمة مما كشف أن الكثيرين يفهمون طبيعة الموقف، بل وهاهم ينفجرون ضاحكين ، فكأن فى الأمر نكته غامضة تستدعى هذه الورطة • قال المدرس : « فيه أيه » • قال ولد من الصفوف المتاخمة كز عليه الضحك فاعتذر عن ضحكه مشيرا الى الولدين « سبعاوى »

و « قرموط » فيما يردد : « أصل يا فندى ٠٠ الحكاية ٠٠ « سبعاوى » و « قرموط » جيران عبد الفتاح الحيط في الحيط » ثم أخذ يصارع الضحك والفصل كله يجدها فرصة هائلة للانفجار الضاحك ، والمدرس فى غضب ضاحك أيضا يصيح : « مش فاهم ايه الموضوع بالضبط » ٠ قال الولد الذى ضحك : « هما اللى عارفين ٠٠ أصلهم جيرانه » ٠ الحرج الذى فى الدنيا كلها يتجمع على وجهيهما وينظران الى بعضهما كأنهما قد أرشدا الى تهمة خطيرة تقطع لها الرقاب ، وكل منهما يحمل الآخر مسئولية اذاعة النبأ ٠ صاح المدرس فى قوة : « فيه ايه يا سبعاوى انت وقرموط ؟ » ٠ فتح كل منهما فمه ثم أغلقه ٠ صرخ المدرس : « قول أنت الأول يا سبعاوى »٠ قال سبعاوى : قرموط هو اللى جاره » ٠ قال المدرس : « فيه أيه يا قرموط ؟ » ٠ وقف قرموط دفعة واحدة كالصاروخ ، وكالقذيفة انطلقت منه الجملة مصكوكة مسرسعة : « عبد الفتاح بيطلع الطرب مع أبوه يوم الخميس منه » ثم انحط جالسا كأن هذا الصوت ليس صوته ٠٠

ضج الفصل بالضحك ٠ وقال المدرس وكان مهزارا كبيرا يتنكر فى وجه جاد الملامح قاسيها : « يعنى أيه بيطلع الطرب مع أبوه هه » ٠ وهنا تطوع أكثر من ولد من الصفوف المتاخمة فشرح ما يقصده قرموط ، حتى عرفنا وتأكدنا ان زميلنا فى الفصل « عبد الفتاح خميس الجميعى » يتخلف عن الدراسة يوم الخميس من كل أسبوع لأنه يزور القرافة مع أبيه الفقى حيث يقرأ أبوه آيات القرآن على أرواح الموتى ٠ يتنقل من طربة الى أخرى فيجلس أمام زوار التربة من تلقاء نفسه متقرفصا فيستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويبدأ القراءة ٠ فان استعذب زوار الطربة صوته تركوه يقرأ الربع وأعطوه من الأسبتة الملحقة بهم بضع أرغفة وصحن قراقيش وقرص ، وربما كانوا من المبسوطين فمنحوه فوق ذلك حفنات من التمر أو الخروب أو السودانى أو الفلوس ، فان لم يستعذب الزوار صوته امتدت يد احدى العجائز الى السبت ، ودفعتها اليه برغيف وبعض قراقيش مصنوعة بالزيت لا بالسمن ٠٠

هنا تناثرت التعليقات بشكل أدهشنى ٠ فمن قائل أن الفقى خميس لا يتمتع بحب زائرات

القرافه العجائز أبدا ، فهو دائما لا يقرأ سوى
الآيات التى فيها جهنم الحمراء خالدين فيها أبدا ،
وخذوه فغلوه ، حتى أن احدى العجائز صرخت
فيه مرة : « صلى على النبى صلى على النبى ..
أنت معندكش غير جهنم جهنم .. قال الله ولا
قالك يا شيخ .. خد يللا مع السلامة » ، وأعطته
شقتين من العيش المقدد نظر فيهما مدققا بعينه
السليمة ، ثم وضعهما فى جواله ونهض قائلا :
« بقى كنتى عايزة جنات تجرى من تحتها الأنهار
بدول ؟ ! » ، ثم انتقل الى طربة أخرى ليبدأ نفس
الآية ، وقال الولد سبعاوى أنه سمع أباه يقول
أن الفقى خميس لا يحفظ من القرآن غير هذه
الآية وبعض قصار السور . زغده الولد قرموط
فى جنبه صائحا : « لا يا عبيط .. ان الفقى
خميس يبدأ بجهنم ، فاذا لقى أن الرحمة فيها
قراقيش وقرص بالسمن انتقل الى جنات تجرى
من تحتها الأنهار . انشال الفصل كله من
الضحك وعجز المدرس عن الاحتفاظ بوقاره ،
الا أنه بعد أن خبط بقدمه فى الأرض مثلنا انشد
جلد وجهه فجأة ودمعت عيناه واحمرتا ، ولولا أنه
استأنف الضحك لقلنا انه البكاء الحار .

★ ★ ★

أبدا لم يكن ككل الأحداث التى مرت وتمر
وكل يوم بل كل دقيقة . ثمة أحداث أو وقائع
متغيرة عابرة تترك بصمات وعلامات لا يزيلها حتى
أن يذوب الجسد نفسه . أبدا لم يكن عبد الفتاح
خميس الجميعى ابن الفقى ، هو نفسه الذى
عرفناه قبل ذلك . الحادث العابر رغم ما يحدث
فى فصلنا من احداث .

فى الحصة التالية تصادف أن كان نفس المدرس
« أبو المكارم أفندى » هو الذى سيعطيها لنا بدلا
من جابر أفندى . ما أن بدأت الحصة حتى انبثقت
من عيون الشياطين نظرات تخطب ود المدرس
وتحلبه ليستأنف الكلام فى موضوع القرافة ولم
الرحمة بقراءة القرآن . أشهد أن المدرس شرع
أكثر من مرة فى الانسياق والاستجابة
لاستفزازهم . لكنه كان يتشبث بالابتسام
الخبيث ويأمرنا بفتح الكتب مستخدما أسلوب
النقر بالعصا . انسابت الحصة وقتا طويلا
والمدرس مستغرق فى شرح مسألة الحساب ،
والشياطين يتابعونه فى يقظة تجب الغضب لكن
تلك اليقظة التى تخفى توترا مسرحيا كأنما هناك
اتفاق على موضوع مؤجل مؤقتا لحين العودة اليه .
فجأة زحفت على أرض الفصل ظلال كثيفة عبرت
الشباك المطل على الممر ثم استدارت وامعنت فى
الزحف . انتفض المدرس فى الحال ورمى
بالطباشيرة فى الأرض صائحا : «قيام» . فاندفعنا
واقفين فى دربة واحترام فاذا به حضرة الناظر
شخصيا ومعه شيخ المدرسين ريشة أفندى وأفندى
آخر مهيب عرفنا فى التو أنه المفتش . صاح
المدرس بعد برهة : « جلوس » ، فجلسنا فى
صمت متوتر متحفز ..

ثم ان المفتش اتجه مباشرة الى مكتب المدرس
فجلس اليه وتناول دفتر التحضير وراح يفره
ويؤشر بقلم أحمر ، فيما كان المدرس يسألنا
سؤالا من الشرق ، وآخر من الغرب ، كأنه يقلبنا
أمام المفتش ، الذى اعتدل فى جلسته ناظرا الينا
فى تأمل عميق مخيف . سألنا المدرس أمام
المفتش واحدا واحدا وفى كل مرة ينظر للمفتش
كأنه ينتظر منه أن يقف قائلا : « كفاية » ، ثم
ينصرف ، لكن المفتش ظل فى جلسته والناظر
فى وقفته المتابعة ، لعله أراد أن يساعد على افشاء
سر ما قد يكون فى الفصل من ضعف ، فأشار الى
« عبد الفتاح خميس الجميعى » قائلا :
ـ انت .. قوم كمل الجواب .

لكن « عبد الفتاح لم يكن هنا . كان شاردا
كالعادة لا ينم وجهه الغليظ الأملس عن أنه يفكر
أصلا ، ولذا فقد ظل جالسا كأن الحديث لغيره .
فبدأ كأنه يتجاهل حضرة الناظر . اغتاظ المدرس
وصاح : « انت يا جدع يا اسمك أيه » وكانت
فى صوته نبرة احتقان . قال ولد مجاور : أنا ؟
قال المدرس : « لا » وأشار ناحية عبد الفتاح
فلم يتحرك ، فصاح المدرس فى غيظ : « انت
يا جدع يا .. طربى » . وهنا انفجرت القنبلة
داوية لبرهة سريعة لدهشتنا لم يحدث أى شئ
مخيف مما توقعنا حتى المفتش نفسه ابتسم ،
وعوج شفتيه فى قرف ثم وقف قائلا : « أيه
طربى دى ؟ » فتطوع المدرس وشرح للمفتش كيف
أن عبد الفتاح يحفظ القرآن ، ويساعد أباه فى
قراءته فى القرافة .. الخ . وكان يهز يديه عند
انتهاء الكلام ، كأنه يتبرأ من أمثال هذه التلاميذ
القذرة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحـــق لم يعلق المفتش بشيء • ولكن حضرة الناظر تقدم دون مناسبة وشرح لنا درسا هاما ، هو أن المدرسة يجب أن تكون مدرسة والتعـليم تعليما ، أى أن التلميذ لابد أن يتفرغ للدراســة حتى يكون صاحيا عند الامتحان ، ثم راح يشتم أولئك الفقهـاء المزيفـين الذين يتاجرون بالقرآن ويلحنون فيه ، وكيف أن جهنم هى مثواهم وبئس المصـير ، ونصـحنا ألا نتعلم منهم القراءة ان استمعنا اليهم ، فهم مجرد طربيـة لم يجودوا حفظ القرآن على الوجـه السليم بل لم يحفظوه جيدا ، ثم أنهى نصائحه بأن طلب من عبد الفتاح أن يقف ليجيب على الســؤال الذى كان محل الإجـــابة من قليل • فوقف عبد الفتاح كالغريق يتصبب عرقا وتختفى كل ملامحه من وجهـه • وكان قد نسى كل شيء أو لعله لم يكن قد عرف شيئا ليتذكره فوقف كاللوح لا ينطق • أشار له حضرة الناظر ــ وكان قصير القامة ممتلىء الجسد ضـيق العينين قاسى النظرة يرتدى جبة وقفطانا وطربوشا بزر ، وقال : « تعال •• اخرج » •

انزاح عبد الفتاح عن التخته قليلا يظهر جلبابه الممزق المترهل وقدمه الحافيـة الغليظة ووشم العصافير الأخضر المرسوم على جانبى رأســه • وكان المفتش ينظر اليه فى اشمئزاز وقرف ، وكل من الناظر والمدرس ناقم عليه لأنه أثار قرف المفتش •

غير أن المفتش أشار له أن يعود الى درجة ، ثم عاد فأشار للناظر وللمدرس اشارة معناهـا : « أيه البلاوى دى ؟ ! » •• فاعتذر المدرس قائلا أن هذا الولد وأمثـــاله حصيلة لف الخفراء على البيوت والحقول لجمع الأولاد بالقوة كى يتعلموا التعليم الالزامى • وقال أيضا أن المدارس خلاص عليه العوض قد انفتحت على وسعها ليدخلها الحفاة والشحاذون والطربية ! ••

سمع المفتش هذه الكلمات وأرسل للمدرس نظرات غامضة ثم أشر فى دفتر التحضير تأشيرة أخيرة ، ثم نهض وانصرف كأنه قد زعل ••

لا يعرف حتى الآن ان كان قد زعل حقا أم لا ولكن « عبد الفتاح خميس الجميعي » لم يعد إلى المدرسة مرة ثانية أبدا ••

★ ★ ★

لا أحد فى فصلنـــا ينسى هذا الموقف • أنا بالذات لم أكن أستطيع نسيانه ، اذ أن أبى كان قد أصر على تحفيظى القرآن على يدى واحد من نفس ماركة خميس الجميعى أى الذين يقرأون فى القرافه نظير الرحمة التى يجمعونهـــا • والحظ الأســود وحده هو الذى أوقعنى فى المحظور • وفى يوم خميس ، ألعن يوم فى حياتى كلها ، شاء الحظ العاثر أن يسافر أبى الى مدينة دسوق لأمر ما ، وجميع أمور أبى عاجلة وهامة وسفره الى دسوق لا يكون الا لمهمة ، أن يعرض نفسه على الحكيم ، أن يشترى فانلات بكم ، أو يحضر جلسة القضية ، يومها كان النوم عظيما حـين تكاثروا على وأنهضـونى عن الفراش بالعافية ، وقالوا فى زغد وتلطيش مغيظ : « قوم وصل أبوك للمحطة بالركوبه » • فقمت أدعك فى عينى وذلك أن مهمة توصيل أبى بالركوبه الى المحطة وانتظاره عندها عصرا هى المهمة الوحيدة التى وزعوها على من شغل الدار والحقل احتراما لكونى تلميذا فى المدرسة ، مهمة كأنها الفسحة حيث سأركب الحمار ذا السرج خلف أبى ، وأعود به وحدى ، فأخترق بكارة الندى على الطريق ، وألحق بموعد دخول المدرسة • لكن أبى استيقظ متأخرا • وأشعل فى الدار حريقا من الغيظ والغضب وكلنا أصـبحنا نداريه بالسكات ••

غـير أننى ما كـدت أدلف الى الزريبة حتى ارتديت الى القاعة صائحا فى ولولة صبيانية •

قلت وقد استبوخت نفسى :

وكنت على وشك البكاء • فصاحوا جميعا فى نفس واحد ساخر :

ــ طيب وأيه يعنى •• عارفين ••

قلت وقد استبوخت نفسى :

ــ لازم أروح النهاردة أول واحد

قال أبى وهو على حافة الانفجار :

ــ ليه بقى يا خويا • دا حتى النهارده الخميس يعنى نص يوم •

ــ يا سيدى بلاش منه خالص !

صحت وأنا على وشك الجعير :

ــ كله كوم والنهاردة كوم •• ممكن أغيب عن المدرسة فى أى يوم ممكن أغيب عنها خالص الا يوم الخميس بالذات لازم أروح !

شرار الغضب يتطاير من عيني أبي .. أسرعت أمي تتلقف الخيط :

— ليه يا ابني . أخواتك كلهم متوكلين على الله حيشقوا طول النهار ..

ظللت واقفا مكاني والرعشـة والتردد في أوصالي . ثم اذا بالجحيم ينفتح على من كل جدب وصوب ، الشلاليت والبونيات تريد أن تسحقني في الأرض بقسوة ، ما أكاد أتماسك للنهوض حتى تجيئني لطمة تاصقني بالزير فيكسر وتتطاير أمواجه وقطعه ، أنا لا أكف عن الصراخ والبحث عن ملاذ ، حتى اذا ما التحقت بالزريبة صاغرا تعقبني أبي بقحف من الجريد الخشبي راح ينهال به فوق جسدى حتى أدركت أنه يزمع قتلي دون شك ، فلما أنهـكه ضربي رمى بالقحف ولهث قائلا : والمدرسة دى ما عنتش رايحها تاني .. من بكره تسرح الغيط . ياللا فك الحمار . لم يكفه ذلك العقاب الرادع ، بل ركب الحمار وحده ، وتركني أجرى وراءه طوال خمسة أو ستة كيلو مترات الى المحطة ..

في طريق عودتي كنت أنخس الحمار فيبرطع بأقصى سرعته . فما أن وصلت الى أول حارتنا حتى نزلت عن الحمـار ، وتركته يأخـذ طريقه كالعـادة الى الزريبة ، ثم اندفعت أجرى لألحق بالمدرسة ، وأريهم نفسي على الأقل ، وصحت في شقيقتي الصغيرة منبها عليها أن تسوق الحمار الى الدار .

وكانت الحصة الثالثة قـد بدأت والشمس لا تزال خضراء في حديقة المدرسة تسللت جريا في الممر حتى فصلنا .. لدهشتي وجدته عالي الصخب . وحين دخلت هبت في وجهي عاصفة من الضحك المندهش ، وأشارت الأصابع نحوى قائلة : « أهوه ل براءة » . كانت الدموع الجافة لا تزال متصلبة في عيني وفـوق خدى ، وآثار الضرب واضحة في كل جسدى .. وحالة من الأعياء الشديد تضج فوق صدرى وظهرى أجولة من الزاط ، العجيب أن أحدا منهم لم يلحظ أى تغيير مما طرأ . فلا بد أنهم في أمر جلل .. اتخذت طريقي الى درجى صائحا : « فيـه أيه يا عيال ؟ » قال الولد رمضان : « ما تعلمش أبو المكارم أفندى غاب النهارده ! » قلت وقد غاب عن بالي كل شيء : «طب وفيها ايه يعني ؟» ، قال الولد طلبه : « اللي يغيب يوم الخميس يبقى آيه ؟ » . قلت على الفور : « يبقى طربي » . فاذا بالفصل كله يرتج من الضحك . ثم اذا بالناظر نفسه يقف في قلب الفصل فنتسمر في أماكننا . خرج صوته الرفيع يزيق مثل مواء القطط : «أيه الهيصة دى .. انتوا فين .. في الغيط ؟ .. انتوا أيه ؟ .. غجر ؟ .. حوش ؟ .. مواشي ؟ .. شيء بارد» ثم استدار خارجا في عصبية فاصطدم بالفراش فاهتز طربوشـه ووقع لولا أن تلقفه بيديه على صدره . لا نعرف ان كنا نحن الذين ضحكنا أم غيرنا ، أنما الذى أدريه ان حضرة الناظر استدار نحونا بنظرة حاقدة ثم شـيع الى الوجوهنا بصـقة تناثرت على الصفوف الأمامية كلها ، ثم خـرج لاعنا اباء الزمن الأغبر الذى رخص لنا المدارس !.

على أنه ارتد فجأة ساحبا الفراش من خناقه ثم دفعه في فراغ الفصل بغيظ صائحا : « مدهم لى واحد واحد » . فبدون تردد تقدم الفراش وسحب أول واحد صادفه ثم طوقه وقلبه في الأرض . كانت مناحة . عشرون عصاة أشعلت النار في قدمي ، وكنت من فرط اللهب انتفض فتصطك رأسي بالأرض وعندما دق الجرس الأخير تساندت على الولدين من حارتنا وقد تعففت عن البكاء حيث لم أجد صوتي . وكففت عن التأوه حيث يخرج من ضلوع مهشمة .

دخلت دارنا ذليلا شـقيا لأفاجأ بصوات أمي المشحون بالولولة . فمـا أن وقع بصرهـا على وجهي ، حتى صاحت في ضاربة صدرها بيديها في عنف : « وديت الحمار فين ياوش الخراب .. وديته فين ؟! . انهارت أنفاسي : « دانا سايبه للبت على أول الحارة » . صارت تلطم خديها وتشد صدر الثوب : « أهو ماجاش . نهارنا أسود .. اجرى دور عليه » . استدرت خارجا وقد دبت في حماسة غريبة . هل يكون قد سرح الى الحقل الذى تعود أن ياكل فيه البرسيم منذ اشتريناه ؟ بسيطة ذهبت الى الحوض الجديد » ، مسحت الطريق بعيني فلم أر أثرا سوى الشمس كتلة لهب والأرض فرن وجسدى هو الرغيف . أيكون قد عثر عليه أحد أخوتي فاصطحبه الى حوض « أم ملوخية » حيث يعزقون ؟ . بعد نصف ساعة كنت هناك

لما علم أخوتي بالخبر صاروا يولولون كأمهم وأنا بعث بكاء كالزئير المكتوم · حتى جاء على صوتنا جل استطيبه دائما هو عم فرحات الجنايني ، جنيايني هو لكنه يعرف الحي كله وملم باخباره جاره واعيـــانه واشقيائه ، ويبيع الفاكهة في لاسواق على نطاق واسع · انفتحت أبواب السماء حين استوقفه حالنا ، فلما علم بالتفاصيل قال كل بساطة : « ع العموم أنا عارف اللى باع لكم لحمار ·· وأنا دلوقت رايح بلدهم أشـــترى بردعة ·· حد منكم ييجى معايه يسأله ليكون الحمار رجع له ثانى » · صـــاح أخى الأكبر : « أركب وراه ياد بسرعـــة » · ثم ساعدنى على الركوب خلف عم فرحات ·

بعد مسيرة طويلة دخلنا القرية الصغيرة · ثم أنني رأيته فجأة فارتعدت مفاصلي ودفنت رأسي في ظهر الجنايني · وقلت : « مش معقول » · قال الجنايني : « مالك » · قلت : « أصل شفته » · صاح وهو يهم بالنزول : « الحمار ؟ » · كتمت ضحكي صائحا : المدرس بتاعنا ·· « أبو المكارم أفندى » · قال الجنايني : « ما هو من هنا ·· دى بلدهم » · وكان المفروض أن أنزل واضرب له تعظيم سلام ·· كما يفعل كلما سار منا في الشارع أحد مدرسينا ، لكنني لم أكن في حال تصلح لأي شيء فاخفيت رأسي في ظهر الجنايني ·

تملكني الرعب حـــين رأيته يحود في نفس الحارة التي نتهيأ لدخولها ، غير أنه اختفى في أول بيت في الحارة ، وتوقفنا أمام البيت المجاور حيث خرج لنا صاحبه مرحبا بنا ·· ودلفنا الى وسط الدار فاقتعدنا مصطبة رفيعة ·· سألني الرجل عن صحة أبي وعن حال الحمار ، فاندفعت أبكي ، تطوع الجنايني بحكاية القصة ، فزام الرجل في أسف حقيقي ، وأكد أنه لم ير الحمار منذ باعه ، نهض الجنايني واقفا وطلب أن يتركني وديعة حتى يذهب الى مشـــواره ويعود ليأخذني · فرحب الرجل بذلك وقال أنها فرصة لعل الحمار يجيء خلالها · ولما خرج الجنايني تصحنى الرجل بأن أتمدد قليلا لأريح جسدي المتعب · كانت المصطبة ممتده في الدهليز بجوار حائط قزم يفصل بين بيت الرجل وبيت « أبو المكارم أفندى » فقلت للرجل : « انتوا قرايب أبو المكارم أفندى ؟ » فقال الرجل : « ان أبا المكارم أفندى اشترى من أخته نصيبها في الدار ، وجاء ليشاركهم فيهـا فأقام هذا الجدار الفاصل مؤقتا · واذا بصياح يرتفع أواره من دار « أبو المكارم أفندى » الذى ميزت صوته يصيح : « يا راجل انكسف ·· يا راجل عيب عليك ·· انت السبب فى الفضايح دى كلها » · واذا بالجدران تهتز في عنف ويعلو الصياح والصراخ ، فخرج الرجل يجرى قائلا : « عن اذنك أصالح الفجر دول وآجى » · وكان قد بدأ يفد من دار « أبو المكارم أفندى » صوت مشروخ مخذول يقـــول : « يستعر منى ·· أعمل أيه أروح فين ·· دى شغلتى اللى اتربيت عليها وربيته منها أبطلهــا ازاى وأبطلها ليه ؟ ؟ » · واندمج في بكاء ظل يتباعد حتى اختفى ·

طال بى الوقت وحـــدى فســـقطت في بئر النعـــاس ، فرأيتنى أضرب في طرقات تفضى من جميع اتجاهاتها الى خلاء موحل موحش يكتنفه ضباب رعد · وكنت لا أزال أرتعش حين أيقظني الرجل في لطف لأجد منظرا بهيجا : الحصـــيرة مفروشة تتوسطها طبلية كبيرة حافلة بالطعام و ·· من هذا ؟ دعكت عيني وصحيتها وتأكدت من أنـــه أخى الأكبر · قلت في نفسي أن أمي أرسلته ليلحق بى قبل أن أفكر في الطفشان ، ثم نزلت أتغدى ·· وقلت للرجل : « هو أيه اللى حصل في بيت أبو المكارم أفندى ؟ » · قال : « الحكاية وما فيها انه عايز أبوه يغير شغلته ·· أصله لمؤاخذه طربى » · سقطت المعلقة من يدى وصحت : « ·· طربى ! ·· أبو المكارم أفندى ·· أبوه بيشتغل طربى ؟ ·· لا اله الا الله » · ثم انصدت نفسي من الأكل تماما وصرت أمسح يدى وفمى · صاح الرجل دهشا : « أيه ده ·· كل » قلت أنني شبعت والله ، ابتعدت عن الطبلية · فمال أخى الأكبر على أذنى هامسا أنهم عثروا على الحمار سارحا في خرابة العكايشة !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرايا

أحمد عنتر مصطفى

أيها الوطنُ المتثلجُ فى كرياتِ دمى ..
والممدَّدُ بين جفونى كجثةِ حُلمٍ عفِن
معذرةً ياوطن
مثلك الآنَ مندثرٌ فى الفراغ الذى حلَّ
فيه الزمن
ضائعان معاً ..
وحدنا ..
والذين يخيطون ثوبَ المحن
أبحروا فى النفاقِ ..
وراياتُهم تمخرُ الريحَ ..
يالَلرياح ! !
جرت فى الزمان الأخير
بما تشتهيه السفن
معذرةً ياوطنْ
معذرةً ياوطنْ

منْ يَهُنْ يسهل الهوانُ عليه ..
كان أبو الطيب الشيخ
عند حدود حلب
يستفزُّ الجوادَ ..
ويستنفرُ الجند ..
١ - أبصر سيفَ الرجال
٢ - يصيح
قاصداً قيصرَ الروم ؛
فى مقلتيه الأمانى الذليلةُ
فى شفتيه الحروفُ المهيضةُ
متشحـاً بالخطب
(.. ندتْ عن الأرضِ آهةُ
عشقٍ ؛ ولفحُ غضب
كان الجوادُ بعينيه يفترعُ الأرضَ ..
يدفنُ أشواقه فى الرمالْ
والشاعرُ الشيخُ راح يتمتمُ فى ذلةٍ
حين شد الرحالْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والحروفُ على شفتيه تغيمُ
ويذوي الكلامُ : ـ)
مالجـرحِ بميتٍ إيـلامُ ! !
مالجـرحِ بميتٍ إيـلامُ ! !
ولي وطنٌ آليتُ ألا أبيعـه
وألا أرى غيري له ـ الدهر ـ مالكا
. . . .
. . . كان ابنُ الرومي يتمتم « لي وطنٌ ! ! »
منحدراً من ناحية الكرخ
إلى بغدادْ
يحمل شكواه إلى باب خليفته الراقدِ
بين نهودِ جواريه ، وعزفِ الأعوادْ
يهرُها بالشوقِ الجارفِ

مترقرقةً فيها الذكرى النازفـةُ
وأصواتُ الأولاد
يتذكـرُ لهـوَ الصبيةِ
والعشقَ الأول
يزفرُآهـا
يبكي الأيامَ المجـروح صداها
[فارتجف وحمحمَ بالأشواقِ جوادْ]
وتسلل صوتُ معلمه الواهن بالكلماتِ الأولى :
« ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ..
يُهدَّمْ .. »
فتحسَّس قوساً ..
وتفقَّدَ رمحـاً ..
وامتشق السيف ..
وعـادْ ..

طيرى العائد
من فوهة الشمس

□ محمد مهران السيد

(١)

أغرس أقدامى فى الضوء .. وأصدع للأمر

نتماعل فىَّ الارهاصات .. وأحلام .. الزهر

تتوحد فى صدرى الآهات

واللاءات ..

أجهر بنشيدى .. ، وتحف طريقى الكلمات

نذرتنى أمى .. للخضر

ألبسنى شارات الريح وقال : اتبعنى

لا تسألنى .. كيف يخون المبضع

أو كيف يصير الشعر دوائر تنداح .. بليل

الفجار الموجع

إلا إن كنتَ غريبا .. فى هذا التيه ..

المتلاطم

.. أو مفقوء العينين .. وفى أذنيك الوقر

(٢)

.. تتداعى الأشياء ...

لما تتخرَّمنا لغة الأعداء ...!!

(٣)

ياطيرى .. مهما دفعتك الريح بعيدا .. فى

آفاق الخسر .. ستعود لصدرى ؛

وتحلق فى رئتىّ ترفرف فى أوردتى ، وتحط

بأحشائى ، وتعشّش فى ثغرى ..

.. ولأنك طيرى ..

يتوشمك الشبان .. وتهواك الفتيات

يحبو فوق جناحيك .. الأطفال ..

يتمسح فى ريشك .. أفواج المرضى ..

والفقراء .. ، .. ولأنك طيرى ...

لا تصدح إلا فى أشجار النبق .. وغيطان

القصب المصفور .. وبين ثمار الرمان ،

يتهدج صوتك ... إن دارت ساقية الأحزان

تختبئ بأعشاب الصمت طويلا ..

.. حتى يحسبك الحامل للبلطة .. أوغلت

بعيدا .. فى الموت

تتسلح بالمكر ، وتقرأ كتب التاريخ ...

تسترجع أيامك ...

لكن ... ،

لا تصبغ ريشك ، أو تلوى منقارك

أو تحجل بين أوانى العهر المصفوفه

.. حتى لو مالت ، أغصان الكلمات .. فلا

يعرف أين تحط .

واقترب القوسان ...

. زناد الصياد ... وفخ القحط

(٤)

.. يا .. طيرى .. العائد .. من فوهة الشمس

ما كنت أبيعك ... بالثمن البخس .

الجبارنة

محمد مستجاب

● اختلج صوت الجبارنة حزنا ، أشار اليهم جابر الكبير
ـ المسجى ـ رامشا أن يجلسوا، همس واحد باكيا :
ـ أوصنا يا أبانا
فظل جابر الكبير ممعنا وصامتا.

● أسرع واحد فجمع أعوادا فى حزمة واحدة ليذكرهم بأن الاتحاد قوة . فظل جابر الكبير ممعنا وصامتا.

● تهدج صوت آل جابر بترنيمة عن وزير بدأ حياته فى جب . فظل جابر الكبير ممعنا وصامتا.

● رتل ذو صوت صادح حكاية المبتلى . فى جسده بالقروح فحملته زوجته الى الأصقاع بحثا عن علاج .
فظل جابر الكبير ممعنا وصامتا.

● تقلب وجه الجبارنة فى الأركان والسقف والفراش ، ثم فى وجه جابر الكبير المشع نورا :
ـ أوصنا يا أبانا ..

● وقبل ان ينغلق رمش عين جابر الكبير همس فى قوة :
ـ أوصيكم باقتناء جمل .

جمل ، ووفود المعزين تتمتم صبرا وسلوانا ، الرب أخذ والرب يعطى ، طول عمر الجبارنة ما فكروا فى جمل ، وتصدر جابر الكبير مأتم جابر الكبير فظل الجمل يهوم متشكلا ضاغطا ، تسرب من الوصية الى الهمس ، وكل هنيهه يقترب فم جابر نحو أذن جابر : الرب أخذ والرب يعطى ، فمنذ أن أصبح لذوات الأربع أربع ونجع الجبارنة يحب الحمير ، يمتطى الحمير ويقص شعر الحمير ويصبغ الحمير ويلجم الحمير ، ويقلم الأظلاف ، ويصنع البراذع وزنابيل السباخ ، ويداوى الظهور ويكافح التسلخ وكسور الركب وتآكل الحوافر ، وأى جابر يحبو يمكنه ـ ومن النظرة الأولى ـ أن يعرف نوع أى حمار ، وسنه وعدد الحدوات التى أهلكها ، وموطنه الأصلى ، وما حاق به من تجارب منذ نعومة حوافره ، الرب أخذ والرب يعطى ، جمل ، وما كاد المأتم ينفض حتى أيقن نصف الجبارنة أن جبران العمودى عاش خمسة وثلاثين عاما ناسكا متواحدا فوق عمود بسبب خلو النجع من الجمال ، جمل شامخ سبامق ، وكانت الجمال تعبر الصحراء حاملة للرهبان المنقطعين الخبز والحطب والصبر والقدرة ، واستظل الأنبا « جرابامون » بجمله اتقاء الهجير ثم نحره جوعا فبكى الجمل راضيا ، ثم أيقن النصف الباقى من الجبارنة أنهم ليسوا كأولاد عبد المعز الذين وهبوا حياتهم للماعز ، أو آل مفتاح الذين يسيحون فى النجوع ليصلحوا مغاليق الأبواب ، كما أنهم بعد اليوم لن يكونوا

كتلك الجماعات المعروفة التي وقعت في براثن الدجاج أو الأرانب أو فتح المندل أو دق طبول الزار أو صنع التمائم أو سرقة أكفان الموتى أو تجليخ المقصات والسكاكين . جمل ، شكرا للرب أولا ثم لجابر الراحل بعده .

وظهر أول جمل قادما من سواكن أو سمالوط أو درب الأربعين أو سيوة ، أطل على النجع بسنامه العالي ورقبته الشامخة ورأسه المتطلع الى السحب ، وتدفق صوته المشابه لصوت اندفاع المياه من القلة ، هادئا صبورا يسير الهويني على بساط الرحمة ، وسرت موجة الحبور في الجبارنة فاهتزوا وتقافزوا ، وتشعبط جبير في الرقبة العالية ، وتسلق جبران سنام الجمل لكنه سقط ، وتعابثت جبرانة في الذيل القصير فازداد النجع مرحا ، ومار آل جابر بالنشاط والسعادة ، وكل يوم يمر تفد الجمال الى النجع وكل جمل يفد يكتشف الجبارنة اللحم والشموخ والوبر ، ويكتشفون ما عانوه داخل تلك البيوت الكابية ذات الحارات الكابية ، فقام الجبارنة بهدم أصداغ البيوت وتوسيعها ، وقاموا بفرش الرمل في الأفنية والباحات ، وقامت جبيرة باختلاق مغزل يثير الضحك لكنه أنتج من الوبر خيوطا ، وتجمعت الخيوط في آخر الأمر تلفيحة على عنق جبرانها ، فقام جبور أريب بتركيب نول فامتلأ النجع بالزعابيط والتلافيح والأغطية والدفء ، وقام جبارة قديم بتعليم الجبارنة الصغار كيف يصنعون الهوادج ، وانتشى النجع حينما زف أول عروس في حياته على ظهر جمل ، كانوا — في ذلك العصر الذي لا يميلون الى التفكير فيه — ينقلون العرائس من بيت لبيت دون تلك الفرحة القصوى التي تشع ، الهودج المنمق المزخرف والعروس فوقه تتلألأ وتتالق والجمل تحتها يتهادى ، وتنطلق الأعيرة النارية فلا يفزع ، وتنطلق الزغاريد فلا يفزع ، وتشتعل النيران فلا يفزع ، وتنذبح الجمال — كرما وحفاوة — فلا يفزع ، حتى ان من تزوج من قبل صمم على أن يعيد الاحتفال بزواجه من جديد .

• • •

وخلال سنوات قليلة امتزج الجبارنة بالجمال وامتزجت الجمال بالجبارنة ، ارتفعت أسقف بيوتهم وارتدوا الحبرة والكوفية والمراكيب الأنيقة ، وبزوا العربان في صناعة الهوادج وتنميقها ، ونجحوا في اكتشاف مزيج جديد لعلاج الجرب ، وتمكنوا من حفظ اللحوم المتبلة شهورا ، وقام جابران متجاوران بتخزين الدهون وبهريز العظام ، وتمكن جبرون من احتكار جلود الجمال وأجاد تسويقها في النجوع المترامية في الوادي ، ونجح جبرة صبور في استحداث علاجات للبهاق من أحشاء الجمل ، وللصمم من طبلة أذن الجمل ، وللسير أثناء النوم من خف الجمل ، ولاضطراب الدورة الشهرية من نخاع الجمل ، وللتزود بالثقة ليلة الزفاف من حليب الجمل ، ثم .. نجح جبرة أكثر صبرا في تجفيف عروق الجمل وسحقها مع الوبر المحروق وشحم مؤخر الرقبة ليصل الى مزيج لعلاج العقم ، فازداد النجع شموخا ، وفخرا ، وزهوا ، حتى ان أجساد الجبارنة استطالت ، ورقابهم علت ، وشابت أصواتهم غنة تدفق المياه من القلل ، وغلظت عيونهم ، وقصرت آذانهم ، ثم لم تلبث مشافرهم أن انشقت ، وأقدامهم أن تفلطحت .

● اختلج صوت الجبارنة حزنا ، أشار اليهم جابر الكبير — المسجى — رامشا أن يجلسوا، همس واحد باكيا :
— أوصنا يا أبانا
فظل جابر الكبير ممعنا وصامتا.

● أسرع واحد فجمع أعوادا فى حزمة واحدة ليذكرهم بأن الاتحاد قوة .

فظل جابر الكبير ممعنا وصامتا.

● نهدج صوت آل جابر بترنيمة عن وزير بدأ حياته فى جب .
فظل جابر الكبير ممعنا وصامتا.

● رتل ذو صوت صادح حكاية المبتلى فى جسده بالقروح فحملته زوجته الى الأصقاع بحثا عن علاج .
فظل جابر الكبير ممعنا وصامتا.

● أنشد ذو صوت رخيم موعظة الجمل الذى جاب الفيافى بحثا عن قاتل صاحبه .

فظل جابر الكبير ممعنا وصامتا.

● تقلب وجه الجبارنة فى الأركان والسقف والفراش والأغطية والصوف ، ثم فى وجه جابر الكبير المشع نورا :
— أوصنا يا أبانا .

● وقبل أن ينغلق رمش عين جابر الكبير همس فى قوة :
— أوصيكم باقتناء بغل .

نجع طاهر ابن طاهر من أصلاب أطهار ، كيف فات عليه أمر البغال ؟ ، وبمجرد الانتهاء من قبول العزاء فى جابر الكبير كان النجع ينظر بنصف عين الى الجمال الباركة ، حجمها الضخم وعيونها الغبية ورقابها الملتوية ، وهمس جبور فى أذن جبور : الرب أخذ والرب يعطى ، تضور : لم أستطع أن أذوق لحومها أبدا ؟ ، ووقف جبران على هودج مركون وحمد الرب ، والجمل كما تعرفون ابن صحراء ونحن نعيش فى وديان، وابن جبرانه الوحيد فتك به جمل ، خلصناه — يا عينى — أشلاء من حنك القاعود ، وقبل أن تتفاعل العقول مع الذكريات الأليمة ظهر البغل ، وديعا أطل وهادئا تحرك وكأنه قادم من منازل القمر ، وقامت جبيرة مزغردة ونثرت الدقيق على الوجه الرصين ، واهتز وجدان الجبارنة فأطلقوا النيران والأقوال والحكم ، وكل بغل يفد يكتشفون فيه الخصال والميزات ، اعتمد عليه الأنبياء فى رحلاتهم المرهقة الى عنان السماء ، وشارك العلماء فى اختراقهم المضنى لصحراوات تونس وأسبانيا والنمسا والبنغال ، حمل الكتب والقوارير والخيام أحقابا طويلة ، ما سمعنا أبدا أن جملا تمكن من اجتياز قناة ، الرب أخذ والرب يعطى ، وما سمعنا أبدا أن جملا صعد جبلا ، دعونا من الجمال ولا داعى لاثارة الشجن أو توجيه اللوم ، نحن أبناء اليوم ، فصرخ جبران مكلوم أن يتقوا الرب ويتركوا الخلق يقولون كلمة الحق ، ثم علا صوته وتدفق مغرقا المكان : أى واحد منكم ذلك الذى يستطيع أن ينسى واقعة فرن جبرون الطيب ؟ ، والجبارنة أناس طيبون لكن الأمر صحيح ، فقد كان جبرون الطيب عائدا فى ذاك اليوم ممتطيا قاعوده الأثير ، وعند انحناءة البيت الكبير هاج القاعود ، هاج وتلاطم فى الجدرن واندفع فى الشوارع عاصفة ، وجبرون الطيب — متشبثا بظهره — يصرخ ، والجبارنة ينظرون من الأبواب والكوات ويضحكون ، ثم تمكن القاعود الهائج من قذف جسد جبرون ليصكه فى حائط ولتنكسر رقبته ، واستمر القاعود يخترق حتى اقتحم بيت صاحبه ، فانهارت الجدران على آل جبرون الطيب ، وظل القاعود يدك المكان بسيقانه وعوارضه حتى انهار الفرن واشتعلت النيران ، وماذا يا جبران المكلوم ؟ ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

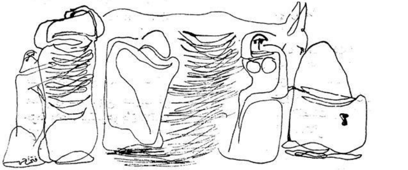

ومع ذلك ظل الجبارنة يضحكون ، حينئذ ثار جبير صامتا واندفع الى جمله فعقره اثباتا لكراهيته لمثل هذا الحيوان ، وكاد النجع يتحول الى مذبحة لولا أن البغال استمرت تهل ٠

●●●

وارتاح البغل فى نجع الجبارنة ، وتحول بسرعة الى همة ونشاط وجر وشحن ، وقام أربعة جبرانات بفتح ورشة عربات ، وساعدوا جبورا مكافحا كى يصبح حدادا ، وجبورا متسلقا أن يصبح نجارا ، واستحالت الباحات والأفنية والأحواش الى أماكن تجميع سطوح وعجلات وعرائش العربات ، وانتشى الجبارنة وهم يرون بغالهم تخترق الطرق ساحبة خلفها العربات الى كل النجوع المجاورة ، ولأول مرة عرف النجع تمهيد الطرق وتسويتها ، وأجاد معرفة نوع الشجر والخشب والحديد ، وظهر منهم نابغون فى مداواة الجراح وتركيب الحدوات وبذل خراريج البغال ، وظهرت بيوت متخصصة فى السروج والركابات والتحزيم والتعريش ، وقام منظرون بتوجيه الجبارنة الى أحسن طرق مغاداة جراح الاحتكاك وأورام القوائم وتسلخات الظهور ، وكلما عج النجع بالبغال والعربات ازداد الجبارنة زهوا واكتنازا ٠

واندفعت طهارة البغل الى السلوك والكلام ، أى عصر ذاك الذى جعلهم يتجمعون حول حمارة وحمار يسعيان للتواصل ؟ ، وأى فجاجة تلك التى كانت تؤذى عيونهم بمنظر ناقة مبطوحة أرضا وجملها يرغى ويزبد رغبة فيها ، فلنردم الذكرى ولنسعد بالجبارنة وهم يمارسون حياة نقية دون تعشير وعسس وتوليد وقاذورات، وألقت الطهارة ظلها على النجع كله ، فأصبح هادئا مستكينا ، يثابر ويتاجر ويتقاسم الرزق ، وبدا آل جابر موفورى الصحة سليمى الأسنان والقواطع ، ولم يعد لأحد منهم صوت منفر كأنكر الأصوات أو حنجرة مجلجلة كانسكاب المياه من القلل ، فلم يكن البغل ضاجا أو مزعجا ، صوته ناعم رقيق ليس نهيقا ولا ثغاء ، انما هو هذا الصوت اللين الرقيق المشابه للهسيس ، مجرد هسيس غير مقلق حتى كاد الجبارنة يحسون أنهم لم يناموا طوال حياتهم الا الآن ، وانكمشت حناجرهم وتضخمت أكتافهم ، واستطالت مناخيرهم وسمنت كواهلهم ومؤخراتهم ، وبدا أن الجر والشحن والنقل والتخزين والترتيب والمتاجرة قد داست على ذلك الشوق ٠ الموروث للزوجة والأنجال ، وأصبح سهلا على أى جابر أن يتوغل فى النجوع أياما وشهورا دون قلق أو توجس ، وبدأت أقوالهم ومواويلهم وأشعارهم تخلص من رذائل العشق والعواذل والخيانة والهيام ، وانتفت من حكاياتهم هذه المباذل التى أغرقتهم فيها عصور البذاءات ، ثم لم يلبث الجبارنة أن توغلوا أكثر فى عالم الرصانة والحكمة المبطن بالهدوء والنوم دون ضجيج الأحلام ٠

● اختلج صوت الجبارنة حزنا ، أشار اليهم جابر الكبير - المسجى - رامشا أن يجلسوا. همس واحد باكيا :

- أوصنا يا أبانا

فظل جابر الكبير ممعنا وصامتا.

● أسرع واحد فجمع أعوادا فى حزمة واحدة ليذكرهم بأن الاتحاد قوة .

فظل جابر الكبير ممعنا وصامتا.

● تهدج صوت آل جابر بترنيمة عن وزير بدأ حياته فى جب .

فظل جابر الكبير ممعنا وصامتا.

● رتل ذو صوت صادح حكاية المبتلى فى جسده بالقروح فحملته زوجته الى الأصقاع بحثا عن علاج .

فظل جابر الكبير ممعنا وصامتا.

● أنشد ذو صوت رخيم موعظة الجمل الذى جاب الفيافى بحثا عن قاتل صاحبه .

فظل جابر الكبير ممعنا وصامتا .

● انطلق هسيس ذو شجن يحكى عن بغل صادق ظل يسحب عربته خلفه دون أن يدرك أنها قد انفصلت وسقطت بصاحبها فى مستنقع .

فظل جابر الكبير ممعنا وصامتا.

● تقلب وجه الجبارنة فى الأركان والسقف والفراش والأغطية والصوف والسروج والحدوات . ثم فى وجه جابر الكبير المشع نورا :

- أوصنا يا أبانا .

● وقبل أن ينغلق رمش عين جابر الكبير همس فى قوة :

- أوصيكم باقتناء حلوف !

الهيئة المصرية العامة للكتاب

تقدم

قصص فى قصائد
احمد شوقى

فكرة
الدكتور عز الدين اسماعيل

الهدف
من نشر هذه الأشعار:
تدريب الأطفال على
قراءة الشعر وتذوقه

تحتوى المجموعة على
٢٢ قصيدة من قصائد
أمير الشعراء فى الحيوانات
صيغت القصائد
نثرًا وبأسلوب مبسط
يخاطب عقل الطفل ووجدانه

أعد الصياغة النثرية
كاتب الأطفال
الأستاذ/ عبد التواب يوسف

الحب لك

وفاء وجدى

لو الحبُ ذاقَ الذين أحبوك قبلى
جـواهُ وشهدَه .
وقـالوا عن الحب ، لكنهم لم يبوحوا –
بسر هـواكَ لأَسبرَ وجده .
وكان عليَّ ارتيادُ الطريق . .
أكابدُ فيه الهوى والجـوىَ ،
وأعشقُ فيه أساهُ وسُهدَه
فما زادَنِي الشوقُ إلاّ عناءً .
ومـا زادنى القُرب إلا اشتياقا
لو جهك إذ نورُهُ قد تبدَّا .
وبين ارتيادِ الهوَى ،
وبين انتظار الـرضَا ،
أمدُّ يدى .. هـل تمد اليدا ؟

* * *

هو الحب يحفظه العاشقون ،
فمن باح منهم به ياحبيبُ ينوءُ
بهجرك . . .
فكيف أدارى الهوى – دون بوح –
بصدرى ؟
وكيف احتمال الشعور إذا ماضننتُ
عليه بشعرى ؟
فهبنى سبيلَ الذين أحبوكَ قبلى ،
فأسكن فى قُمقُم الحب لاأملكُ البوحَ
فيه بسرك . .
أو اغفر مباهاةَ قلبى بحبك وانشر –
على الناس أمرى
فإني أُبَاهِي بحبكْ ،
وأُفشِي على الناس سرى .
أحبُكَ من قبل أن يدركَ الحبّ قلبى ،
فمنذ فتحتُ العيونَ عرفتُكْ
وأضمرتُ حبى .
ولكننى ، شأنَ سعى الخليل ، مضيتُ
أفتشُ عنك .
وشأنَ سليمانَ أنشدتُ لك
فكيف إذا حُزْتُ مزمـارَ داودَ لاأتغنىَّ ؟ !
عرفتُ الطريقَ إليكْ ،
فدعنى أغنى لحبِّكَ ، فالحبُّ لكْ . .
الحبُّ لَكْ . .
الحب لك .

المهان

■ طلعت فهمي

استقبلتني السكرتيرة بوجه باسم ، وعندما أعلنت لها انني أريد أن أقابل الكاتب الكبير (٠٠٠٠) ازداد وجهها بشرا ، وشككت في أنها تتصنع الترحيب بي ، ولكنها قطعت شكي وقالت :

ـ الكاتب مشغول الآن ، ويمكنك أن تنتظره قليلا ٠

فجلست صامتا ، فاستطردت تقول :

ـ لقد نبه على أن أدخل اليه كل الأدباء الشبان الذين يطلبون مقابلته ٠

فاستغربت من معرفتها لى ، بالرغم من أنه ليس هناك شيء يدل على أنى من الأدباء ، اللهم الا هذه الأوراق التى أحملها تحت أبطى ، بضـع قصص قصيرة ٠ ابتسمت لها ، وفرحت لأنى سأقابل كاتبى العظيم ٠ أبى الروحى ، الذى قرأت له مثنى وثلاث ورباع ٠ وأخذت أنظر الى الفتاة التى أنشغلت بأوراق فى يدها فى حوالى العشرين من عمرها ٠ كانت تدخن سيجارة يخرج الدخان من فمها المضموم اللذيذ ٠ لم أكن مدخنا ، ولكنى تمنيت أن أكون من المدخنين فى هذا الوقت بالذات ٠ نظرت الى وابتسمت فى ود كأنها تعيننى على الانتظار ٠ عيناها واسعتان جميلتان ، ولها أنف صغير يتناسب مع وجهها المستدير ٠ فتح باب جانبى وخرج رجل فى الخمسين ٠ ألقى التحية الى الفتاة ثم تابع خطواته السريعة العصبية الى الخارج ٠ قالت السكرتيرة وهى تقوم نصف قومة ٠

ـ يمكنك الآن أن تدخل اليه ٠

شكرتها بنظرة من عينى ٠ ودخلت الى الكاتب الكبير ، فاستقبلنى واقفا ، وقبل أن أقترب منه ، أشار على أن أغلق الباب ٠ كنت قد أغلقته ، ولكنى التفت ورائى فوجدته مغلقا ، فنظرت الى الكاتب مرة أخرى متشككا ٠ فابتسم ابتسامة واسعة وهو يقول :

ـ خدعنى نظرى ، كنت أحسبه مفتوحا ٠

سلمت عليه ، ولم أجلس الا بعد أن سمح لى ٠ وجلس هو أيضا ، ونظر الى طويلا ٠ كنت متهيبا اللحظة ٠ وعندما هممت بالكلام بعد أن طال الصمت بيننا ٠ بادرنى قائلا :

ـ أنت من الطلائع ؟

فنظرت اليه مستفهما ٠ فاستطرد قائلا :

ـ أعنى من الأدباء الشبان ٠

فقلت له وأنا أضحك بمرح :

كيف عرفت ؟

فقال بسرعة :

ـ من قفاك ٠

لم أفهم ما قال ٠ أعتقدت أنه يسخر منى ٠ قال :

ـ لن تصدق بالطبع ٠ ولكنك فى أول الطريق وهذه الأشياء قد تخفى عليك ، ولكنى لم أطلب منك أن تغلق الباب الذى كان مغلقا ، الا لأرى قفاك ٠

أنزاح الكدر قليلا ٠ وابتسمت مرة أخرى ٠ قال :

ـ اننى أرحب دائما بالأدباء ، أحس عندما يلجأون الى بأننى قد أديت واجبى كاملا غير منقوص ، واليوم يأتى الى الأدباء لأقوم بدور الأب والموجه ٠

استرحت له كثيرا ، ولم يخب ظنى ٠ هذا الرجل يمثل عن حق كل ميراثنا الروائى ٠

قطع تأملاتى قائلا :

ـ وأنت ماذا تكتب ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقلت بسرعة :

– أكتب القصة القصيرة .

ومددت له يدى بالأوراق التى أحملها . ولكنه تجاهلها ، وذلك أكربنى . فأرجعت يدى قال :

– القصة القصيرة لا تكشف عن شىء . كم من كتاب وقفوا حيـاتهم على القصة القصيرة . ولم يستطيعوا أن يتجاوزوها ، لقصور بالطبع فى موهبتهم . الرواية هى التى تستطيع أن تكشف هل أنت كاتب ، أولا ؟

قلت له : وأنا من رأيك يا سيدى

فتساءل قائلا : هل كتبت رواية ؟

قلت : لا

قال : عندما تكتب رواية ، أرجو أن أكون أول من يقرؤها .

فقلت بسرعة : طبعا .. هذا شرف لى

قال : الحمد لله ، أنك أتيت الى قبل أن تكتب رواية . ثم تساءل : هل يحق لى أن أوجه لك النصح ؟ . قلت : بالطبع يا سيدى

قال الرواية يلزمهـا النفس الطويل ، ولن يتسنى لك ذلك الا بالجرى ! لم أفهم ما قال ، فقال ضاحكا : نعم . قد تستغرب ، ولكن الجرى سوف يوفر لك النفس الطويل . وخذها منى نصيحة ، عليك أن تجرى كل يوم ساعتين على الأقل ! وقف فوقفت . ومد يده فشددت عليهـا بامتنان ، وخرجت وأنا فى غاية المرح . وعندما غادرت مبنى الجريدة ، ذهبت الى ناد رياضى واشتركت فيه ، وأخذت نفسى بالتدريب العنيف يوميا بلا تراخ لمدة عشر سنوات . ثم كتبت رواية وذهبت اليه ، وعندما دخلت عليه . قال لى بعد أن سلم على وأجلسنى : أنا أتذكرك . فسررت لذلك جدا ، وقدمت له على الفور الرواية التى كتبتها . ولكنه لم يأخذها منى . فأرجعت يدى ووضعتها أمامى على المكتب . قال :

– شىء جميل أن تأتينى برواية مكتوبة . وأن تمتثل للنصيحة ، فبالرغم من أن مكتبى فى الدور السادس فانه لا يبدو عليك أى مظاهر الاجهاد .

فقلت له : أنا الآن من العدائين الممتازين .

قال فى نبرة جادة : هل تجهزت للنقاد ؟ .

ولما لم أجب قال لى :

– أنت تعرف أن أكثر النقاد ليس لهم فى الفن قليل أو كثير . لذلك أسألك هذا السؤال . ويبدو أنك لم « تعمل حسابك » ، وأنا أنصحك ، اذا جاز لى ذلك ، أن تبدأ الآن وبعد أن كتبت رواية فى تعلم الملاكمة .

أندهشت للأمر ولكنه بدا جادا لا يهزل . ثم قام ، فقمت . ومد يده فشددت عليهـا باعزاز وخرجت وأنا من المرح فى غاية ، وتوجهت الى نفس النادى بعد أن غادرت مبنى الجريدة وجددت الاشتراك . وأمضيت عشر سـنوات فى تعلم الملاكمة . ذهبت اليه مرة أخرى ، كان الشيب قد غطى رأسى : وكنت قد فقدت أشياء كثيرة من أجل الفن . فأنا رجل أعزب ، ولولا بيت فى مصر القديمة ورثته عن أمى لأصبحت الآن من المتشردين ، ولكن كل شىء يهون فى سبيل الفن . دخلت اليه فى حجرته فقام الى . لا ينقطع ترحيبه أبدا ، وهذا ماازاد من حبى له . وعندما جلست قال لى : فى المرة الفائتة نسيت أن تأخذ روايتك . وقد قرأتها . فقلت : وما رأيك يا سيدى ؟ . قال : هل نسيت أنك تركتها منذ عشر سنوات ، كل شىء قد تغير الآن حتى مقاييس الفن ! هل تصـدق ذلك ؟ ان روايتك ممتازة ، ولكن لو نشرتها الآن ، فقد تحسب عليك لا لك . صدقنى!

قلت له فى حزن :

– كنت أعول عليها آمالا كثيرة .

ساد الصمت بيننا لحظة . ثم قال :

– احك لى عن تجربتك فقد تنفعنى فى كتابة رواية . ولما نظرت اليه ، ضحك ضحكته المجلجلة المشهورة . ثم استطرد قائـلا : أنت لم تخلق للكتابة ولكنك خلقت لكى يكتب عنك . لم أحتمل اهاناته ، فقمت ، وعندمـا خرجت من البـاب سمعته يقول :

– ألا يوجد انسان عادى فى هذه الدنيا اللعينة !

ثم ضحك مرة أخرى ، فأغلقت الباب وكانت ضحكاته تكاد تصم أذنى ، نظرت الى السكرتيرة ، فأدهشنى أنها ما زالت فى العشرين !

ترانيل

□ عبد المنعم الانصاري

بوميض عينيك الدروبُ تضاءُ
وخطاىَ في أرجائها عمياءُ
الحقُّ فيها والضلال تشابها
فالموت فِيها والحياةُ سواء

* * *

عيناك لى بـرٌّ الأمـــان بعالم
الناس فيـه برعبهم سجناء
شهواتهـم صدئت فليس يثيرهم
ظمأ وَليس يـهـزُّهم إرواء
أنا مثلهم .. قنّعتُ وجهىَ بالرضى
وكست جبينى بسمةٌ بلهـاء
الرعب تحت وسائدى .. وعيونه
رَصَدٌ على .. وهمسُهُ إصغـاء
فى ظاهرى حُـرٌّ .. وبين جوانحى
عَبدٌ تدارى سمتَه الظلمـاء
من ذا يميّزنى ؟ فإن ملامحـى
من طـول مالوّنتهـا شوهـاء !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويداك - تمتدان لى .. يالحظـــة

راحت ، لكِ العمُر الشقىُّ فـداء

* * *

لو ترجعين .. هدمتُ .. شِدتُ مدائنا

ومحـــوت أو أثبَتُّ كيف أشاء

ساظلُّ مــرتحلاً إليك ودوننـــا

بيداءُ دون حــدودها بيداء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

نمت المخاوف فوقَهـا وتطاولـت

كالنخــل فى آفـاقها البغضاء

* * *

ياسيدى : شَرفت بك الجـوزاءُ

وفـدتك منىَّ الـــروح والأنباء

مُر سيدى السياف يُغمد سيفَه

فالأغنياتُ على فمى خرســاء

إلى نهر فقد تمرّده

■ فاروق جويده

لماذا استكنْتَ . .
وأرضعتنا الخوف عمرا طويلاً
وعلمتنا الصمت . . والمستحيل . .
وأصبحت تهرب خلف السنين
تجيء وتغدو . . كطيف هزيل
لماذا استكنت . .
وقد كنتَ فينا شموخ الليالى
وكنت عطاء الزمان البخيل
تكسرت منا
وكم من زمانٍ على راحتيكِ تكسر يومًا.
ليبقى شموخك فوق الزمانْ
فكيف ارتضيت كهوف الهوانُ . .
* *
لقد كنتَ تأتى
وتحمل شيئا حبيبا علينا
يغير طعم الزمان الردىء . .
فينساب فى الأفق فجرٌ مضىء . .
وتبدو السماء بثوب جديد
تعانق أرضاً طواها الجفاف
فيكبر كالضوء ثدي الحياة
ويصرخ فيها نشيد البكارة
يصدع فى الصمت صوت الوليد
لقد كنتَ تأتى
ونشرب منك كؤوس الشموخ
فنعلو . . ونعلو . .
وترفع كالشمس هاماتنا
وتسرى مع النور أحلامنا
فهل قيدوك . . كما قيدونا
وهل أسكتوك . . كما أسكتونا
* * *
دمائى منك . .
ومنذ استكنتَ رأيتُ دمائى
بين العروق تميع . . تميع
وتصبح شيئاً غريبا عليًّا
فليست دماءً . . ولاهى ماءٌ . . ولاهى
طينْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد علمونا ونحن الصغار
بأن دماءك لا تستكين
وراح الزمانُ . . وجاء الزمانُ
وسيفك فوق رقاب السنين
فكيف استكنتَ . .
وكيف لمثلك أن يستكين

* * *

على وجنتيك بقايا هموم
وفى مقلتيك انهيار وخوف
لماذا تخاف ؟
لقد كنت يوما تخيف الملوك
فخافوا شموخَكَ
خافوا جنونكَ
كان الأمانُ بأن يعبدوك
وراح الملوكُ وجاء الملوكُ
ومازلتَ أنت مليك الملوك
ولن يخلعوك . .
فهل قيدوك لينهار فينا
زمان الشموخ . .
وعلّمنا القيد صمت الهوان
فصرنا عبيدا . . كما استعبدوك

* * *

تعال لنحى الربيع القديم
وطهر بمائك وجهى القبيح
وكسر قيودك . . كسر قيودىَ
شرُّ البلية عمر كسيح
وهيا لنغرس عمرا جديدا
لينبت فى القبح وجهٌ جميل
فمنذ استكنتَ . . ومنذ استكنّا
وعنوان بيتى شموخ ذليل
فهيا نعيد الشموخ القديم
فلا أنا مصرُ . . ولاأنتَ نيل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلوين

محمد آدم

تدخلُ المصعدَ حاملةً
علبــةَ اللــــــــونِ
وشالاً أخضرَ اللـــونِ
ونهـــــــــــداً
ربمـــــــا
كــورهُ الفجـــــــرُ
وأعطاهُ النهارُ الفــذُّ أشياءَ أخـــــر .
هــا هى الآنَ تصفِّـــــفُ
شعــرهَا البُنِّىَّ
تضحكُ فِى المرايا الجانبيةِ
تستعيرُ الموقد الملآنَ بالغاز الرمــادىِّ
وتجترُّ الصــــــور .
تنقرُ الـــــريحُ
على غرفِ النومِ ، فتهتزُّ المصــــــابيحُ
ثم لا تلبثُ أنْ تستقـــــــر .
تمســكُ الفرشاةَ صاعدةً مع اللونِ
المفضَّض
تستطيلُ الشمسُ هابطةً إلى حيثُ
النهايات البعيدة
ثمَّ لايبقى مع الليـــــــــلِ أثر .
يدخلُ الدّخــانُ فى نفقٍ من الأضواء
أصباغٌ وأوراقٌ وأصدافٌ ولـؤلؤةٌ
وعزفٌ من ضجيج الـــريح
يصطحبُ المطر
آهِ . . .
تدخلُ المصعدَ حاملــــةً
علبةَ اللـــونِ
وشالاً أخضرَ اللـــــونِ
ونهـــــدا
ربمـــــــا
كورَهُ الفجرُ وأعطاهُ
النهارُ الفذُّ أشياءَ أخَـــــــر ..؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الملكة والمجنون

(مسرحية شعرية)

تأليف: د. أنس داود

الزوجة : « ليلى » ممثلة شابة فى حدود الثلاثين من عمرها ·

الزوج : « ممثل » فى حدود الخامسة والثلاثين من عمره ·

نسرين : « ابنتهما ·· طفلة جميلة ·· دون العاشرة ··

المجنون : رجل فى حدود الأربعين من عمره ·

نكرات مسرحية : جنود وممرضان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[المسرح صالة فسيحة مقسمة الى أركان ·· ركن به مجموعة من الكراسى « الفوتيه » الوثيرة ·· وركن به ترابيزة صغيرة للطعام ، وحولها عدة كراس ·· وركن للمكتبة ·· به مكتب متوسط الحجم ، وفوقه « تليفون » بشكل بارز ·· وفى رفوف المكتبة يوجد « التليفزيون » ·· كما يبدو بشكل واضح ·· الأدوات الحديثة ·· « الراديو والريكودر » توحى هذه الصالة ذات الأركان المتعددة بانها بيت لأسرة صغيرة من الأسر « البرجوازية » ·· ويبدو اهتمام خاص بالكتب والموسيقى والفنون عموما ·· غرفة أو ركن الصالون يبدو على الجانب الأيسر ·· فى نهاية الجانب الأيمن من المسرح يبدو بابان ؛ باب مدخل الشقة ، وباب يفضى الى داخل الشقة نرجح أن يكون ستارة منقوشة بالورود الكبيرة ، تلفت النظر ·· فيما بين ركن الطعام وركن الجلوس يوجد « المطبخ » بشكل حديث ·· يدخل قليلا الى عمق المسرح ·· ولكن يظل قريبا من العيون ، ومن ملاحظة الداخل مباشرة من باب الشقة ··

يفتح الستار عن امرأة شابة انيقة بل وجميلة تجلس على كرسى « فوتيه » مريح فى ركن « الصالون » بيدها كراسة ، او كتاب تقرافيه ·· يبدو واضحا أنها تذاكر شيئا ما ، وانها احيانا تنفعل وتحفظ ·· بعد لحظة تقف ·· وتاخذ وضعا تمثيليا]

هى : صدقنى
أنت اذا شئت
تمتلك العالم
العالم ملء ارادتنا
اخرج من نفسك
اخرج من هذا الخذلان المكبوت بأعمال الحرمان ..
اخرج من كل تراث القهر
تحرر
واغرس فى قلب الظلمة سيف النور
كن أنت ، بكامل عظمته ، « الانسان »
وابن « الانسان »
[يأتى رجل من داخل الشقة .. عبر الستارة]

هو : تصفيق حاد
سوف يجن الجمهور الليلة يا فاتنتى ليلى
سر نجاحك فى هذا « الدور » اعجابك به .. ايمانك بالمعنى والمضمون
امتصت روحك كل الأبعاد

هى : حق أم تشجيع ؟! ..

هو : يعنى .. مع فنجان القهوة .. يصبح حقا ..

هى : دعنى أكمل حفظ الدور

هو : **[فى توسل تمثيلى]**
ليــلى

هى : **[بنفس الطريقة]**
انتظر قيس

هو : **[فى لهجة غنائية يقلد عبد الوهاب]**
ملأت سماء البيت شايا وقهوة
وها أنا لا شايا شربت ولا بنا

هى : عفراء .. عفراء
[ترد هى] مولاتى
خذى وعاء واملئيه لابن عمى حطبــا

هو : طيب .. عنبا .. عنبا

هى : حسنا .. هاك هو
[تتجه الى الثلاجة التى توجد على مقربة، وتستخرج طبقا به عنب تقدمه اليه .. يتناول بعض الحبات ..]

هو : هل أشكو أمرى للمخرج ؟ ..
أم اشكوه لشيطان التأليف
وشيطان التمثيل
أم اشكوه لهذا المعبود « المسرح »
هذا المسرح يا ليلى
يمتص حياتى وحياتك

هى : بل يعطينا ألف حياة
نسكبها نحن لكل الأجيال
دفئا وربيعا

هو : ودموعا

هى : ورؤى تنسج أطياف المقبل فى أجنحة الغيب ..

هو : وشجونا تنتزع الآهة من أعمــاق القلب يا حبى ..
لا أستغنى عن فنجان القهوة

هى : أوه .. ما أتعسنى بك من زوج ملحاح

هو : [**ضاحكا**] وكسول ..

هى : أنت تعطلنى كى تسرق منى الضوء
[تقوم فى انفعال متجهة نحو المطبخ]

هو : **[يلحق بها لاسترضائها]**
هل أغضبت حبيبة قلبى

هى : **[تحرك عطفها فى تدلل]**
كلا ..

هو : **[فى لهجة تمثيلية غنائية]**
منى النفس ليلى
قربى فاك من فمى
كما لف منقاريهما عز دان
[يحاول تقبيلها]

هى : **[تلمح نسرين ابنتهما قادمة من الداخل]**
دعنى .. دعنى ..
هذه نسرين ..
نسرين

نسرين : **[تدخل فى اندفاع]**
ماما .. بابا

هو : **[يختطفها ويدور بها وهى بين ذراعيه]**
أوه .. نسرين .. نسرين
[يفلتها من بين يديه]

هى : هل أتقنت أداء الدور بفرقة مدرستك يا نسرين .. ؟ ..

هو : أوه .. رائعة كنت كبابا ؟! ..

هى : بل رائعة كنت كماما ؟! ..

نسرين : رائعة كنت كبابا ، رائعــة كنت كماما .. لا تختلفا ..

هى : **[آخذة بيد زوجها]**
هيا .. نبغى أن نسمع يا نسرين ..
[يجلس الزوجــان .. بينمـا نسرين تنطلق فى أداء دورها فى غناء تمثيلى .. وسط جو من الموسيقى الشاجنة]

نسرين : انهم يعرفون
أننا قادمون
انهم يعرفون
أن معنى الحياة
أن تكون الحياة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في سماء الوطن
حرة كالعبير
حرة كالضياء
أن يكون الاباء
عدة في المحن
في سبيل الوطن
في سبيل الوطن

[يقف الأب والأم بغريزتيهما التمثيلية في مواجهة الجمهور .. يتشابكان ويتغنيان ..]

هو وهي : أن يكون الاباء
عدة في المحن
في سبيل الوطن
في سبيل الوطن

هو : أوه تصفيق حاد

نسرين : ماما .. بابا .. أذهب كي ألعب مع غادة ..

[تخرج من الباب الذي كان ما يزال مغلقا .. وتتركه مفتوحا .. دون ان يتنبه أحد الزوجين الى ذلك .. يتجه الزوج نحو الداخل]

هو : لا تنسى .. القهوة ساده

[تتجه نحو المطبخ .. تلبس «الميدعة» تحضر أدوات اعداد القهوة .. يتسلل رجل من الباب المفتوح .. يتجه نحوها .. ينظر اليها في دهشة]

الرجل : يالك من غرة
أين التاج
في ميدعة الخدم تعدين القهوة
وأنا أبصرتك بالأمس على كرسي العرش ،
وفوق جبينك تاج القطرين ..
هل أخطأت طريقي للقصر ؟! ..
نسيت وما مر سوى ألفي عام
منذ تحادثنا آخر مرة ..

هي : [في دهشة وحذر]
من أنت ؟! ..

هو : عجبا ..
ونسيت « أنوبيس » الظافر بالعطف الملكى ، حين الوحش الهارب من عطفيك يفر ، وتمتلكين قياد « العقل » ، تجوزين العتبات الخضراء الى « دار الكتب الملكية » حيث تقيئين أمام أنوبيس الطيب نهر خطاياك مع المدعو « أنطونيو » ..

هي : من تحسبنى ؟! ..

هو : « كليوباترا » بالطبع
فاتنتي .. فاتنة العالم
صاحبة الأنف الأقنى ،
والعاطفة النارية ..
أم أنك خادمة الملكة .. ؟ ..
أو أنت وصيفتها ؟ ..
أو شيء من هذا ..
أعنى أنك لست الملكة .. واختلط على الأمر مع أنك كنت على أطراف أصابع رجليك العاريتين ، وفي مبذلة النوم الوردية .. تخفيك ، وتبدى كل الفتنة في آن ..
منذ هنيهات معدودات لا تتخطين سوى الفى عام ..

[تلمح في يده سكينا حادا .. ينقله بين يديه كأنه يلعب به .. تبدأ في الحذر منه .. مدركة نوع خطورته ، تقول مداهنة]

هي : لا تجعل هذا الشك القاتل .. يغزو ما أثر لدينا عن صائب رأيك فأنا الملكة لا ريب
ولكنى أتخفى في زى متبذل

هو : [مقاطعا وفي حدة]
ولماذا يا سيدتى
يا أنضر أنثى في هذا الكون
تخامرك حماقات لا تخطر في بال .. ؟! ..

هي : أو لا تدرى ؟! ..

هو : أعلم أن الحمق يخاتل رأس ذوى السلطان ، وأن الأنثى الشيطانية « كليوباترا » أحمق من لبست تاج الملك ، ومن نثرت فوق رعاياها بدع الأهواء ..

هي : لكنك كنت تحب جنوني ·
ترمقني في شغف ليس أقل جنونا
[تلمح زوجها آتيا من بعيد فتهتف به]
ميك ..

هو : [ملتفتا اليه في حركة سريعة .. ومقاطعا لها]
ميكيا فيللى
أعرف هذا الوغد رئيس الوزراء

الزوج : من هذا المجنون ؟ .. كيف أتى ؟! .. كيف اجتاز الباب ؟! ..

هو : [يلوح بين عينيه بالسكين]
يا هذا .. لا نعرف قدرى ..
أويجرؤ حراس الملكة ، أو خفراء الأبواب السبعة أن يعترضوا خطوى ..
وانا .. عقل الملكة ، مبعث فتنتها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالفكر ، وحارس «دار الكتب الملكية» .

الزوج : [**فى استغراب**]
عقل الملكة .. دار الكتب .. ال ..
ال ..

هو : المدعو « أنطونيو »
يستأثر بالجسد الرخص ،
ويمتص رحيق الزهر ،
ويرقد فى بستان الريحان ،
أهذا عدل ..
قل لى .. قل لى .. أو هذا عدل ؟ ..
وأنت الوغد رئيس الوزراء
تقعى عند الباب
« أنطونيو » مضطجع فوق فراش العرش،
وأنت تسطر للشعب أكاذيب .. تبرر
فيها الفسق
ويصلى العجزة والرهبـــان الى الخالق ،
مخدوعين بما « تمخطه » أنت بكل صباح
عن حكمة هذى الفاسقة الملكة ،
والسهرات المتعبة المرهقة الممتـــدة حتى
الفجر ، تباحث فيها المدعو « أنطونيو »
عن أحلام الشعب
وآلام الشعب
ولقمة خبز يفقدها هذا الشعب
أو تدرى

الزوج : [**كأنه مستلب الارادة**]
ماذا ؟! ..

هو : [**فى استدراك**]
لكن ما شــأنك أنت رئيس الوزراء ،
وما أنت سوى « ممســحة » فى هذا
القصر ..
يا مولاتى
يا عين الفتنة والحسن
دعى هذا الوغد رئيس الوزراء
يعلق ميدعة الخدمة فى كتفيه
كأى حمار يلبس « برذعة » لائقة
ودعيه يعد القهوة ..
وتعالى أنت هنا ..
[**فى لهجة آمرة**]
تعالى ..
[**يشير الى الكرسى الذى كانت تجلس عليه .. تطيعه فى وجل .. مستسلمة**]
اضطجعى فى زهـو فوق سرير العرش
[**تجلس .. يوجه كلامه الى الزوج**]
استلم العهدة يا « خنوص »
وهذه الكلمة لا يعرف معناها الا الغائص
مثل فى بحر الكتب الصفراء ، وتعنى
« الخنزير »
[**يظهر على الزوج التأفف من هذا السب الجارح**]
أعد القهوة أنت ..
[**يسير متجها نحو المطبخ**]
ولكن .. بضع دقيقات ..
نظف قبل حذاء الملكة
[**ينحنى على الحذاء مطيعا**]
انصرف الآن

[**يتجه نحو الزوجة**]
هلمى سيدتى
هذا كرسى العرش
اضطجعى .. عودى لسجيتك الحاكمة
وأنفك هذا المعوج قليلا ..
زميه الى الآفاق
[**تبدو مطيعة كأنها بين يدى مخرج**]
ابتسمى الآن
أين التاج .. أين التاج ؟! ..
فلا معنى للملكة « كليوبترا » دون
التاج ..
سلينى ..
فانا أعرف أسرار الخلق
وأعرف أنك لســت الأنثى الفــذة ،
بل أنت الأنثى الحاكمة ،
وأنك قاهرة باسم الحكم
ولست سوى امرأة مثل بقية هذا الجنس
الملعون ، وأنك .. أنت ..
بدون الحكم
ودون الجيش الفاغر فاه الى الشــعب
ودون القمع الهمجى ،
امرأة فارغة ..
قد نجد امرأة تبتاع « الجرجير » بسوق
« العتبة » أجمل منــك مئات المرات ،
ونجد امرأة تتعرى من أجل اللقمة ..
أشرف منك على وجه التحقيق
يا امرأة تأكل قوت الشعب
ولا تعرف .. أن الشعب وشيكا سوف
يفيق
..
أين التاج ؟ ..
[**يبحث فى المكان بعينيه .. تستوقفه أشياء مما هو متنــاثر فى الغرفة .. يتفحصها**]
هذا تاجك .. لا ..
بل هذا .. بل ذاك ..
أيضا .. لا
[**يسالها فى حدة**]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أين التاج ؟! ..

هي : [في ذعر]
لا أعرف أين ؟! ..

هو : [ينظر الى قدميه .. يستوقفه منظر حذائه .. يخلع احداهما]
هذا .. حسنا .. يصلح تاجا ..
أو رمزا للتاج
[يضعها فوق راسها]

هي : [في اشمئزاز]
هذا ..

هو : أشرف من تاجك لا ريب
سعيت به دوما في الطرقات .
وراء الخبز اليومي ، وقوت الأولاد ،
تدفق فيه عرق الكدح المتواصل ،
وتراب الحارات ،
وهذا الزفت المتسخ المدعو في اللغة الفصحى « جورب » كم نز به من فيض قذارة رجلي ..
وكنت أعود الى زوجتي الراضية .
القانعة ، بجنح الليل ، تضمد كل جراحاتي في صمت ،
وتلمع لي هذا التاج ، تنظفه كي يحمل عبء اليوم القادم ..
في زهو الشرفاء ..
.. ..
والآن
وقد أتممنا واجهة الملك على خير وجوه الاتقان .. فانا .. بثقافتي الجلى ،
ورصيدي من معرفة التاريخ .. سأجلس للشورى ..
والمدعو « أنطونيو » للتشريع ،
وللتنفيذ ،
واشياء اخرى
[يحاول الزوج التسلل نحو التليفون .. يحس به يلوح له بالسكين]
أين القهوة يا وغد ؟! ..
[يكر راجعا مرتاعا]
نستأنف ما كنا نبحث فيه من أمر الدولة ،
وشئون الحكم ..
قد أثقلت على سيدتي الملكة ؟!

هي : [في مداراة]
كلا .. اني سامعة
[يقع الحذاء على الأرض .. تبدو محيرة]

هو : [في هياج]
التاج ..
يسقط تاجك يا سيدتي ..

هي : [كالمعتذرة]
لا أقصد .. غصبا عني
[تنحني عليه .. تاخذه .. تضعه فوق راسها في عناية كانه تاج حقيقي]

هو : [في هدوء مفاجيء يتكلم في حكمة]
لا تهتمي ..
هذا فال حسن يا سيدتي ..
نعرفه نحن المطلعين على أسرار التاريخ

هي : [تصطنع الرضى]
حمدا لله

هو : [في تؤدة]
معنى هذا يا سيدتي
أن الشعب الجائع أوشك ان ياتي
أن يقتحم عليك القصر الغارق في النعماء
ولسوف تدوس على رأسك أحذية الفقراء
[يحاول الزوج التسلل ثانية نحو التليفون]
القهوة يا وغد
[يرجع مرتاعا]
لا أعرف يا سيدتي ..
مسألة كانت تنهب أوقاتي
حين تخايل افكاري
بل كانت تطرد عن عيني النوم
اذا زارتني في الليل
هل تسمعني مولاتي

هي : [مصطنعة الانتباه]
أسمع .. بل أصغي لك
علي أعرف ما يضنيك
[يضحك .. فتتضح عليه اكثر مظاهر الهستيرية]
ها .. ها ..
طبعا .. هذا ما يخطر لذوي السلطة
حين أطاعمهم من مائدتي
وأقاسمهم في أسماري العلوية ..

هي : [في كثير من الارتياع]
عفوا .. لا أفهم ..

هو : بل بالأقيسة العقلية
أعرف ماذا تعنين
بل .. أفصح أكثر يا سيدتي ..
أني حين اجتزت القصر
تراءت لي تلك الأوهام
سوف تظن الملكة أني
جئت أفاوضها عن نفسي
الفي عام ما بين المعتقل وبين المستشفى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هي : [تـردد كالمذهـولة .. في شيء من الاشفاق]
ألفي عام ما بين المعتقل وبين المستشفى

هو : [في هياج]
تعذيب .. تعذيب
صفع بالأيدي
ركل بالأقدام
ضرب بسياط الشرطة
وخز بالابر الحارقة
صواعق في جسمي
رعد في الاذنين
جنون ..
جنون ..
[يتهاوى على كرسي .. تقوم اليه .. وفي حنان حقيقي]

هي : هدىء من روعك
لا شيء هنا .. لا شيء هنا
أنت الآن بمأمن

هو : [يهدأ .. قليلا .. قليلا]
لكن ما جئت أفاوض يا سيدتي ..
أو أتنازل عن شيء ..
جئت أقول الكلمة ..

الزوج : [يقدم ومعه صينية عليها كوب ماء ، وبضع حبوب .. يقدمها اليه في عطف صادق]
خذ .. هدىء من روعك
[يتناول الحبوب .. يشرب الماء .. في هدوء .. ينظر الى وجهـه .. يتغير قليلا .. قليلا .. يقول في غضب]

هو : أين القهوة يا وغد ؟! ..
اذهب ..
اني أتقزز منك
[يلوح له بالسكين فيهرب مرتاعا]
هذا الصنف من البشرية ..
كيف يتم عليه نفورك يا سيدتي
أحيانا .. يأتي ضخما كالحائط
حين الشعب الصامت يفضح بلهائيتـه ،
وسذاجته ، ومواته
تأتين له بـ « خيـــال مآتة » آخر ،
خداعا بالأقوال ،
و « فرقع لوز » يتحرك في كل مكان
و « يصوصو » .. لكن لا يختلف الأمر
كل منهم يبصم يا سيدتي
كل منهم يبصم يا سيدتي
كل منهم خادم تاجك ،
راعي نزواتك ،
حارس ثرواتك ،
محروم من أي اباء
هذا صنف مخلوق ليكون
حذاءك عند المحكومين ،
وسوطك عند الشرفاء ..
[طرق على الباب .. يسارع الزوج نحو الباب .. يأمره في عنف]
قف ..
لا تفتح هذا الباب
لم أقل الكلمة بعد
لم أقل الكلمة بعد
[يزداد الطرق على الباب ويعنف]

هو : [في ذعر]
الأعداء
الغزو

أسلمتم الأسوار للغزاة
يا أعداء الشعب
[يحاول الزوج أن يتقدم نحو الباب]
قف يا وغد ..
الخائن أنت
أعرفك ، ويعرفك الشعب
سوف تسارع بالتوقيع وتستسلم
لكنا سوف نقاوم
سوف نقاوم
سوف نقاوم
[يسقط مغشيا عليه]
[يفتح الزوج الباب .. يقتحم الشقة مجموعة من الجنــود .. يحاصرون من كانوا بالشقة .. يدخل ممرضـــان .. معهما محفة .. ينحنيان على « المريض » .. ينقلانه الى المحفـــة ويخرجان .. يخرج خلفهم الجنود .. المرأة والرجل في ذهول .. تدخل الطفلة «نسرين»]

نسرين : ماذا يا أمي ؟! ..

الأم : [في أسى حزين]
لا شيء .. لا شيء ..
هل أسمع منك الأغنية الحلوة يا نسرين

نسرين : [تغني في مواجهة الجمهور]
انهم يعرفون
أننا قادمون
انهم يعرفون
أننا قادمون
[على انغام الموسيقى الشاجية .. يسدل الستار رويدا .. رويدا]

ستـــار

« تمت »

http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب الخطط والوصايا وصحراء الخوف (الحاكم بأمر الله)

■ عبد المنعم رمضان

تجوال

المسافات موغلة فى القدم
وأنا أتلصصُ
أحمل بارجتى
يتقلمنى شاطئان
ويفلت من قدمى شاطئان
ويخرجُ بعض الموالين لى
يحملون الأساطير
والأغنيات
ويقتربون من الحائط الحجرىّ
إلى الأرض ينسربون
قبورهمو بين أيديهمو
والبواخرُ تلعقهم
وأنا شاردٌ
مثل كل الذى يرسمون
من الوجه والجذع والقدمين
ومن ندبات الفؤادِ
أحاول أن أبلغ الماء من جانبيه
وأن أرسم الشاطئين مواسم
أدخل فى مرةٍ بلدة
فأراها الخلاء
وأدخل فى مرةٍ
فأرى القانطين
يقيمون هاويتى
والبخار يداوم كالحلم
والعاديات
أحارب فى كل حاشيةٍ من حواشى
جيشاً
وأسلب بعض الجوارى العطاء
وأهرب خلف المنازلِ
أشبك فى جسدى ما اعتراه
ولا أصل الجلْد بالجلدِ
لا أصل الماء بالماءِ
لا أتغسلُ فى جرّتين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأدخل مثل المنائر ديمومتي
لا أعضّ الشطوط
ولا أتفيأها
ربما أتبلغ بالظل
أرشف من جرح ساريتي
وأجذّف خلف دمي

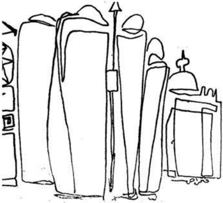

مملكة للفرح

انتبهت إلى طرقة الجند
قلت : إذن لا أبوح بما يعترى جسدي
من شواغل
كان على النيل خطُ دخانٍ
يواصلني بالمقطّم
قلت : اعطني غَيبتي
قال : لا تتبعني
اليك بما أخبرتني القبابُ
يصير لك المجدُ
ينصرفون إليك بما تحت هذا القميص
الدم الملكي يخرُ
وينفرطُ الجندُ
قلت : أنا الآن أذهبُ
منفرداً بعصاى
وأيقونتي
أتحمّل حاجة جيجي إلى الظل
ثم أفارقها
حين أشرد لا أتملك غير
الفجيعةِ
هذا المقطم يطلعني سره
ثم يكتم سرى
ورأني القبائل من كل ناحيةٍ
والأمام دمى
والمآذن تطفح بالغيبة الملكيةِ
قلت : أشاغل ساريتي
كان موت العزيزِ السقايةَ
صرت أطوّف حول العزيزِ
فلا أجد الماء
لا أجد الخارجين عليه يهدلونني
قلت : هذا الفضاء فضاء دمى
والخيام خيام البريّةِ
أخرجت من تحت جلدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاشـدد على الأمـرِ

تصبح لك الأرضُ

هذا الخلاء الفسيحْ

قلت : إذن لايضل الذين اغتووا

وانصرفت أفتش عمن يخونوني

وطن

قلت : أجاس جنب الحسين

فلم أشهد الميتين حواليه

لم أشهد الجند يختطفون

سراويله

والعباءة

والسيفَ

قلت : إذن يتجلّى بمفرده

والبلاد التي خاصمته ستهربُ

والخيَمُ المجوفُ

والراحلون تقدمهم شبحٌ من

غبارٍ

وقال : انتظر صوته عند باب السقيفةِ

قلت : السقيفة ترشح بالغيب

قال : انتظر صوته عند بوابة المتوسطِ

قلت : الشطوط هناك يدٌ

تتحسس أعصابي الداخلية

والموج ينفخ في جسدي أهبة

الجواري

صار دمى فاطمياً

وأطعمتهم لغتى

والتجأت إلى بلد

قال لى الجندُ :

أنت الخليفة

كان العزيز يؤذّن فى الناس

يأمرهم فيطاع

ويحملهم فى خراج الولاية

كن ملكاً

يحتويك البلاط

وينشرح السربُ

وافرح بما أنت فيه

الالوهـة للسرب

والمُلك للملك المستبد

وأنت الخليفة

لا أطيق مداراتِها

والبراءة مثل الرذاذ تخيم إذ تنطفي

قال : لا تنتظرْ بمملكةٍ

واتجهْ صوب نفسك

قلت : المسافة

قال : ألا تخلع الآن ثوبك

دس طيلسانك

هرِّب إلى زمن الجوع سوأة جوعك

وابلغ من الرمل مبلغ علمك بي

وانتبهْ

فالجواسيس في سقف رأسك

قلت : المسافة

قال : اتبعني

نزلنا إلى خيمةٍ من خيام المقطم ، كان

الحسين يحرك أعضاءه باتجاه

المآذن

قلت : المدينة تشغله

كان سهلٌ من الخائفين ،

وكتُ أبصُّ على

جسدى فأراه النديفَ المغضَّن ،

كان على

باب قلبي العساكر بالخوذ الطائفيةِ ،

والقائمون

بأمر السعاية يختطفون

نيازك حاشيتى ، ودمى

يترسبُ في القاع يصبح غيبوبتى ،

واختلاط. فيالق

جندى بجندالممالك يصبح غيبوبتى

والحجارة والريحُ تدخل في أوجها ثم

تخرج

عنه ، وجميزةٌ ومواسمُ والبر

والبحر يختلفون

على وبعض الجوارى المسنات

يفضحن عذريتى

ثم لا يختلفن ، وهويُخالطهو الخلافةِ

كنت أصلى به صلوات الغياب ،

ومنزلةٌ من

منازل جدى

قلت : المسافة

أوقفنى

ثم قال خراجك

قلت : تخيرتنى

فأشار إلى حفنةٍ من ترائب

قلت : المدينة تشغله

واختفى .

الحضور والغياب

دراسة في بكائية إلى صلاح عبد الصبور

■ اعتدال عثمان

١ ـ ١

اذا كان الانسان هو الموت ، فماذا يفعل ؟

أو بمعنى أدق ، كيف يواجهه الشاعر الموت ؟

الموت غياب مطلق، والشعر حضور لا يفنى ، وبين الغياب والحضور عشرات الدروب ، قد تقود الى ميلاد ابداع جديد محمل بالتحدى والثورة أو بالتأسي والاستسلام ، وقد تحتشد النفس فى مواجهة مرارة الفقد فتحاول محاولة مستميتة استرجاع لحظات هاربة وعمر يتوارى. وفي «بكائية الى صلاح عبد الصبور» يسلمنا كاتبها الدكتور عبد الغفار مكاوى الى بداية الطريق ، فيعقب على الخطاب الانشائى فى البكائية قائلا « هى محاولة لتقمص وجدان الشاعر واعادة بنائه وهو على طريق رحلته الأخيرة » (ص ١٢٥) ويشير الى أنه يسترجع الأحاسيس ويتابع خطى الحوار الباطن للشاعر الراحل ٠

١ ـ ٢

نتعرف في هذا النص على ثنائيتين أساسيتين ، أولاهما ثنائية الغياب ـ الحضور ، وثانيتهما ثنائية الأنا ـ الآخر تقابل الثنائية الاولى وتتقاطع معها عبر النص ، ويتقصى التحليل التفصيلى أوجه التقابل والتقاطع والمفارقة بين هاتين الثنائيتين ٠

١ ـ ٣

تنطوى ثنائية الأنا ـ الآخر على عدة احتمالات فاما أن تدخل الأنا فى حوار مع الآخر يواجه خصوصية التعبير بخصوصية أخرى تقابلها وتتفاعل معها تفاعلا خصبا ينفتح على امكانات تطور غير محدود ، أو تتضخم الأنا لتلقى بظلها على الآخر فيصبح امتدادا أو انعكاسا لغيره ينفى وجوده ، وقد تنطوى الأنا فى اهاب الآخر وتنزوى بارادتها بين طياته فتلغى فاعليتها كماهية مستقلة ٠ ويتعذر تحديد هوية العلاقات الثنائية فى البكائية دون نظرة فاحصة على مستويات الخطاب الانشائى فى النص ذاته ٠

١ ـ ٤

يتكون النص من خمسة عشر مقطعا يتراوح كل مقطع منها بين محورين لغويين أساسيين هما : محور الشعر ومحور النثر ٠ ويتشكل المحور الأول من مستويين ، أولهما مقتطفات من أعمال الشاعر الراحل وتوضع ما بين فاصلتى التنصيص ، وثانيهما صوت المؤلف متقمصا

وجدان الشاعر الراحل ومرجعا أصداء أبياته ، أو معيدا صياغة أفكاره على منوال الانشاء الشعرى عند عبد الصبور ، ومستخدما فى التعبير عنها معجم الألفاظ ذاته .

أما المحور الثانى وهو محور النثر فينقسم الى بعدين يخصص الأول لسرد تفاصيل الأحداث الأخيرة السابقة على موت الشاعر ، وتتداخل مع وقائعها التداعيات الشعرية بمستوييها الرئيسيين . ويتمثل فى البعد الثانى تداخل الشعر والنثر أثناء لحظات احتدام الصراع بين الموت والحياة ، فيصبح الخطاب شعرا منثورا يصل الى ذروة التمازج اللغوى لحظة الاحتضار الأخيرة ، فتنداح الحواجز بين الفوارق كافة ، وتتداخل الألفاظ والمعانى معبرة عن اختلاط الرؤى وتقطع الانفاس واستحضار آلام العمر وأحزانه فى لحظة شديدة الكثافة .

٢ ــ ١

يتميز التضمين النصى فى هذا العمل بطبيعة خاصة ، اذ تفقد النصوص الشعرية المنتزعة من سياقها فى شعر عبد الصبور الغنائى الكثير من علاقاتها على مستوى البنية السطحية ، بمعنى التركيب الخارجى للنص المنبثق عن المستوى الواعى فى العملية الشعرية وطبيعة التجربة الانفعالية والذهنية المباشرة والمحركة لملكة الابداع عند الشاعر ، لكنها تحتفظ بعلاقاتها الأساسية على مستوى أعمق يشكل الرؤيا الكلية للوجود ، أو فلسفة الشاعر فى الحياة ، كذلك تكتسب النصوص علاقات أخرى تنتظم مع الانشاء الشعرى والنثرى فى بنية كلية للنص الجديد .

ولا شك أن التعرف على أبعاد رؤيا العالم لدى شاعر كبير مثل صلاح عبد الصبور تتطلب طاقة معرفية وقدرات نقدية تتناسب وانجاز شاعر هو « صوت جيل » و « شاهد عصر » ــ كما يسميه الدكتور عبد الغفار مكاوى فى مناجاته الاستهلالية ــ لكننا أمام عمل يبرز بعض مكونات هذه الرؤيا ولابد من تلمس الظواهر الدالة عليها . وأكثر هذه الظواهر بروزا فى نسيج النصوص المتضمنة ظاهرتا التأمل والتألم .

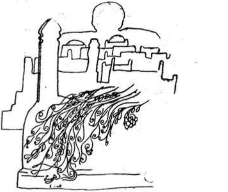

ويتم فعل التأمل على أكثر من مستوى يشمل الخاص والعام والكونى . يقول الشاعر :

« **أعرض نفسى فى مرآتى** » (ص ٦٨)

و « **فى عصر ملتاث ، قاس وضنين**

لن يصنع ربى خارقة أو معجزة ،

كى ينقذ جيلا من هلكى ،

قد ماتوا قبل الموت » (ص ٩٥)

و « **تعالى الله هذا الكون موبوء ولا برء**

تعالى الله هذا الكون لا يصلحه شئ ،

فاين الموت ،

اين الموت ،

أين الموت » (ص ٣٢)

٢ ــ ٢

ان التأمل فعل يشتمل على موقف سكونى وطاقة حركية فى الوقت نفسه ، بمعنى أنه غوص الى الداخل ابتغاء الوصول الى حقيقة النفس الانسانية وحقيقة أشياء الكون ، ومن تراكم الحقائق النسبية تنبثق المعرفة الشمولية ، تلك المعرفة التى اذا ما اقترنت بالفعل وبالقدرة على الجدل مع الواقع ، غدت منطلقا هائل الامكانات لاعادة بناء الحياة . ولا بد هنا من الاحتراز ، اذ يفصل بين التصور الذهنى النظرى وتخوم الواقع

مسافة يحددها الظرف التاريخي المتعين ، ومعطيات هذا الواقع السياسية والاجتماعية والثقافية ، فضلا عن خصوصية التكوين النفسي، والفكري للشاعر . وقد تجتمع الأسباب الموضوعية والذاتية وتتضافر لتجعل شاعرا مثل عبد الصبور يدرك حقيقة وضعه ادراكا مأساويا يفضي به الى أن ينفجر متألما فيقول :

« انا وقت مفقود بين الوقتين

عمر مفقود بين الماضي والمستقبل » (ص١٠٤)

وفي مواجهة الألم اما أن يسقط المرء في دوامة الأسى فتشل فعاليته أو يسعى الى المجاوزة والشعر شكل من أشكال المجاوزة ، انه كشف ومعرفة ، تغير وتغيير ، لكنه كذلك مهوى خطر ، فاذا لم يتلمس الشاعر طريقه في ظلماء النفس وبيداء الواقع انزلق الى الاحساس بالخيبة ، واللاجدوى وجرفته موجات الحزن والتعاسة .

٣ ـ ١

ان تحليل مقطع واحد يصلح للدلالة على مجمل موقف الشاعر ، كما يفصح عنه سياق النص في البكائية ، كذلك يصلح فرضية قابلة للتقصي والتحليل التفصيلي لأعمال الشاعر ذاتها ، فضلا عن أنه كشف لنهج المؤلف في اعادة انشاء الخطاب الشعري لدى عبد الصبور :

يقول المؤلف متقمصا وجدان الشاعر وناطقا بلسانه :

« حزني ثقيل فادح هذا المساء .

حزني غريب الأبوين .

ويلتوي كالافعوان ، يعصر الفؤاد ثم يختنقه .

وبعد لحظة من الاسار »

ياترى هل يعتقه ؟ (ص ١٤)

تكشف النظرة العجلى تركيب مقطع البكائية تركيبا مغايرا لسياقه الأصلي في قصيدة «أغنية الى الله» من ديوان «أحلام الفارس القديم» .

فقد اعتمد النص المضمن على المقطعين الثالث والرابع في القصيدة ، لكن المؤلف عمد الى الحذف والتحوير والاضافة مما أدى الى اختلاف مكونات البنية السطحية في النصين ، ومن ثم تمايز حتمي في دلالة كل منهما .

يتكون المقطع الثالث في القصيدة من تسعة أبيات ضمن المؤلف منها البيت الأول يليه البيت الثالث وأغفل الأبيات الباقية . أما المقطع الرابع فيتكون من سبعة أبيات ضمن المؤلف منها البيت الخامس محورا ، ثم البيت السادس كاملا، والبيت السابع مبتورا ، واختتم مقطعه بتنويعة على المعنى الأصلي للبيت السابع .

٣ ـ ٢

يشكل الحزن ، على مستوى ابنية العميقة ، بؤرة الاحساس المأساوي في مقطع البكائية وفي القصيدة على السواء . لكن النصين يتقاطعان عند هذه النقطة لتتراوح حركتهما بعد ذلك بين المقابلة والمفارقة .

تؤكد الصفتان (ثقيل ـ فادح) تنامي الاحساس بوطأة الحزن المادية والمعنوية في لحظة زمانية محددة (هذا المساء) ، لكن حزن الشاعر لا تحده تلك اللحظة وحدها ، اذ لا يلبث أن ينتقل من التخصيص الى حركة مضادة تفيد التعميم ، فهو حزن (غريب الأبوين) مجهول المنشأ والهوية ، ليس له أصول أو بدايات ، حزن سرمدي يعربد في النفس في مطلق زمانها ومكانها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتأتي الصورة الشعرية عقب حركة الانتشار غير المحدود لتتخذ من طرفي التشبيه (الحزن ـ الأفعوان) مركزا مزدوجا لحركة لولبية (تلتوي) لتصل الى هدف بعينه هو (الفؤاد) ف (تعصره ثم تخنقه) . ويبدو للوهلة الأولى ثمة انسجام بين الدلالة المعنوية والنفسية للصورة ، اذ ان انقباض عضلات الافعوان وضغطها على فريستها تمثيل فيزيائي لما يعتري النفس من انقباض في لحظات الحزن الغامر فيشعر المرء بقبضة تعصر الفؤاد ، غير أن الصورة ، رغم الانسجام الظاهري بين مستوييها ، لا تدهشنا بفجاءة علاقات جديدة مغايرة للاستجابات المألوفة في الضمير الجماعي. ويؤدي تعاقب الفعلين (يعصر ـ يخنق) الى اثارة استجابات متماثلة في الدرجة ، تفيد استلاب الحياة استلابا يبدو نهائيا ، أو شبه نهائي ، لكن وجود (ثم) بينهما يثير توقعا اما بحركة مضادة لحركة الالتفاف الأولى أو حركة تتضاعف في درجة شدتها ، غير أن الصورة

لا تحقق أي توقع من تلك التوقعات ، وتكون النتيجة تخلخلا في الفاعلية النفسية للصورة في مجملها • وبرغم ذلك يتنامى التوتر في البيت التالي ، ويبلغ ذروته في (وبعد) اذ لا ترجح النهاية المنتظرة ولا تنفيها في نفس الوقت• وتضاعف لفظة (لحظة) من احتمالات النجاة فأفعال الالتفاف والعصر والخنق لم تصل بعد الى منتهاها ، وانما هي مجرد (لحظة من الاسار) قد يعقبها العتق وهو محور الدلالة في قصيدة عبد الصبور اذ يقول :

« وبعد لحظة من الاسار ، يعتقه »

لكن البيت يحور في البكائية فينتهي بصيغة استفهامية هي :

« وبعد لحظة من الاسار

ياترى هل يعتقه ؟ »

ان هذه الصيغة غير القاطعة لا تحل الازمة ولا تصل بشأنها الى قرار ، وانما تجعل النص منفتحا على شتى الاحتمالات السالبة والموجبة على السواء ، لكن السياق الجزئي في المقطع والسياق التركيبي للبكائية يفضيان الى حدس شبه يقيني بحتمية الوقوع في قبضة الحزن ـ الأفعوان وقوعا نهائيا لا فكاك منه ولا شفاء •

٣ ـ ٣

أما الحزن في النص الأصلي فيحمل دلالات مغايرة • اذ انه حزن متعدد الأوجه ، يتمثل في حالات تتناوب الشاعر لكنها لا تلبث أن تنجلي ، بينما يتشكل في الأعماق موقف رافض للاستسلام يأبى أن يكون الحزن تاما ونهائيا وشاملا يغمر الكيان وتهوى النفس في لجته • ويتشبث الشاعر بالأمل رغم رعب هائل يغشاه ولا يستطيع حياله الا أن يقف وحيدا في كون قد نسيه الله •

٣ ـ ٤

ان النهج الذي اتبعه المؤلف في التضمين النصي في البكائية ينطلق من مكونات الرؤيا الكلية عند عبد الصبور لكنه يكثفها ويمحورها في اتجاه يميل الى نفي الفاعلية الانسانية والاستسلام لحزن قاهر •

٤ ـ ١

يتجول الخطاب الشعري في البكائية طليقا في شعر عبد الصبور الغنائي والمسرحي مستنطقا وجدان الشاعر في لحظة احتشاد تتداخل فيها الأزمنة • وتسقط الحواجز بين الواقع والخيال ، فتتجسد الشخوص المسرحية تحاور الشاعر المحتضر بكلماتها الأصلية والمستعارة ، بينما ينسلخ الشاعر عن ذاته ويتداخل في شخوصه المسرحية ، يستمع الى مناجاتها ويحاورها ، ويتركها لحظات تتحدث عنه أو يتحدث عنها ، ويستغيث بها في لحظات أخرى فتسارع الى نجدته بكلماته ، لكن « لا شيء يعين ، ولا أحد يعين » • الأميرة لا تستطيع أن تدفع عنه أذى « سمندل » ـ أحد شخصيات مسرحية « الأميرة تنتظر » ـ اذ يجيء في تلك الليلة « كالدائن يطلب دينه » (ص ٥٧) فيمد على صدر الشاعر ظله ، بينما لا نجدي كلمات الشاعر « قرندل » برغم أنه يعرف « سر الكلمة ، والكلمة أمضى من حد السيف » (ص ٥٨) ، لكن السيف لم يكن مبصرا فانغرز النصل بقلب الشاعر •

أما « مسافر ليل » فقد خرج الى المدينة بعد اسدال الستار فوجد أنه قتيل من بين آلاف القتلى ، والناس « موتى مثلي •• ولدوا أمواتا ، وعاشوا أمواتا ، قتلوا كل صباح ومساء » (ص ٦٧) • وفي نهاية المطاف يتهاوى مقرورا ، الى جوار الشاعر ، عاجزا عن أي فعل فقد « خرج العالم عن محوره ، واختل الميزان » (ص ٧٢) • وماذا يستطيع انسان ضعيف مثله أن يفعل في وجه الاعصار ؟ أو ماذا يصنع الأحباب جميعهم اذا ما « هجم التتار » ؟ تدوس جحافلهم في فؤاد الفارس القديم الذي ساخت قوائم أحلامه في بئر عميق السواد ، فضلت خطاه عن طريق الدمعة البريئة ، والضحكة البريئة ، وطال انتظاره للسيد المخلص دون أن يجيء ، وظلت معاني الحرية والعدل والصدق أسئلة تحوم دون جواب • ولما طال الانتظار وتبدد الصبر انفجر الشاعر مرددا كلمات سعيد في مسرحية « ليلى والمجنون » •

« **يا أهل مدينتنا**

انفجروا أو موتوا

انفجروا أو موتوا » (ص ٧٩)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن كلمات الشاعر لا تأسو ولا تشفي غليلا فهو مجرد « نبي مهزوم يحمل قلما ، ينتظر نبيا يحمل سيفا » (ص ٨٢ ، ٨٣) . والسيد النبي المخلص يأبى أن يظهر ، والزمن الوغد قطع أوصال الحاضر والماضي ، والمستقبل مازال حلما ملتفا في غيم أسود ، والشاعر المحتضر مايزال في منتصف اليأس ومنتصف الموت ينتظر مالا يأتي .

وأخيرا يتقدم « الحلاج » صنوه ورفيقه في الإيمان بسر الكلمات والشهادة في سبيلها ، فيتكاشفان ويتفاتحان ، ويدعوه الحلاج ، رغم الوهن وخذلان الجسد ، أن يرفض الاستسلام ويتم المهمة « فالناس عطاشى لترويهم ماء الكلمات ، جوعى لتطعمهم من أثمار الحكمة » (ص ٩٢) ، غير أن الشاعر يحجم عن الاقدام اذ يرى أن « الشر قديم متجدد » (ص ٩٤) وأنه قد طغى واستولى على الكون ، أما الشعر فليس سوى فراش محزون مجهد لا يلبث أن يسقط فتلتهمه نيران الكذبة والسفهاء .

ولا يفقد « الحلاج » ايمانه رغم تهاوي شجرة الجسد غصنا وراء غصن ، اذ حتما « تبقى ثمرة فكرك » وتظل « كلماتك حية يا ولدي » ولابد كما يقول :

« ستأتي آذان تتأمل اذ تسمع ،
تتحدر منها كلماتك في القلب
وقلوب تصنع من ألفاظك قدرة ،
وتشد بها عصب الأذرع .. » (ص ٩٤)

والفجر سيولد في الغد وليس علينا سوى « أن نلقى بذرتنا في أرض البشر ونرحل » (ص ٩٨)

لكن « الحلاج » وبقية الشخوص المسرحية تتقهقر في وجدان الشاعر ليبقى وحيدا في حمأة الانتظار ، عاجزا عن الخروج من دائرة الاستلاب، فيعود الى الاستغاثة بالأحبة والصحاب . وهنا يلجأ المؤلف الى الخطاب النثري الذي يتداخل مع الشعر . لكن ماتزال للشعر معزوفة ختامية ، لحن القرار فيها أصوات مسافر الليل والشاعر المهزوم والحلاج شهيد الكلمة . وترتفع الأصوات في لحظة باهرة ، تزامن فيها الفناء والخلود ، مرجعة أصداء نداء الأرض :

« الملك لك
الملك لك
تموت الظلال ويحيا الوهج » (ص ١١٠)

ويردد لحن الجواب حشد الشعراء المعاصرين جاءوا من أنحاء الأرض ليشهدوا الرحيل ويكونوا في وداع الراحل .

٤ ـ ٢

لا يخرج عن نسق التداعيات الشعرية والمسرحية السابق تحليله في البكائية سوى المناجاة الاستهلالية والختامية ، وتؤدى بصوت المؤلف مستخدما ضمير المفرد المتكلم أو جمع الصحاب ، وتدور حول لوعة الفراق ، وألم الفقد ، واحساس ممض بالوحدة والضياع والعجز في مواجهة الحياة ، حيث لا شيء يقين ، لا العلم ولا الحلمه يقودان المؤلف الى حقيقه ولا ينيران له طريقا ، فدروب الكلمة انبهمت وتشاكلت وسدت مسالكها ، والنفس أصابها العي والجدب والخواء . ويختتم المؤلف مناجاته بصيغه رجاء اخير :

« فلعل المطر يعود
لعل المطر يعود » (ص ١٢١)

٤ ـ ٣

ينطلق الانشاء الشعري في البكائية من معاناة هائلة نتجت عن ألم افتقاد رفيق الطريق ، ألم الاحساس بأن صفحة عزيزة قد طويت ، صفحة عمر وصفحة جيل . لكنها معاناة ينقصها التصدي وتهرب من المواجهة فتدور في دوائر الأسى ، وتلجأ الى الاسترجاع . والاسترجاع بطبيعته فعل سكوني ، يرتد الى الذات ويعكف عليها ، لكن الذات المتأملة هنا ليست ذات المؤلف وانما ذات أخرى يتوحد بها ويتقمصها . ان المؤلف اذ يعيد انشاء الخطاب الشعري عند عبد الصبور، لا يفجره أو يجعله منطلقا للمجاوزة والتفاعل مع الواقع ، ولا يهدف الى تغيير الواقع والتغير من خلاله في الوقت نفسه ، وانما يتخفى وراء قناع الشاعر وشعره ، بينما يحيل الانشاء في البكائية الى مجرد وعاء ينضح بتاريخ الشاعر الفني والفكري والوجداني ، ويفيض بمعجم ألفاظ وعلاقات لغوية تشكل البنية الفكرية عند الشاعر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان البنية التى تعبر وتفكر فى النص بنية ، بحكم وضعها المفارق ، غير قادرة على التطور أو النماء · من هنا كانت صيغة الرجاء الاخيرة « لعل المطر يعود » خارجة عن البنية الكلية للسياق بعد تمام اكتمالها وانغلاقها متمحورة حول بؤرة اليأس واللارجاء ·

٥ ـ ١

يخصص النثر فى البكائية لسرد وقائع الوفاة، بمعنى أن الكاتب يدخل ، فى هذا المستوى اللغوى، فى علاقة مباشرة مع الواقع · واذا كان الحاضر يعادل الموت والموت نثر ، فان الحياة الحقة ، فى قمة نضجها واكتمالها ، انما هى الشعر · اننا نستطيع هنا أن نتحدث عن زمن النثر ـ الموت · وزمن الشعر ـ الحياة ·

ونثر الحاضر يعبق بروائح أدوية آسنة ، ويحتشد بآلات وأدوات وأجهزة طبية تحيطها جدران بيضاء صماء · انه عالم كل شىء فيه يجرى بحساب معلوم ، شتان بينه وبين فجاءات الخيال وعوالمه السحرية الملونة بألوان الطيف وظلال الألوان · وماذا يستطيع العلم أو تلك الأشباح البيضاء أن يفعل أمام ارادة أقوى ومصير لا مهرب منه ؟

٥ ـ ٢

يتحكم فى علاقة الخطاب النثرى بالواقع لحظة آفلة تفضى الى نهاية نعلمها مسبقا ، ومن ثم كانت هذه العلاقة سلبية بالضرورة ، تتجلى فيما ترقبه عين الشاعر المحتضر حينا ، أو فى مقاربة الواقع مقاربة هامشية فى حين آخر · ومن الطبيعى أن يستعين الخطاب النثرى فى هذه الحالة بصيغ تفيد الترجيح والتساؤل والتمنى مثل « لابد أنك نمت قليلا ·· ولابد أنك حلمت بأنك سفينة ·· هل رأيت أيضا الفيران تهرب منها؟! ···الخ · (ص ٢٩) · ان المؤلف يقوم هنا باستعارة مزدوجة اذ يستعير صيغا شائعة ويجعلها أطرا لكلام شخصى ومتميز مستعار من نصوص أخرى غائبة ·

٥ ـ ٣

ولا يقوم النثر بوظيفة السرد وحدها وانما يقوم كذلك بوظيفة أخرى تتمثل فى الربط بين التداعيات الشعرية ، وكلما احتدمت الأزمة تداخل زمن النثر وزمن الشعر تداخلا يتصاعد حتى يتحول نثر الحاضر الى شعر منثور ، عندما أزفت لحظة الاحتضار ، فى بداية المقطع الرابع عشر ، فتتواتر تذكارات غائمة لرؤى ووجوه ، وأبيات شعر ، واشراقات نورانية ، ثم تنحل الرؤى ، قرب نهاية المقطع ، اذ تبلغ النفس منتهى أمرها ، ويذوب الحاضر فى الماضى ، وتتداخل الأنا مع الآخر والآخرين ، ويصبح الخطاب نثار عبارات مهشمة تنسرب دون فواصل · ويتجلى فى دال التركيب الجزئى مدلول النسق الكلى لهذا المستوى اللغوى :

« ياوردة الصقيع أبحث عنك يا مدينة الرؤى المنيرة مدينتى التى تمج ضوءا ·· قريتى ياقريتى واحسرتى لم تأتدم هجم التتار واحسرتى الا الدموع والخيل تصهل قريتى أماه يا أماه قولى للصغار والتتار والدمار لن نبيد للصغار ياحبيبتى ··· » (ص ١٠٥)

٥ ـ ٤

واذا كانت وظيفة الخطاب النثرى فى البكائية تقتصر على سرد وقائع وقت المحاق ، فضلا عن الربط بين هذه الوقائع وبين عالم الشعر فالنثر لن يرقى بالضرورة الى آفاق الشعر المحمل بالمعنى والكثافة · أما وقد رأينا الشعر فى البكائية ترجيعا لاصداء فلا بد أن يكون النثر ترجيعا لترجيع ·

٦ ـ ١

تتجلى المحصلة النهائية لعلاقة الانشاء الأدبى باعادة بنائه نثرا وشعرا فى صيغة يمكن قراءتها كما يلى :

الشعر حضور لصاحب البيان الأول ، لكنه غياب للمؤلف · والموت غياب المشاعر ، لكنه خلود وحضور لا يفنى ·

ان الحضور والغياب هنا أمر نسبى تحدده طبيعة التجربة الشعورية الملحة التى دفعت الكاتب الى التوحد بوجدان الشاعر ، يستنطقه ويبوح من خلاله ويؤكد حضوره ، ايثارا منه ووفاء لصاحبه ، فى زمن عز فيه الايثار والوفاء ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحت التهديد

مسرحية من فصل واحد

تاليف : محمد أبو العلا السلاموني

الصباح المبكر

حجرة واسعة تمثل استوديو ومتحفا خاصا بأحد المثالين • الحجرة تكاد تكون مظلمة لوجود ستائر سوداء على نوافذ الصدر وفى أجزاء مختلفة من تلك الحجرة • وزاء تلك الستائر وفى أمكنة متفرقة تماثيل من الشمع غارقة فى الظلال مما لا يمكن معه تحديد ملامحها بالقدر الكاف •

فى الوسط منضدة كبيرة عليها بعض الأدوات التى يستخدمها المثالون وبالقرب منها توجد مقاعد متناثرة فى غير نظام الى جانب زجاجات خمر مهشمة • الى الجانب الأيمن يوجد باب ضخم يؤدى الى دهليز قصير متصل بالشارع مباشرة والى الجانب الأيسر باب آخر متصل بحجرات الشقة التى يقطن بها المثال وزوجتـــه •

وعند رفع الستار نرى المثال وهو يضع اللمسات الأخيرة فى احدى التماثيل •• نراه مرتديا معطفا داكنا عتيقا وعلى رأسه بريه ، لحيته السوداء مرسلة دون تشذيب مما يضفى على وجهه الطويل كآبة وقسوة بعد برهة يسمع صوت طرق على الباب ••)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شخصيات المسرحية :

المثـــال •

الزوجـة •

القـاضى •

النـائب •

الدفاع •

المثال : (دون أن يلتفت) ادخل ••

(تدخل زوجته من الباب الأيسر وهى سيدة جميـــلة ولكنها تبدو شاحبة ـ تحمل بين يديها صينية بها طعام) •

المثال : (دون أن يلتفت اليها) ماذا أتى بك الآن •• ؟

الزوجة : ألا تريد أن تفطر •• ؟

المثال : لم يحن بعد ••

الزوجة : هذا موعد كل يوم ••

المثال : قلت لم يحن بعد ••

الزوجة : هل أعود به اذن •• ؟

المثال : دعيه هنا •• (تضعه على المنضدة ثم تتحرك للخروج) انتظرى ••

الزوجة : (تتوقف دون أن تنظر اليـــه) ماذا تريد •• ؟

المثال : أتريدين أن تقولى شيئا •• ؟

الزوجة : أنا •• ؟

المثال : أجل ••

الزوجة : وما أدراك ••• ؟

المثال : أشعر بذلك ••

الزوجة : أنت مخطىء •••

المثال : لقد جئت قبل الموعد بقليل •• اننى أفطر عندما يلمع شريط الضوء فى عينى هذا التمثال •• أما الآن ••

الزوجة : هل يهم هذا كثيرا •• ؟

المثال : على أية حال •• أود أن أخبرك أن صحتى اليوم على مايرام (برهة) كنت تريدين أن تسالينى هل نمت أو لا •• وأعتقد انك تعلمين جيدا أننى لم أنم ••

الزوجة : هذه فراسة رائعة ••

المثال : وأنت أيضا .. لم تنسى الليلة الماضية .. أليس كذلك .. ؟

الزوجة : انني أزداد اعجابا بفراستك ..

المثال : اطمئني يا سيدتي .. لا تقلقي على كثيرا .. فما حدث من صخب أمس لم يكن سوى نزوة صغيرة .. كنت أحتفل بمرور عام على خروجي من السجن .. هل نسيت يا زوجتي الحبيبة أنه في مثل هذا اليوم منذ عام تماما تقابلنا بعد عشر سنوات من الأشغال الشاقة .

الزوجة : ألهذا نحتفل ..

المثال : اعذريني .. انه أمر يخصني أنا شخصيا .. لم يشاركني في هذا الحفل سوى حضرات السادة تماثيل الأعزاء (لحظة) هل كان يجب أن أدعوك لمشاركتي ..

(ترمقه لحظة ثم تتحرك للخروج الا أنه يقبض على ذراعها ويلويها بقسوة)

المثال : انتظرى (فجأة) لماذا نمت أمس متجردة من ملابسك .. ؟

الزوجة : (وقد فوجئت) دعني ..

المثال : (يتركها) هه .. لماذا .. (يضحك في وحشية)

الزوجة : أنت مجنون ..

المثال : هذا لا يمنع الحقيقة ..

الزوجة : كنت تتجسس ..

المثال : انني زوجك ..

الزوجة : (تحاول الثبات) يسرني أن هذا أثار فضولك .. (تغتصب الضحك)

المثال : لماذا تضحكين .. ؟

الزوجة : أعدك انني لن أفعل ذلك ثانية ..

المثال : تظنين أنني تجسست عليك ..

الزوجة : لن أهيء لك فرصة ثانية . سأغلق على نفسي تماما ..

المثال : يؤسفني أن أخيب ظنك ..

الزوجة : هل يؤسفك قراري هذا .. ؟

المثال : ولكني لم أتجسس عليك ..

الزوجة : هل أخفف عنك هذا العبء ..

المثال : قلت لك لم أفعل ..

الزوجة : (تقترب منه في شبه تحد) انني ملكك كما ترى ..

المثال : لا تقتربي ..

الزوجة : سادعك تجردني بيديك .. كما كنت تفعل في السنين السابقة .. عندما كنت نموذجك المعبود ..

المثال : تعلمين أنني لن أفعل ..

الزوجة : هل أفعل بنفسي ..

المثال : ساحطمك ..

الزوجة : أمازلت تخافني .. ؟

المثال : (بشراسة) أنا .. ؟ (يمسك أزميلا) اخرجي أيتها اللعينة ..

الزوجة : (تتراجع فزعة) حسنا .. سأخرج ..

المثال : (يهدأ) انتظري ..

الزوجة : (عند الباب) ماذا تريد ثانية ..

المثال : أمازلت تعتقدين أنني كنت أتجسس عليك .. ؟

الزوجة : هذا لا يهمني ..

المثال : ثقي أنني لم أفعل ذلك ..

الزوجة : لقد اعترفت بنفسك ..

المثال : كان مجرد تخمين ..

الزوجة : (شزرا) لكنك رأيتني ..

المثال : لم ار شيئا ..

الزوجة : (تقترب) هاتان العينان المتوحشتان لا يمكن أن تكذبا ما رأتاه في تلك الليلة ..

المثال : لا .. لم يحدث ..

الزوجة : دائما تنفي الاتهام عن نفسك ..

المثال : ثقي أنني لم أبرح تلك الحجرة مطلقا .. وأنت تعلمين هذا .. تعلمين أنني أقسمت منذ خروجي من السجن أنني لن أخرج من هنا حتى أنهي مشروعي الذي حدثتك عنه ..

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزوجة : لم أعد أثق بك .. ومع ذلك لا أدري لماذا تتشبث هكذا .. ؟

المثال : أريد أن أعرف .. لماذا فعلت ذلك .. ؟ هل كان الحر شديدا .. ؟

الزوجة : آه .. وماذا يمنع .. ؟

المثال : أجيبيني بالتفصيل ..

الزوجة : ليس لدى ما أقول ..

المثال : ماذا منعك من النزول الى .. ؟

الزوجة : ولم لم تصعد أنت .. ؟

المثال : اذن كنت تنتظرينني .. ؟

الزوجة : لم تعد تهمني كثيرا ..

المثال : أعلم أنك احترقت في تلك الليلة ..

الزوجة : هذا احساسك نحو نفسك على أية حال ..

المثال : (مبتعدا عنها) أنا الذي دبرت كل هذا ..

الزوجة : (باهتمام) ماذا تعني ..

المثال : كنت أصرخ وأعربد كالحيوانات الجائعة ..

الزوجة : أرأيت .. قد كنت جائعا اذن ..

المثال : (مواصلا) حينئذ دب الرعب في قلبك الصغير .. وأعددت نفسك للقائي

على هذا النحو .. تريدين اخضاع رجل حرمت منه زمنا طويلا .

الزوجة : الحقيقة أنك لم تعد رجلا .. (تتحرك للخروج)

المثال : انتظري .. ماذا أعددت لفطوري .. ؟ هل فطرت .. ؟

الزوجة : فيم يهمك هذا .. ؟

المثال : لايبدو أنه طعام جيد .. هلا شاركتني في ازدراده .. ؟ (يأكل)

الزوجة : لم أضع فيه سما بعد ..

المثال : ان معدتي الآن تهضم السم .. لقد كنت في السجن آكل الطعام مختلطا بالحشرات والأقذار .. ومع ذلك كان طعاما يناسب فنانا متوحشا مثلي .. (يأكل) أمازلت غاضبة مني .. لا بأس يا زوجتي العزيزة .. لقد أصبحت قاسيا .. ولولا ذلك لكنت قطا وديعا يتمسح في قدميك الجميلين ..

الزوجة : (في أسى حقيقي) لماذا تكرهني .. ؟ قد كنت تحبني ..

المثال : في الحقيقة لا أدري .. ولكن هكذا أشعر .. هل يجب أن أقول لك انني أحبك وقلبي ميت ..

الزوجة : هل هذا ذنبي ..

المثال : لا يهم ان كان هذا ذنبي أم ذنبك . ولكن .. هل تحبينني حقا .. ؟

الزوجة : على الأقل أنا زوجتك ..

المثال : وماذا تريدين في مقابل هذا .. ؟

الزوجة : أن تكون زوجا صالحا ..

المثال : وماذا أفعل لأكون زوجا صالحا .. ؟

الزوجة : أن تحبني كما أحبك ..

المثال : ثم ماذا .. ؟

الزوجة : وأن تعود لنا حياتنا الأولى ..

المثال : (كالمخاطب لنفسه) دائما .. الفردوس المفقود .. (لزوجته) وماذا أيضا ..

الزوجة : وأن نعيش كما ينبغي ..

المثال : وأن يكون لنا أطفال .. أليس كذلك .. ؟

الزوجة : وماذا يمنع أن يكون لنا أطفال ..

المثال : الا هذا يا عزيزتي .. قولي شيئا غير هذا .. الا الأطفال .. قولي أن يكون لنا دجاجات نربيها ونتغذى عليها .. فالدجاج أفضل من الأطفال بمئات المرات .. لقد كنا في السجن نتمنى أكلة دجاج .. وأنت يا عزيزتي .. لكم كنت مقصرة في حقي حينما لم ترسلي الى دجاجا محمرا في أوقات منتظمة .. لقد نسيت أن أعنفك على هذا التقصير .

الزوجة : (بحزن) لماذا تحدثني بهذه الطريقة ..

المثال : صدقيني لو أن المرأة كانت تنجب دجاجا لصالح العالم أكثر من هذا .. ان العالم بدون دجاج شيء فظيع .. يا الهي .. لكم حرمت في السجن ..

الزوجة : ألا تكف الكلام عن السجن ..

المثال : آه لو تعلمين حقيقة السجن ياعزيزتي .. لقد كنت أعيش مع مجرمين حقيقيين .. مجرمين محترفين ..

الزوجة : قلت لي هذا كثيرا ..

المثال : ألا تصدقين .. ؟

الزوجة : أعلم أنك كنت الضحية ..

المثال : لا تسخري .. لقد كنت الضحية فعلا .. المذنب بلا ذنب .. حينما كنت تلميذا صغيرا .. كنت دائما مثار شبهات المدرسين والناظر .. اذا كسر زجاج النافذة يظنونني الفاعل .. واذا ضرب تلميذ أو أصيب كنت المتهم .. اذا ضحك أحدهم في الحصة أشار على المدرس بأصبع الاتهام ..

الزوجة : كنت شقيا ..

المثال : بل كنت فنانا .. لم يكن يعطف على سوى مدرس الرسم .. ومع ذلك فقد ثارت لنفسي .. وكانت المرة الأولى والأخيرة .. ففي نهاية العام .. قذفت المدرسة بالحجارة .. حطمت الزجاج وأصبت بعض المدرسين .. وفي اليوم التالي أقبل على بيتنا الناظر والعمدة والمدرسون مطالبين بالقصاص .. وحينئذ أوثقت في ساقيتنا وانهال السوط على جسدي الصغير .. من حولي الجميع ينظرون تعذيبي ..

الزوجة : من ؟ أبوك .. ؟

المثال : نعم .. كان هو الجلاد .. ومع ذلك لم أصرخ ..

الزوجة : وأمك .. ؟

المثال : كانت قد ماتت .. ولم يكن هناك سوى زوجة أبي .. هي التي شجعته وأوحت اليه بطريقة التعذيب هذه ..

الزوجة : ألم ينقذك أحد ..

المثال : (مسترسلا) عندما لم أصرخ .. ظنوا أن الشيطان قد تلبسني .. وهربوا جميعا وهم يستعيذون بالله من الشيطان .. واعتقد أبي نفس الاعتقاد فأحضر

شيخ المسجد وجعل يقرأ على رأسى بعض الآيات .. وعندئذ استراحت نفسى .. ثم أحسست بآلام جسدى الملتهب .. فلم يكن هنـــاك بد من الصراخ .. فكبر الشيخ معتقدا أنه صراخ الشيطان .. وبعد فترة اســتغرقنى النوم واعتقـــد الجميع أن الشــــيطان قد صـــعد من جسدى ..

الزوجة : (بين التهكم والهـــذر) لو كانوا يعلمون لعرفوا أنك أنت الشيطان ..

المثال : نعم .. قد كان هذا نفس اعتقـــاد زوجة أبى ..

الزوجة : هل كانت امرأة شريرة ..

المثال : (ضاحكا) مثلك تماما ..

الزوجة : أترانى شريرة حقا ..

المثال : ترتعدين منى على الأقل ..

الزوجة : هل كانت تخافك ..

المثال : كانت تصرخ من رؤيتى .. ومع ذلك كانت تحاول أن تروضنى ورغم أنى لم أوذها فان أساليبها لترويضى لم تفلح .

الزوجة : ومع ذلك كنت تترصدها ..

المثال : أنا .. ؟ (يلتفت اليهـا محدجا) لماذا تظنين ذلك .. ؟

الزوجة : كنت قد أصبحت شابا يافعا ..

المثال : وماذا يعنى هذا ..

الزوجة : (تتراجع) الأمر يبدو هكذا ..

المثال : (بعنف) لماذا ترتعدين منى .. ؟ حاولى أن تروضينى .. فربمـا تفلحين فيما قد فشلت هى فيه .. (يقترب منها صارخا) هيا يا قطتى المتوحشة ..

الزوجة : (وهى تتراجع) لماذا تفعل ذلك ..

المثال : أنا لم أفعل شيئا قط .. كل ماهنالك أنها كانت تشعر خيالى بالعداء ..

الزوجة : كنت ترعبها ..

المثال : كما أرعبك ..

الزوجة : نعم .. نفس الطريقة البشعة ..

المثال : فى احدى محاولاتها .. ادعت أنها لم تكن السبب .. وأنها فكرة أبى وحده كان يريد أن يكون رجلا شهما عادلا أمام رجال القرية فلم يتردد فيما فعل .

الزوجة : ربما كانت هذه هى الحقيقة ..

المثال : ربمـــا .

الزوجة : لماذا كنت تترصدها اذن .. ؟

المثال : انها هى التى ترصدتنى ..

الزوجة : ولكنها بريئة ..

المثال : انها تحاول أن تبدو كذلك ..

الزوجة : ولماذا لم تصدقها ..

المثال : لم يكن يجدى هذا فيما حدث ..

الزوجة : (بتوجس) وماذا حدث .. ؟

المثال : مسكينة .. لم أملك أن أمنع ذلك .. على أية حال كانت النهاية المنتظرة .

الزوجة : (برعب) أية نهاية .. ؟

المثال : أوه يا عزيزتى .. لماذا تبدين خائفة (يضع يديه على كتفيها) لا تخافى ..

الزوجة : (منتفضة) لا تلمسنى ..

المثال : قولى لى أحبك .. قالتها لى برعب لذيذ .. لكم أود أن أسمعها منك هيـــا يا وحشى الرعديد ..

الزوجة : (منفجرة) أكرهك .. أمقتك .

المثال : قالت لى ذلك أيضا .. ياله من شىء عجيب ..

الزوجة : أنت تكذب .. لم تقارننى بهـــا لم ؟

المثال : كلا يا عزيزتى .. انه مجرد توارد خواطر .. (مطرقا) فى هذه الأيام .. تطاردنى أفكار عابثـــة .. اعـذرينى يا سيدتى .. أنا لست على ما يرام .. ومع ذلك فالأمر لا يعدو هواجس سجين اتهم ظلما (لحظة) لا باس .. (نبرة عالية) اليـــوم سينتهى كل شىء .. انظرى .. لقد انتهيت من مشروعى .. المحكمة بكامل هيئتها على استعداد لمباشرة قضية العدالة .. انها فرصتى الوحيدة .. فرصتى الباقية لأدافع عن نفسى ضد التهمة الظالمة .. تعالى يا سيدتى لأعرفك بهيئة المحكمة الموقرة .. (يجذبها من ذراعها) قلت لك لا تخافى ..

الزوجة : لن أشاهد ذلك العبث ..

المثال : سامحك الله .. مجهـــود عام كامل تدعين أنه عبث .. ومع ذلك ساغفر لك .

الزوجة : خبرنى بالله عليك .. ماذا تريد منى تماما .. ؟

المثال : ستفهمين كل شىء .. لا تتعجلى .. والآن أقدم لك قاضى المحكمة المبجـــل (يشير الى أحد التماثيل) انه يشبهه تماما .. أوداجه المنتفخة .. شـــاربه الضـــخم .. شـــعره الفضى .. كان ذا هيئـــة مهيبـــة .. طوال الوقت كنت أنظر اليه من وراء قفص الاتهـــام .. كانت هناك ذبابة تحـاول أن تقف على أنفه الكبير .. كلما طردها عادت ثانية .. كان موقفا عصيبا لقد ظلت تعاوده طوال المحاكمة .. أحســـست بالاشفاق عليه .. وأقسم لك أنه لو كان يملك الحكم على الذباب لحكم على هذه الذبابة بالأشغال الشاقة المؤبدة .. ومع ذلك

فلن اغفر لهذه الذبابة .. فهى السبب فى أنه أصدر حكمه بعشر سنوات أشغال شاقة .. ولولا سخطه عليها حينذاك لخفف الحكم الى أربع سنوات أو خمس .. نعم .. لقد كان السبب المباشر فى هذا الحكم العشوائى .. فهى قد قطعت عليه تفكيره فى متابعة نقاط القضية .. حتى أن ممثل النيابة ذلك الرجل الخبيث (يشير الى تمثال آخر) ألا يبدو الخبث فى عينيه .. ذلك الرجل استطاع أن يستغل انشغال القاضى بالذبابة فاوحى اليه بطريقة مذهلة أن يجمع بين سخطه على الذبابة وعلى المتهم فى آن واحد ويصدر هذا الحكم ..

الزوجة : (منفجرة) كف عن هذا العبث ..

المثال : ماذا بك يا حبيبتى .. ألا تترفقين بمسكين مثلى قضى شبابه فى السجن بلا جرم .. ألا تريدينه أن يدافع عن نفسه ولو أمام أصنام .. ؟ يا عزيزتى لاتكونى قاسية الى هذا الحد ..

الزوجة : وما الذى تريد بعد أن انتهى كل شىء ..

المثال : كل ما هنالك أننا سنستأنف المحاكمة هنا بعيدا عن الناس .. محاكمة سرية ما رأيك .. أعتقد أنه ليس لديك مانع .. (فترة) والآن أعرفك بمحامينا العزيز (يزيح احدى الستائر عن تمثال) لقد صنعته متانقا كما كان دائما .. انظرى كيف أرسل شعره الكستنائى الجميل .. كان يحاول أن يظهر فى غاية الرشاقة خاصة أمام زوجة المتهم الجميلة .. لا .. لا تحتجى .. أعترف بانك كنت أجمل زوجة متهم بجريمة قتل .. أعتقد أن الذين حضروا القضية لم يأتوا الا ليشاهدوا زوجة القاتل الجميلة . (يضغط على ذراعها بشدة) أليس كذلك يا جميلتى .. ؟

الزوجة : (صائحة) دعنى أيها الوحش ..

المثال : (بقسوة) ما الذى يرغمك على أن تعيشى معى .. هه .. ما الذى يرغمك .. هل تحبيننى حقا .. ؟ أجيبى ..

الزوجة : ماذا تريد أن تعرف .. ماذا تريد منى .. أن أعبدك .. ؟

المثال : لماذا لم تطلبى الطلاق وأنا أقضى مدة السجن .. ؟

الزوجة : هل هى تهمة .. ؟

المثال : أنا لا أتهمك .. بل أسألك .. ؟

الزوجة : لماذا .. ؟

المثال : اريد ان أعرف ..

الزوجة : لأنى أردت هذا .. أتكفيك هذه الاجابة ..

المثال : بل كنت مرغمة .. مرغمة ..

الزوجة : كف عن هذا الهراء .. لماذا تعقد الأمور بأوهامك الطائشة .. لماذا لا تأخذ الأمور ببساطة وبراءة .. زوجة وفية مخلصة .. انتظرت خروج زوجها باشتياق وأمل .. ولكن للأسف .. اذا بها تجده مسخا مجنونا يجرى وراء خيالات مجنونة ..

المثال : خيالات ..

الزوجة : لماذا تتوهم أنك مظلوم وتتنصل من مسئوليتك .. لماذا تفقد شجاعتك وتجن الى هذا الحد المخزى ..

المثال : وهل كان لى يد فيما حدث .. ؟

الزوجة : ليس هذا من شأنى ..

المثال : شأن من اذن .. لقد حدثت جريمة هنا منذ أحد عشر عاما .. جريمة لا تدرك كيف حدثت .. ولكنها وقعت هنا فى هذا المكان .. ؟ ولما كنا نحن الوحيدين اللذين يسكنان هنا .. كان من المفروض أن يتحمل كلانا المسئولية .

الزوجة : قلت لك لم يكن لى يد فيما حدث ..

المثال : أمازلت تعتقدين أننى القاتل ..

الزوجة : هناك قاتل ما ..

المثال : ليس أنا ..

الزوجة : ولا أنا ..

المثال : من تعتقدين اذن اذا لم يكن أنا أو أنت .. ؟ من يكون اذن .. ؟ انه مجهول .. واحد من هذا العالم القذر .. .. ومادام هذا الواحد ليس معينا .. فيجب أن نفرض أن العالم هو القاتل ..

الزوجة : ولكن العدالة أخذت مجراها ..

المثال : أى عدالة .. (صائحا) لا عدالة هناك .. هراء .. هل تسمعون يا حضرات القضاة والمستشارين .. لم يعد هناك عدالة .. كيف توجد العدالة وهناك انسان يتهم ظلما .. كيف .. ؟

الزوجة : لم لم تدافع عن نفسك .. لقد طلبوا منك الكلام ولكنك لزمت الصمت

المثال : وماذا كان عساى أن أقول يا سيدتى .. ان أجثو بين يدى القاضى.. واقسم أننى برىء بالمهزلة ! ان يكون الانسان بريئا ولا يملك دليل براءته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزوجه : كان من الممكن أن يخفف الحكم لو كنت قد تكلمت ..

المثال : النتيجة واحدة .. وهى العقاب .. لقد عوقبت بغير وجه حق .. عوقبت بلا جريمة .. يجب أن تفهمى هذا .. عقابى كان من أجل جريمة لم ارتكبها ، معلول بدون علة كيف يكون ذلك المنطلق .. كيف يكون الا اذا كان الأمر معكوسا .. عقاب سابق للجريمة .. وجريمة تتبع العقاب .. نعم يجب أن أفهم الوضع على هذا المنطلق حتى يصير العالم صوابا .. على الأقل يبرر ما حدث لزوجة أبى بعد ذلك ..

الزوجة : (بتوجس) وماذا حدث لها .. ؟

المثال : أحرقت نفسها ..

الزوجة : (مقشعرة) ماذا .. ؟ أنت اذن ..

المثال : أنا .. لماذا .. ؟

الزوجة : انتقمت لنفسك ..

المثال : لا عزيزتى .. اطمئنى .. لم انتقم ..

الزوجة : كنت السبب ..

المثال : وكيف .. ؟

الزوجة : كنت تترصدها باتهامك ..

المثال : صدقينى لا ..

الزوجة : أتدرى أن عقوبة بعشر سنوات هذه هى كفارتك عن تلك الجريمة ..

المثال : لا يا سيدتى .. انها جريمة السابقة .. أما جريمة العشر سنوات فلم تات بعد ..

الزوجة : (ثائرة) خداع .. كذب .. تريد ان تبرر جميع أخطائك بتلك الطريقة البشعة .. انت تعتقد ان العالم مدين لك وتريد أن تنتقم منه لما حدث لك .. و ..

المثال : (يغلق فمها بيده فجأة) لماذا أبلغت عنى مركز الشرطة .. ؟

الزوجة : (وهى تتخلص منه بصعوبة) أنا أبلغ عنك ..

المثال : ومن اذن .. ؟

الزوجة : لم أبلغ الا عن وجود جثة فى المتحف .. هذا كل ما أبلغت عنه ..

المثال : لماذا لم تخبرينى أولا ..

الزوجة : لم تكن موجودا ..

المثال : كان يمكنك انتظارى ..

الزوجة : لم أجرؤ .. كنت خائفة ..

المثال : كان يمكننا التعرف على نحو افضل يضمن سلامتنا ..

الزوجة : كيف .. ؟

المثال : لا أدرى .. (لحظة) حينما دخلت المتحف فوجئت بوجود الجثة ملقاة على الأرض .. وحاولت أن أعرف شخصية الجثة فاذا برجال الشرطة يقبضون على وكانما كانوا ينتظرون حضورى ..

الزوجة : هذا اذن ما يدفعك الى أن تعتقد اننى كنت السبب فيما حدث لك بعد ذلك ؟

المثال : لقد أبلغت عنى .. قلت بالنص .. فى متحف زوجى جثة قتيل ..

الزوجة : وماذا يعنى ذلك .. ؟ هل قلت أنك القاتل ..

المثال : وهل هناك أبرع مما قلت .. كانت الصيغة موحية تماما .. (برهة) لماذا لم تقولى مثلا فى بيتنا جثة قتيل .. ؟

الزوجة : كانت فى المتحف ..

المثال : ألمتحف كما تعلمين جناح من بيتنا ..

الزوجة : كنت تريد اذن اشراكى فى الجريمة .

المثال : لم تكن جريمتى ..

الزوجة : وهذه الجثة الغريبة ..

المثال : تلك هى المعضلة ..

الزوجة : سواء كنت القاتل أم لا .. فانت المسئول ..

المثال : لماذا أنا وحدى .. لماذا .. ؟ لماذا لا تكونين مسئولة مثلى .. ؟

الزوجة : وما شأنى بالأمر .. على الأقل لست قتالة مثلك ..

المثال : ولكننا بريئان .. واذن نحن شريكان فى البراءة .. ومع ذلك فانت قد تخليت عن شركتنا .. وادعيت البراءة لنفسك وحدك ..

الزوجة : ولم لم تدع البراءة لنفسك أيضا ..

المثال : كيف .. لقد ألجمتم لسانى باتهامكم الأعمى ثم طلبتم منى الكلام .. ومع ذلك ماذا يمنع ان يكون صاحب الجثة قد تعثر فوقع مصطدما بقاعدة أحد التماثيل فاغمى عليه وظل ينزف الى أن مات .. ماذا يمنع ألا يكون هناك قاتل ..

الزوجة : ربما ..

المثال : اذن لماذا أثرت الشبهات حولى دون مبرر ..

الزوجة : ولكنى لم أفعل شيئا مما تتوهم ..

المثال : لقد شهدت ضدى ..

الزوجة : أنت مجنون ..

المثال : لقد سألوك .. ماذا ظننت حين وجدت جثة فى متحف زوجك .. ؟

الزوجة : (بحدة) ماذا تعنى ..

المثال : يا زوجتى العزيزة .. لابد أنه دار فى ذهنك شىء ما .. (يقبض على كتفيها) أجيبى ولا تكذبى يا قطتى .. قولى الصدق ولا تخافى .. اننى أعلم كل شىء دار فى التحقيق .. ولكن ما أريد أن أعرفه هو ما دار فى رأسك الجميل هذا عند رؤيتك للجثة .. (يعبث بشعرها فى رقة ثم يجذبه فجأة) تكلمى ..

الزوجة : أيها الوحش .. دعنى .. ستمزق شعرى ..

المثال : (يدعها) حسنا .. قولى اذن ..

الزوجة : ساحرمك من لذة اكتشافاتك الآثمة .. ماذا تريد أن تعرف .. أريد أن أقول انه دار فى ذهنى الاعتقاد بانك القاتل .. ؟ نعم .. هذا ما دار فى ذهنى لأول وهلة ..

المثال : آه .. هذه مفاجأة حقا .. ولكنك لم تقولى ذلك فى التحقيق .. أتراك ترفقت بحالى يازوجتى الطيبة .. كان من الممكن أن يكون الحكم بالاعدام .

الزوجة : كنت تعرف هذا ..

المثال : هذا رأيك .. ؟

الزوجة : ورأى الجميع ..

المثال : ورأى محامينا الأنيق

الزوجة : كنت تعلم أن مهمته تخفيف الحكم ..

المثال : لقد بذل مجهودا طيبا يشكر عليه على أية حال .. (فترة) أظنك تعلمين المدة القانونية التى يجوز للزوجة فيها أن تطلب الطلاق من زوجها السجين .. خمس سنوات .. اليس كذلك .. ؟

الزوجة : حسنا .. أتريد أن تعرف لماذا لم أطلب الطلاق ..

المثال : فلنبتعد عن الكلمات الجميلة كالاخلاص والوفاء والحب الى آخره ..

الزوجة : كنت مشفقة عليك ..

المثال : ماذا .. (يقهقه بوحشية) كنت تشفقين على .. الم أقل لنبتعد عن عن الكلمات الجميلة ..

الزوجة : أيجب ان أكذب لا كذلك ماتتوهمه ؟

المثال : لقد تقدم اليك كثيرون يطلبون يدك الجميلة .. لماذا رفضت .. لماذا رفضت يد محامينا الأنيق .. اليس هو المحامى الذى وقع عليه اختيارك .. كنت تقولين انه أشهر وأمهر المحامين فى القاهرة . وكنت تطرين مجهوداته ومواهبه الجبارة من أجل القضية ..

الزوجة : أهذه نقطة اتهام أخرى .. ؟

المثال : ومع ذلك لم تكونى امرأة سيئة السلوك .. كنت زوجة وفية مخلصة الى اقصى حد .. كانت أخبارك تصلنى يوميا بكل دقة .. اننى أحيى فيك الزوجة الوفية المخلصة ..

الزوجة : آه .. تلك نبرة جديدة بلاشك ..

المثال : (بطرف) نعم .. غالبا ما يأتى الوقت الذى يعترف فيه الانسان بعجزه عن فهم بعض الحقائق .. (متجولا) يبدو اننى مذنب حقا .. يجب أن أعتقد اننى استحق كل ما وقع على من عقاب .. نعم هذا ما يلح على منذ أن كنت صغيرا خصوصا بعد أن وعيت بموهبتى الفنية .. وأنا أنتظر العقاب .. وكأنما أمارس شيئا محرما .. ورغم أنه لا وجود لجريمة ارتكبتها بالفعل .. فان هناك ما كان يوحى الى بان ثمة خطأ يقع على عاتقى بطريقة مجهولة .. كثيرا ما سمعت بعض المدرسين يتندرون فيقول أحدهم .. كلما رأيت ذلك الولد أحسست بدافع عميق لانزال العقاب به .. نعم .. ربما قد ورثت جريمة استقرت فى أعماقى وتظهر آثارها فى أفعالى .. ربما .. أليس هذا من المحتمل .. ؟

الزوجة : مأساتك الحقيقية انك فنان .. تتوهم أكثر مما يجب ..

المثال : من يدرى يا عزيزتى .. ربما فى هذا العالم خطأ ما يتراءى فى أفعالنا نحن الفنانين المساكين .. ومع أنه ليس خطأنا الا فان علينا أن نحمله فوق أعناقنا ونتوء به حتى القبر ..

الزوجة : لماذا لا تطرح عنك كل هذه الأفكار القاتلة .. أمامنا المستقبل .

المثال : وهذا التاريخ الطويل .. ذلك الثقل الذى نجره فى أعقابنا كجثث الموتى ..

الزوجة : لم لا تقطع الصلة بالماضى ..

المثال : (بهمهمات) .. ان الماضى هو ذيل الحية والمستقبل رأسها ..

الزوجة : دائما تحاول أن تغلق على نفسك ..

المثال : ماذا عساى أن أفعل ..

الزوجة : انت لا تحاول أن تعيش الحياة كالآخرين ..

المثال : لقد حاولت .. وذلك حينما تزوجتك .. ولكن هاأنذى ترين .. لا جدوى .. (فترة) بمقدورى أن أمنحك الطلاق الآن ..

الزوجة : هذه ورقتك الأخيرة ..

المثال : ليس هذا كل شيء على أية حال . انني أعرف ما أريد تماما .

الزوجة : لن أدعك تفعل ذلك .. أستطيع أن أمكث معك حتى النهاية .

المثال : وما الذي يرغمك على البقاء مع رجل محروم ؟ جريمة بلا نهاية !

الزوجة : سيكون هذا سلوكي الوحيد معك .. سأظل دائما لقمتك السائغة وستظل أنت دونها جائعا مقرورا ..

المثال : هكذا ؟ (كالمخاطب لنفسه) ومع ذلك سأظل أقوي من جوعى ولن أعطيك الأمان مطلقا ..

الزوجة : أدرك الآن تماما ماذا منعك من الدخول على في تلك الليلة ..

المثال : (يعطيها ظهره) لقد فعلت هي ذلك أيضا ..

الزوجة : من .. ؟

المثال : زوجة أبى

الزوجة : (بثورة) كل ما تقوله عن زوجة أبيك كذب .. انها خدعة ابتكرها ذهنك المجرم .. تريد أن توحي الى بكل ما تريد .. لكن لن تستطيع .. لن تستطيع ! ..

المثال : أرجوك هدئى من روعك ..

الزوجة : (بنفس الثورة) اذا كنت تريد أن تتهمني .. انني على استعداد لذلك ، ولكن لن أسمح لك ان تخلق اتهامى من نفسى ..

المثال : تلك هى المعضلة .. أنى أتهمك منذ البدء .. أنا أم أنت .. ؟

الزوجة : انه أنت .. أنت ..

المثال : لا تستطيعين ان تجزمى ..

الزوجة : نظراتك .. ايماءاتك .. افكارك .. كل هذا ..

المثال : لا يا سيدتى .. ان ما كان يعنيني هو انني اتهمت ظلما .. فلم يكن ذنبى أن تشعرى باتهامى نحوك ..

الزوجة : لا .. انها خطة مدبرة .. فأنت حين لم تدافع عن نفسك في المحكمة كنت تعنى شيئا معينا .. أن تدينني وتدين العالم ..

المثال : لم يكن الأمر كذلك يا عزيزتى .. كل ما هنالك انه لم يكن لدي ما أقوله .. لا دليل .. لا حيثيات .. لا مستندات .. لا شهود حتى ولا كلام .. فكلماتي مجرد كلمات جوفاء .. فارغة لاشيء غير هذا .. ومع ذلك يمكننا الآن استدراك الأمر على نحو أفضل .. هل تستطيعين أن تتذكرى معنى ما يحدث في المحكمة .. حاولى أن تتذكرى .. أنت ترين أنني انتهيت اليوم من مشروعى تماما .. هيئة المحكمة بكاملها على استعداد لمباشرة القضية .. ساحاول من جانبى أن أستدرك ما فات .. وأدافع عن نفسى .. انها فرصتى الأخيرة فى الدفاع والاستئناف .. وفرصتك أيضا .. لتدركى حقائق جديدة ربما كانت خافية عنك فى المرة السابقة . اتفقنا .. ؟ (فترة) اذن .. (يشير الى التماثيل) فلتنعقد المحكمة .

(حينئذ يصدر صوت عميق من جوف المسرح صائحا (محكمة) وعندئذ تدب الحياة فى التماثيل .. ويتخذ كل من القاضى والمستشارين والنائب والمحامى مكانه فى صدر المسرح الى المنضدة حيث تضفى عليهم الظلال ألوانها القاتمة .. يلاحظ أن المحاكمة تذكرية مع خلط بأحداث الحاضر) .

القاضى : النيابة تواصل مرافعتها ..

النائب : وهكذا يا سيدى القاضى وحضرات المستشارين .. هكذا قتل المتهم ضحيته عن سبق اصرار وترصد .. وقد كان من الممكن اخفاء الجريمة بأبسط الطرق .. وقد كان هذا ما سيحدث .. فقد فاجأ رجال الشرطة المتهم وهو بالفعل يحاول اخفاء الجثة فى مكان مظلم يشبه السرداب فى جانب من متحفه المتصل بالبيت ..

المثال : يا سيدى .. يا سادة .. يا حضرات .. ليس هذا ..

النائب : أجل يا سادتى .. تلك هى بالفعل احدى تصرفات هؤلاء الفنانين الشواذ من أمثال المتهم .. كان هذا ما سيحدث لولا العناية الالهية التى أرسلت ذلك المرشد الشريف .. زوجة المتهم ..

المثال : زوجتى ..

النائب : لولا تلك النفس الشريفة الطيبة التى تؤمن بالعدالة والحق .. دون نظر الى المصلحة الشخصية .. لقد أبلغت عن جريمة زوجها رغم حبها العميق له ..

ضحت بحبها ومستقبلها فى سبيل العدالة وقيم المجتمع ..

المثال : (لزوجته) أرأيت .. ؟

الزوجة : انهم هم الذين يعتقدون ذلك ..

النائب : نعم يا سادتى الأفاضل .. قد كان من الممكن أن تتواطأ الزوجة وزوجها على اخفاء الجريمة مجرد انها كانت ستصمت ..

المثال : أرأيت .. ؟

الزوجة : أرجوك .. أنت تعلم جيدا أننى لم أعن شيئا مما يقوله هذا النائب .

النائب : وهكذا يا سادتى .. اكتشفت الجريمة فى حينها .. وقبض على المتهم الشرير متلبسا بجريمته .. وكان هذا هو الدليل الدافع لدحض كل دفاع ؟ أو محاولة لتزييف الحقيقة ..

المثال : يا سيدى ليست هذه هى الحقيقة .. ان ما كنت أسعى اليه حين عثرت بالجثة هو أن أعرف هوية القتيل .. لقد كان مظهره مؤسيا .. لشد ما أثار الشفقة فى نفسى .. كان يبدو مكدودا كأنما هو عاطل يبحث عن عمل منذ وقت طويل .. وكان يبدو عليه الجوع .. وأعتقد أنه لم يأكل منذ أيام .. تماما كتلك النماذج التى صنعتها عن الأحياء الشعبية .

النائب : ان كل الظروف والأحداث تثبت بدليل قاطع أن المتهم دبر جريمته بذكاء خارق .. لعل أبلغ دليل على ذلك اختيار صحبته من ذلك الصنف من الناس جوابى الآفاق والصعاليك الضائعين الذين لا تعرف شخصياتهم تماما ..

المثال : يا سادة .. (فى أسى) لقد كان جائعا عاطلا .. يبحث عن عمل ليأكل .. ربما كانت له زوجة وأطفال صغار يريد أن يطعمهم .. ومع ذلك لم يكن لى ذنب فى هذا .. لم أكن سبب جوعه أو تعطله .. ربما جاء يبحث عن عمل عندى .. أو يطلب طعاما بعد أن طرده الجميع .. كان واثقا أننى سأصنع شيئا من أجله .. نعم .. حقيقة أننى فنان .. ولكننى أحب الفقراء .. وأعتقد أن كل فنان حقيقى يحب الفقراء .. اذن كيف أقتله ؟ كيف أقتل انسانا يائسا جائعا ؟ خبرونى بحق العدالة ! لماذا يقتل انسان جائعا على هذا النحو .. لماذا يموت الفقراء جوعا .. ؟ لماذا .. ؟ أريد يا سادة جوابا صادقا .. خبرونى ما جدوى عدالتكم فى عالم يهدده مثل هذا العبث .. أية عدالة تلك .. أية عدالة ..

النائب : اننى يا سيدى القاضى اذ أسرد مرافعتى تلك أمام قضائكم العادل أطلب منكم الحكم باعدام المتهم لتخليص المجتمع من فتنته .. وليكون مثلا رادعا لأمثاله من الفنانين الأشرار .. اذ لا تنبع الفتنة الا من تلك الفئة الضالة .. وما أضلها سوى الشيطان ..

المثال : أيها الجلادون .. أى عقاب تريدون انزاله بنا !

القاضى : الدفاع يتكلم ..

المثال : ماذا يريد الدفاع أن يتكلم ؟ ماذا يملك يا سيدى القاضى .. أى حق يخول له الدفاع عن جريمة لا يعرف عنها شيئا .. لقد دفعت له أتعابه يا سيدى .. دفعتها مقدما لأن زوجتى قالت أنه أبرع رجال الدفاع والمحاماة في القاهرة والشرق .. قال لى أنه سيبذل كل ما بجهده لتخفيف الحكم .. كان يعلم مقدما أننى معاقب ..

الدفاع : كلمة أخيرة يا سيدى القاضى .. الصمت الذى التزم به موكلى حيال القضية .. ليس كما تدعى النيابة اقرارا بالجريمة .. ولكنه كبرياء الفنان .. الكبرياء الذى يربأ به أن يتسول الرأفة والبراءة ..

النائب : (ناهضا بعصبية) اننى أحتج لكرامة المحكمة .. سيدى القاضى ..

المثال : وأنا أيضا أحتج .. يا سيدى المحامى الشهير .. محنتى ليست الكبرياء انما أنا فنان .. فنان يا سادة .. وأريد أن أثبت لكم براءتى . ولكنى لا أدرى كيف .. ؟ لست أملك سوى لسانى .. ومادمتم لا تقتنعون بمجرد كلام كأثبات فماذا أفعل ؟ لقد جئتكم بأشهر محامى فى القاهرة فاقتنعوا اذن ! هذا واجبكم نحو محام شهير وفنان مسكين .. والا فما سبيل لنفى التهمة .. اننى أطلب منكم المساعدة .. أنتم لا تريدون سوى أن أعترف بالجريمة .. ولكنى لم أرتكبها .. خبرونى اذن بحق العدالة كيف أثبت ذلك . كيف يثبت فنان أنه ليس مذنبا فى عالم لا يثق بالفنانين .. ؟

الدفاع : سيدى القاضى .. ان الغموض الذى يكتنف القضية لا يدع لنا سواء فى مجال الادعاء أو الدفاع سوى الافتراض .. وافتراض البراءة والادانة يستوجبان الأدلة .. وهذا هو ما نفتقده فى تلك القضية .. وليس هناك سوى شئ أخير وهو الشاهد الوحيد فى تلك القضية .. فارجو من المحكمة استدعاء زوجة موكلى للشهادة ..

النائب : النيابة أيضا تطلب شهادة زوجة المتهم ..

القاضى : زوجة المتهم تتقدم ..

المثال : (لزوجته) هيا يا عزيزتى .. انهم يطلبونك للشهادة .. مصيرى بين يديك الجميلتين .. هيا لا تخافى .. يجب أن تكونى شجاعه مادمت ستقولين الحق .. هيا .. هيا يا حبيبتى ..

(تتقدم فى تردد)

القاضى : أنت زوجة المتهم ؟

الزوجة : نعم يا سيدى ..

القاضى : هل تقسمين أن تقولى الحق .. ؟

الزوجة : أقسم أن أقول الحق ..

القاضى : متى تزوجت المتهم .. ؟

الزوجة : منذ عامين ..

القاضى : هل كنت راغبة فى زواجك من فنان .. ؟

الزوجة : نعم ..

القاضى : هل تحبينه .. ؟

الزوجة : نعم ..

القاضى : وهو ؟

الزوجة : أيضا ..

القاضى : ألم تشعرى بغرابة ما فى سلوك زوجك .. ؟

الزوجة : لا أفهم ..

القاضى : كونه فنانا .. له مزاج خاص .. تصرفات غريبة !

الزوجة : كعادة الفنانين ..

القاضى : مثلا .. ؟

الزوجة : كان يرى أن العالم ليس على ما يرام ..

القاضى : كيف .. ؟

الزوجة : كانت تقلقه دائما مظاهر العذاب والبؤس .. وكثيرا ما كان يسجلها فى أعماله الفنية ..

القاضى : هل لكما أطفال ..

الزوجة : كلا .. استعمل حبوب منع الحمل ..

القاضى : لماذا .. ؟

الزوجة : كان يشفق دائما على الاطفال .. ويرى أن وجودهم فى مثل هذا العالم تعذيب لا مبرر له .. وكثيرا ما كان يحلم بعالم الأطفال ولا يبكون .

القاضى : حسنا .. المحكمة تكتفى بهذا .. فلتتفضل النيابة بسؤال الشاهدة .

النائب : شكرا .. (للزوجة) سأسالك يا سيدتى أسئلة بسيطة .. لن أخرج كثيرا عن أصول القضية .. فى يوم الحادث .. أين كنت .. ؟

الزوجة : فى الطابق الأعلى ..

النائب : ماذا حدث حينئذ ..

الزوجة : سمعت صوت حركة وارتطام ..

النائب : ماذا كنت تعتقدين .. ؟

الزوجة : بعض اللصوص ..

النائب : لماذا .. ؟

الزوجة : سبق أن سرق المتحف مرتين ..

النائب : لماذا لم تظنى أنها (حركة عادية ؟ ألم يكن زوجك يأتى ببعض الأعمال التى تحدث حركة وارتطاما .. ؟

الزوجة : بلى .. ولكن ..

النائب : لم لم تظنى ذلك اذن .. ؟

الزوجة : كان هذا احساسى ..

النائب : لماذا .. ؟

الزوجة : لا أدرى ..

النائب : أين كان زوجك حينئذ ؟

الزوجة : لم يكن موجودا ..

النائب : مختبئا مثلا ..

الزوجة : (بانفعال) لم يكن موجودا فحسب ..

النائب : حسنا .. هل أخبرك بخروجه ..

الزوجة : كان يخرج كيفما شاء ..

النائب : من تظنين شخصية المجنى عليه .. ؟

الزوجة : لا أعرف .. ؟

النائب : هل سبق أن تردد على المتحف .. ؟

الزوجة : كلا .. لا أعرف ..

النائب : هل تعتقدينه لصا .. ؟

الزوجة : لا .. لا أدرى ..

النائب : ماذا ظننت حينئذ ؟

الزوجة : جثة .. مجرد جثة قتيل ..

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

النائب : وزوجك .. فى نفس اللحظة .. ماذا ظننت .. ؟

الزوجة : (بانفعال) لم أظن .. لم أظن ..

النائب : سأسهل لك السؤال .. كيف ربط تفكيرك ما بين الجثة ومتحف زوجك ؟

الزوجة : لم أكن أفكر حينئذ ..

النائب : أتعتقدين أن جناة آخرين تخلصوا من الجثة فى متحف زوجك .. ؟

الزوجة : لا أدرى ..

النائب : ألم يكن له خصوم .. ؟

الزوجة : لا .. كان منطويا دائما ..

النائب : هل كان يشعر بامتيازه .. ؟

الزوجة : انه فنان ..

النائب : كيف يتعامل مع عملائه .. ؟

الزوجة : لم يكن يهتم بالمادة كثيرا ..

النائب : هل كان يريد التفوق على نفسه دائما ..

الزوجة : كل فنان يرجو ذلك ..

النائب : أنى أسألك عن زوجك ..

الزوجة : قد كان يجيد فى كل مرة ..

النائب : هل هو من الذين يبررون الوسيلة بالغاية .. ؟

الزوجة : لا أفهم ..

النائب : هل يخرج كثيرا على قواعد السلوك والقيم ..

الزوجة : لم يكن يهتم بالمظاهر ..

النائب : ما هى آراؤه فى المجتمع .. ؟

الزوجة : آراؤه لم يقولها دائما .. ولكنه ينفذها فى أعماله الفنية ..

النائب : وما موقفك منها .. ؟

الزوجة : قد أختلف معها .. ولكنى أحترمها ..

النائب : شكرا يا سيدتى .. أكتفى بهذا يا سيدى القاضى ..

القاضى : الشاهدة تحت تصرف الدفاع ..

الدفاع : (للزوجة) سيدتى .. هل تحبين زوجك .. ؟

الزوجة : نعم ..

الدفاع : من قبل الزواج .. ؟

الزوجة : نعم ..

الدفاع : ألم تفكرى فى التخلص منه .. ؟

الزوجة : (بغرابة) أنا .. ! لماذا ؟

الدفاع : ربما لأنه لا يريد الأطفال ..

الزوجة : لا .. ليس هذا ..

الدفاع : حسنا .. لماذا اذن أبلغت عنه ..

الزوجة : (وقد فوجئت) لقد أبلغت عن الجثة ..

الدفاع : ألم تفكرى أن للجثة قاتلا . ؟

الزوجة : لم يكن هذا من شأنى ..

الدفاع : ألم تفكرى فى التستر على الجريمة حتى تنقذى زوجك .. ؟

الزوجة : لا .. مستحيل . !

الدفاع : أو على الأقل ألا تبلغى ..

الزوجة : لم يكن بمقدورى الا أن أبلغ ..

الدفاع : ألم تفكرى أنك بهذا قد تسببين لبيتك المشاكل ..

الزوجة : لم أكن أفكر فى هذا .. ؟

الدفاع : وفيم فكرت اذن .. ؟

الزوجة : فى الجثة .. كان منظرها بشعا ..

الدفاع : ولكنك أوقعت زوجك فى التهمة ..

الزوجة : (صارخة) لم أقصد هذا .. لم أقصده ..

الدفاع : أنا معك .. ولكن كانت تلك هى النتيجة ..

الزوجة : (تخفى وجهها باكية) يا الهى .. لم أكن أقصد هذا .. لم أقصده ..

النائب : انى أحتج على هذه الطريقة الارهابية ..

القاضى : المحكمة ترجو من الدفاع مراعاة شعور السيدة فى القاء الأسئلة ..

الدفاع : آسف يا سيدتى .. فلم أكن أعنى من وراء ذلك سوى أن أثبت لهيئة المحكمة الموقرة أن الزوجة حينما أقدمت على التبليغ عن الجثة لم تكن لتفعل ذلك الا لأنها واثقة من براءة زوجها وبيتها والا ما كانت لتفعل .. وكل ما هنالك أن الغموض والغرابة الى جانب المصادفات السيئة استطاعت أن ترسم كل أجزاء هذه القضية ..

النائب : اننى أرفض تلك المبررات الواهية ..

الدفاع : اذن ليتفضل الادعاء بالاجابة على هذا السؤال .. ؟ ما مصلحة موكلى فى هذه الجريمة ؟

النائب : الأمر يختلف اذا كانت الجريمة متعلقة بفنان كهذا ..

الدفاع : وهل كونه فنانا يبرر الاتهام ..

النائب : ولم لا .. والا .. كيف يمكن تبرير وجود جثة فى متحفه ..؟

المثال : أستطيع أنا أن أبرر لكم هذا .. ذلك أن عالمكم عالم أعشى تنخر فيه الأخطاء والدماء .. عالم مباح فيه الموت والعذاب .. القاتل طليق والمتهم برىء والقانون هراء .. هراء ..

(تتردد كلمة هراء كالأصداء)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القاضي : المتهم .. هل لديك أقوال .. ؟

الزوجة : تكلم .. لماذا لا تتكلم ..

القاضي : هل تعترف .. ؟ هـل تدافع عن نفسك ..

الزوجة : قل شيئا .. قل لا .. قل نعم .. لا تصمت هكذا ..

القاضي : حسنا .. الحكم بعد المداولة ..

(تنفض المحكمة وتتوارى فى الظلام)

الزوجة : (تتقدم من زوجها) لماذا لم تتكلم ؟ .

المثال : لقد قلتى ما لدى يا عزيزتى .. قلت كل ما لدى .. لم يعد الا أن أقول انا القاتل .. نعم .. انهـا تلح على أن أقولها ..

الزوجة : لقد هزموك ..

المثال : نعم .. لقد قهرت تماما ..

الزوجة : لم يعد لك ما تتشبث به .. انتهى كل شيء .. قد كان بيدك أن تصنع شيئا .. ولكنك لم تفعل .. ماذا تريد بعد ذلك ..

المثال : لا أدرى .. ولكن ليس هذا شيء يا عزيزتى .. ليس بعد ..

الزوجة : أنت مجنون .. مجنون ..

المثال : آه .. حقيقة رائعة .. ؟ ما رأيك .. (متحفزا) ربما كنت مجنونا حقا

الزوجة : (منزعجة) ولم تنظر الى هكذا .. ؟

المثال : مجنـون .. مـاذا تنتظرين من مجنون .. ؟

الزوجة : دائما تحاول ارهابى .. تعتقد أن هذا من حقك .. فأنت ترى نفسـك مظلوما ..

المثال : ألا لا تريننى كذلك .. ؟ ألسـت مظلوما .. ؟

الزوجة : وما شأنى ؟ ما شـأنى حتى تلقى التبعة على كاهلى ؟

المثال : ليس أنا يا سيدتى .. انما هـو المحامى ..

الزوجة : المحامى .. ؟

المثال : جعلك تبكين رعبا ..

الزوجة : كانت وسيلة من أجلك ..

المثال : كلا .. اننى أدرك الأمر على حقيقته .. أتريدين أن أشرح لك ..

الزوجة : لست فى حاجة الى مزيد الأكاذيب .

المثال : حسنا .. أريد سببا واحدا لرفضك يد المحامى ..

الزوجة : ماذا تعنى من وراء منـاوراتك تلك .. ؟

المثال : أكون أكثر من أحمق ان اعتقدت انك لا تدركين ..

الزوجة : اذن ليحتفظ كل منا بما يدرك ..

المثال : لا يا عزيزتى .. حقيقة أن كلا منا يفهم الحقيقة تماما .. الا أننا زوجان وحبيبان ويجب أن يصارح أحدنا الآخر .. حتى على الأقل لا يخطىء أى منا فى الآخر .. هيا يا حبيبتى .. أخبرينى عن سبب واحد لرفضك يد المحامى .. وسبب واحد جعل المحامى يتقدم اليك .

الزوجة : (بنفـاذ صـبر) هل تنكر أنى جميلة ؟ أليس هذا سببا ليتقدم المحامى وغيره ؟

المثال : ولماذا رفضت .. ؟ ألا انه أرهبك بأسئلته فى المحكمة .. هل تشـعرين نحوه بالحقد . ؟

الزوجة : ليس هذا من شأنك ..

المثال : أنت لا تملكين الحقد .. أنت فأر أبيض ضعيف ترتعد فرائصه من صوت قط على مدى بعيد .. وربما لا وجود لهذا القط .. انه مجرد صوت ضائع فى الفضاء .. صـدى يأتى ويروح كصفير الرياح بين شعاب الجبال وكثبان الصحراء .. وربما أيضا لا وجود لهذا الصوت .. فهو قد يكون صدى .. فهو قد يكون صدى أعماقك يا فأرى المسكين .. وأنت هناك هارب فى أعلى السقف والصوت مازال يدوى فى أعمـاقك ، وستظل فرائصك مرتعـدة فلا تتمالك نفسك .. وأخيرا ستسـقط بين يدى القط الحقيقى .

(ينفض فجـأة فيحملهـا بين يديه فتصرخ فى رعب بالغ)

لا تخف يا فأرى الأبيض الجميل ..

الزوجة : دعنى أيها الوحش .. دعنى .. ماذا تريد منى .. ؟

المثال : لا شيء .. فماذا أطلب من فأر مسكين مثلك .. ؟

الزوجة : لماذا تفعل فى ذلك اذن .. لماذا ؟

المثال : لا أدرى ! . انك أنت التى تدفعيننى الى ذلك .. (يجلسها على مقعد)

الزوجة : (وهى تتضاءل فى ذعر) أنا .. أنا التى أدفعك .. ؟ كيف . ؟ اننى أحبك أقسم لك اننى أحبك ..

المثال : لماذا اذن تخافيننى .. لماذا تنظرين الى برعب .. ؟

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزوجة : أنتم جميعا تتهمونني ..

المثال : أنا المتهم يا سيدتي وليس أنت .. ؟

الزوجة : ولكنكم تلقون التبعة على ..

المثال : من قال هذا .. ؟

الزوجة : الجميع .. النائب والمحامي وأنت ..

المثال : هل تشعرين بذلك .. ؟

الزوجة : تحاولون اشعاري ..

المثال : ياالله .. كيف ذلك .. النائب كان يثني عليك وعلى تضحيتك من أجل العدالة .

الزوجة : أنت تفهم الأمر بنية سيئة ..

المثال : والمحامي كان يدافع عن موقفك ..

الزوجة : أراد أن يوعز الى أنني كنت السبب ..

المثال : أنت التي اعتقدت ذلك .. ومع ذلك .. كيف يوعز اليك بهذا ثم ياتي ليطلب يدك .. أتدرين لماذا .. ؟

الزوجة : ماذا تقصد .. ؟

المثال : كان يريد أن يحميك ..

الزوجة : يحميني .. ؟ ممن .. ؟

المثال : مني .. كان يعلم انك ستنظرين الى كمن أجرم في حقي .. بالمثل أدرك أنني سأفطن الى احساسك بالذنب نحوي ..

الزوجة : هراء .. تلك أفكار شيطان ..

المثال : كان يعتقد أنني ربما انتقمت منك بطريقة ما ..

الزوجة : هذا اعتقادك أنت .. أنت ..

المثال : (يستمر) أراد أن يحميك مني بأن يتزوجك .. فتكوني تحت حمايته من تهديدي .. لقد أرهبك في المحكمة ليشعرك بأنه يفهم موقفك تماما فتثقين به حين يطلب يدك ..

الزوجة : لقد رفضت .. وهذا يثبت خطأ اعتقادك ..

المثال : نعم .. كنت واثقا من هذا .. رفضت لأنك اعتقدت أنك لو فعلت هذا ستزيدين من حدة انتقامي .. وفضلت انتظاري تلك السنوات لعلك تأمنين جانبي بطريقة عاطفية .. ولتثبتي تضحيتك من أجلي ..

الزوجة : لا .. لا تقل هذا .. انك تجسد الأوهام على نحو مخيف .. يا الهي ..

المثال : أجل أوهام .. اني معك ولكنك تعلمين أن الأوهام هي نسيج هذا العالم الزائف .. أن قضيتي كلها وهم يا سيدتي .. لقد اتهمت بطريقة وهمية بحتة وأنت أبلغت عني في نوبة من الوهم .. وقام كل من القاضي والنيابة والدفاع بدوره على أساس وهمي محض .. نعم .. كل شيء وهم وخاطيء في هذا العالم الآيل للسقوط .. كل شيء فيه باطل الأباطيل .. لا حقيقة فيه سوى السجن وارهاق روح الانسان .. لماذا اذن تنكرين ما أتوهم ؟ انك تدركين هذا في أعماقك .. ألا تتوهمين بالجرم نحوي ..

(يهزها) ألا تشعرين بذلك ؟

الزوجة : ولكني لم أفعل !

المثال : أعلم ذلك .. ولكن ألا تشعرين بالذنب نحوي .. ؟

الزوجة : (في تخاذل مرير) أجل .. ولكن .. ماذا تطلب مني مقابل هذا .. ؟

المثال : لا .. أنا لا أطلب شيئا ..

الزوجة : بل تطلب شيئا بعينه !

المثال : انك تتوهمين ذلك ..

الزوجة : ربما .. مادام الأمر كله مجرد وهم ..

المثال : حسنا .. وما الذي أطلبه .. ؟

الزوجة : لا ادري .. (برهة) تريد أن تثأر ..

المثال : كيف .. ؟

الزوجة : تقتلني ..

المثال : أهذا ما يخيفك .. ؟

الزوجة : (تتماسك في رثاء) اقتلني اذا شئت .. اقتلني .. هاأنذا بين يديك .. ماذا يمنعك .. ؟

المثال : لا .. لاتحاولي أن تستجدي رحمتي .. هذه طريقة مبتذلة جدا يا جميلتي . بوسعك أن تتجردي من ملابسك الآن .. أقسم لك أن هذه أبرع وسيلة تمارسها المرأة لتأمين بطش رجل .. حينئذ ينسى الأحقاد والانتقام والأخطاء والجرائم .. ينسى كل ذلك في سبيل أن يعيش لحظات الطبيعة المطلقة .. تلك اللحظات الوحيدة التي يشعر فيها الانسان بانتمائه الى هذا العالم المجنون مهما كانت هوة التناقضات . (بنبرة خاصة) في تلك الليلة .. دب الرعب العظيم في قلبك وبين جوانحك واعتقدت حينئذ أنني ربما صعدت اليك وقتلتك .. أليس كذلك .. ؟

الزوجة : (وهى تتضاءل) كفى أرجوك .. كفى انك تقتلنى ..

المثال : (مسترسلا) حينئذ تسلمت بأسلحتك الرائعة .. وتجردت تماما كتمثال من المرمر .. نعم .. لم يكن هناك مايحميك من رعبك سوى أن تشبعى جوعى الذى استمر أحد عشر عاما .. ولكن .. خاب فألك يا أنثاى الفاتنة ! أحد عشر عاما من العذاب كفيلة بأن تقلب موازين المنطق والتوقعات أحد عشر عاما من الجحيم !

الزوجة : (فى انهيار) اقتلنى اذن .. اخنقنى .. لا تعذبنى أكثر من هذا .. لا تعذبنى ! يا الهى .. (تبكى فى هستيرية ـ فجأة ينطلق صوت من جوف .. المسرح صارخا « محكمة » فتنهض الزوجة فى فزع مجنون بينما تتحرك هيئة المحكمة الى أماكنها (السابقة) .

الزوجة : (صارخة) لا .. لن تحاكمونى بحق العدالة .. لن تحاكمونى .. لست السبب لم أقصد ما حدث .. كان شيئا خارجا عن ارادتى .. انى أحب زوجى .. أحبه ! ولم أكن أريد عقابه .. انا مذنبة ولكن لا ذنب لى فيما حدث .. أشعر أنى مجرمة ولكن دون أن أجرم .. أنى أتعذب .. أتعذب من أجله ! فأنا أعلم أن عذابه يفوق عذاب الجحيم .. ولكن ماذا أفعل ؟ خبرونى بحق العدالة .. عذابه يقتلنى .. ولا أملك سوى شىء واحد .. هو أن أموت من أجله ..

(تعدو خارجة وهى تصرخ فى هستيرية)

القاضى : (بصوت ذى صدى) حكمت المحكمة حضوريا على المتهم بعشر سنوات بسجن مع الأشغال الشاقة .. وانه لمن دواعى فخر المحكمة أن تقدم شكرها وتقديرها العظيمين الى زوجة المتهم على ما قدمته من خدمة وتضحية فى سبيل العدالة والقانون .

(تتوارى هيئة المحكمة فى الظلال وتتحول الى تماثيل ، بعد برهة يتطلق صوت الزوجة مندوبا من الطابق الأعلى ينذر بفجيعة) .

المثال : (تجاه الصوت كانما يحاول منع الكارثة) لا .. لا .. لست زوجة أبى ربما كانت هى تستحق الموت .. ولكن أنت لا .. لا . ! يا الهى ..

(ينهار باكيا)

أيتها العدالة الصماء .. يا أصنام العدالة وأوثانها .. ماذا تنتظرين بعد ماذا تنتظرين .. عشر سنوات بلا ذنب أو خطيئة .. عشر سنوات يا طالة عشر سنوات شاقة كالجحيم ..

(يقذف التماثيل ببعض الأدوات فتسقط على الأرض كالجثث)

المثال : ها قد قتلتم زوجتى يا رجال العدالة الأفاضل .. قتلتموها دون ذنب جنته أنتم القتلة الحقيقيون ! لقد أرغمتمونى على أن أجعلها ضحيتى .. كما أرغمتموها على أن تجعل منى موتور يبحث فيها عن ثأره .. والقضية كلها هراء قتلتم فيها الانسان وقتلتم فى الفنان .. أية مهزلة تلك .. أى مهزلة .. ومع ذلك أعود فاقول لكم .. ها أنذا مثقل بوزر عظيم .. عدت كما كنت دائما مثقلا بجرم لم ارتكبه قط .. (يجثو وبصوت محطم) يا الهى الام سأظل هكذا ؟ الام أنوء بحمل العالم والأحشاء خاوية ؟ أيتها الجثث الراقدة ! ثمة حلقة مفقودة يتعين علينا أن نجدها أو نوجدها .. وفى كلا الحالين ما أشده من جلاد .. !

(ينهض ويتقدم نحو الباب الأيسر صائحا)

أنا أقتلك .. ولم يسبق لى أن قتلت أحدا من قبل .. (يعود) أما الآن فأستطيع .. أن أنضم الى من يدعون انهم قتلة ومذنبون دون أن أسعى الى البراءة ..

(يشعل عود ثقاب ثم يقربه من الستائر فتشتعل ـ ثم يتجه الى الباب الخارجى بينما المتحف يحترق)

ستار

حاشية : (يمكن أن تقال عند اسدال الستار فى صوت ذى صدى)

يقال فيما يقال عن مأساة هذا الفنان .. وأن تقرير الطبيب الشرعى عن الجثة المزعومة اختفى بطريقة مجهولة .. حيث أورد التقرير أن الجثة كانت تمثالا من الشمع ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جائزة نوبل وماركيز

تقرير وصفي

■ د. صبري حافظ

لاشك فى أن جوائز نوبل السنوية بمجالاتها الخمسة (الكيمياء والطبيعة والطب والادب والسلام (١)) قد استطاعت لأسباب عديدة ومتشابكة أن تفرض نفسها على الواقع العالمى ، على مدى فترة طويلة من الزمن ، وان تجذب اهتمام العالم الى مؤسسها الفريد برنارد نوبل (١٨٣٣ ـ ١٨٩٦) والى بلده السويد مرة كل عام منذ أسست هذه الجوائز فى مطلع هذا القرن • ليس فقط لقيمتها المادية الكبيرة ـ اذ تفوق أية جائزة أخرى قيمة ـ ولا لسمعتها الأدبية المرموقة التى شاركت فى صياغتها عشرات بل مئات من الأسماء الكبرى والهامات العملاقة فى شتى المجالات ، ولكن أيضا لأنها جائزة عالمية تزعم أنها تنظر بعقل موضوعى ووجدان مفتوح ،الى ابداع البشرية جمعاء ، والى إسهامات الانسان المتميزة فى مجالاتها الستة . حتى تنتقى من بينها • كل عام ، حفنة من الأسماء ، تعلن جدارتهم بجائزتها ، ومن ثمة تضفى ضمنا على من يفوز بها وهما بأنه أفضل أبناء مهنته ، وأكثرهم خدمة للبشرية فى هذا العام ، ان لم يكن فى هذا العصر •

والواقع أن فى هذا الزعم شيئا كبيرا من التجاوز ، والشطط ، لأن الجائزة فى حقيقتها ليست جائزة عالمية بقدر ما هى جائزة سويدية أولا ، وأوربية ثانيا وأخيرا ، اذ تقدم لنا ، على أحسن تقدير ، ما تظن السويد أو ما تعتقد الحضارة الأوروبية ـ التى لا تزال ترى أنها العالم وعقله أو محوره على الأقل ـ أنه أفضل العناصر فى هذه المجالات • وهو ظن محكوم بمجموعة كبيرة من العناصر الموضوعية والمصالح الذاتية والانحيازات الثقافية أو الانفعالية أو التاريخية • ومحكوم قبل هذا كله بمنظور الرؤية الأوروبية التى ترى أن ثقافتها وحضارتها هى « الأنموذج » أو « المثال » الانسانى الأعلى الذى يجب على الحضارات أو الثقافات الأخرى أن تحتذيه ، أو تدور فى فلكه ، أو تخضع لمعاييره القيمية والتقييمية على السواء •

من هذا المنطلق ، سويدية الجائزة أولا وأوروبيتها ثانيا ـ نستطيع أن نفهم الكثير من الألغاز والتناقضات التى صاحبت هذه الجائزة على مدى اثنين وثمانين عاما ، والتى تبدو أوضح ما يكون فى جائزة الأدب على الأخص • فمعيارية القياس والحكم فى العلوم الطبيعية والكيميائية والفسيولوجية أكثر دقة وموضوعية أكثر دقة منها فى العلوم الانسانية عامة ، وفى الأدب خاصة • فالأدب وثيق الاتصال بعالم القيم الاجتماعية والثقافية والأخلاقية ، مرتبط بالرؤى القومية ، والمصالح الذاتية ، والانحيازات السياسية والحضارية ، ومن هنا تصبح معيارية القياس فيه نسبية فى موضوعيتها ، ذاتية فى توجهاتها وتحيزاتها الى حد كبير •

فبين أكثر من ثمانين كاتبا فازوا بجائزة نوبل ، على امتداد تاريخها المتصل منذ عام ١٩٠١ ، كان نصيب أكبر قارات العالم تعدادا ، وأكثرها خصوبة حضارية ، وتعددا فى الثقافات، وهى قارة آسيا ، جائزتين فقط ، أو بالأحرى جائزتين ونصف جائزة ، اذا اعتبرنا نصف الجائزة التى حصل عليها الكاتب العبرى الأوروبى الأصل ، والمقيم فى فلسطين المحتلة ، جائزة آسيوية • أما الجائزة الأولى فقد ذهبت الى طاغور عام ١٩١٣ ، بينما كانت الثانية من نصيب

(١) اضيف اليها الاقتصاد كمجال سادس منذ عام ١٩٦٩ •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كواباتا الياباني عام ١٩٦٨ . ولم تحصل قارة أفريقيا على أية جائزة حتى الآن . وبتأمل هذا الجدول الصغير :

القارة	عدد السكان بالمليون	عدد جوائز نوبل في الآداب
آسيا	٢٥٢٣	٢
أوروبا	٥٣٠	٦٥
افريقيا	٤٧٥	لا شيء
أمريكا الشماليه	٣٧٠	٨
أمريكا اللاتينية	٢٥٥	٤
استراليا	١٥	١

نجد أن شعوب آسيا وافريقيا التى تضم ثلاثة آلاف مليــون نسمة ، وعشرات اللغات والثقافات والحضـارات ، قد فازت بجـائزتين فقط ، بينما كانت بقية الجوائز من نصيب آداب اللغات الأوروبية التى تسود حضارتها وثقافاتها القارات الأربع ، والتى لا يتجاوز عدد سكانها ١١٧٠ مليون نسمة ، فقد فاز كتابهـا ببقيـة الجوائز وعددها ٧٥ جائزة فاز بها ٧٨ كاتبا . صحيح أن هذه الجوائز موزعة بين قارات أربع ، الا أن أمريكا الشـمالية وأسـتراليا ليسـتا الا امتدادا للثقافة الانجليزية . أما أمريكا اللاتينية ـ كما يشير اسمها ـ فانها امتداد للثقافة اللاتينية عامة والاسبانية خاصـة . ولا ينبغى القول بمسالة الامتدادات الثقافية هذه ، بأى حال من الأحوال ، خصوصـية أدب كل أمة ، وتمايزه داخل اطار اللغة الواحدة .

واذا كانت هذه الأرقام تشـير الى أوروبية الجائزة ، فان التحليل الجزئى لهـا يشـير الى

حقيقتين أخريين ، أولاهما هى محلية الجائزة أو أقليميتها . ذلك لأن الشعوب الاسـكندنافية (السـويد ، النرويـج ، الدنمارك ، فنلنـدا وأيسلندا)التى لايزيد تعدادها مجتمعة عن ٢٢ مليون نسمة ـ أى ٤٪ من تعداد أوروبا ـ قد فاز ١٣ من كتابها بجائزة نوبل للآداب أى بنسـبة ٢٠٪ من الجوائز الأوروبيـة . و ١٦ر٢٥٪ من جوائز الآداب كلها . صحيح أن عددا من الكتاب الاسكندنافيين قد فاز بالجائزة مناصفة . الا أن هذا الخلل فى التمثيل النسبى يشير بوضوح الى التحيز المحلى للجائزة ، والذى يأتى بعده التحيز الاقليمى ثم التحيز الأوروبى كما يبدو جليا فى الجدول التالى :

اسم البلد أو الاقليم أو القاره	بالمليون عدد السكان	نسبتهم من سكان العالم	عدد الكتاب الفائزين	نسـبتهم المئوية من مجموع الفائزين
السويد	٨	١٩ر ـ ٪	٦	٥ر٧٪
اسكندينافيا	٢٢	٥٢ر ـ ٪	١٣	٢٥ر١٦٪
أوروبا	٥٣٠	٧٠ر١٢٪	٦٥	٢٥ر٨١٪

أما الحقيقة الثانية فهى أنه اذا كانت الجائزة تتحيز داخل أوروبا لبلدها السـويد أولا ثم ، للكتلة الاسكندنافية ثانيـا ، فان هنـاك تحيزا آخر ، وهو أنه داخل نطاق التحيز الأوروبى ذاته

تتحيز الجائزة لأوروبا الغربية على حساب أوروبا الشرقية · كما يشير الجدول التالى :

اسم الكتلة	عدد السكان بالمليون	نسبتهم من سكان أوروبا	عدد الكتاب الفائزين	نسبتهم من كتاب أوروبا
بلدان أوروبا الشرقيه	٤٠٠	٧٥ر٥٪	٥٧	١٢ر٣٠٪
بلدان أوروبا الغربية	١٣٠	٢٤ر٥٪	٨	٨٧ر٧٠٪

وقد يبدو هذا التحيز وكأنه أحد وجوه التحيز الأول ، لأن تحيز الجائزة لأوروبا الغربية جزء من سويديتها ، ليس فقط لأن السويد جزء من أوروبا الغربية ، ولكن أيضا لأنها جزء من العالم الغربى الذى يقف من أوروبا الشرقية موقفا عدائيا الى حد كبير · فمن بين أربعة من الكتاب الروس الذين فازوا بالجائزة هناك واحد فقط (شولوخوف) ينتمى الى الايديولوجية السائدة فى بلاده ، بينما الثلاثة الآخرون اما معادون لها صراحة مثل بوتين ، وسولجنيتسين ، أو مشكوك فى ولائهم لها مثل باسترناك ·

اذن فالجائزة ليست جائزة عالمية ، أو موضوعية بالصورة التى تبدو للوهلة الاولى · ولكنها جائزة أوروبية سويدية · وسوف نتعرف أكثر على سويدية هذه الجائزة من خلال تتبع مشاهد الاحتفال بها ، والتى أتيح لى أن أشهدها هذا العام ، فى تلك المدينة الجميلة الساحرة استكهولم · حيث راقبت عن كثب شتى مراحلها التى اكتملت بمراسيم تسليم الجائزة ، واحتفال العشاء الكبير الذى يعقبها ، والذى يستمر حتى الثانية صباحا · وكان هذا الاحتفال فى يوم الجمعة الموافق ١٠ ديسمبر · غير أننى أود أن أؤكد مرة أخرى ـ قبل الانتقال الى تتبع مراحل الجائزة ، وصور الاهتمام بها ـ على أهمية هذه الجائزة الدولية · فقد استطاعت رغم كل تحيزاتها · التى تتضح أكثر ما يكون فى جائزة الأدب ، أن تكسب احترام العالم بفضل حنكة وذكاء الاكاديمية السويدية الملكية القائمة على ادارتها · لأنها لا تزال أكثر الجوائز قيمة من الناحيتين الأدبية والمادية ·

ولا يمكن الفصل بين الجائزة واحتفالاتها وبين واقع السويد كبلد أوروبى صغير ، يحاول الاضطلاع بدور فى الساحة الدولية · رغم افتقاره للمركز الجغرافى أو السياسى الهام · فالسويد بلد أوروبى صغير يقع فى أقصى أطراف العالم ، ولم ينهض بأى دور سياسى أو اقتصادى أو عسكرى كبير ، فى أية حقبة من تاريخه · ولا يتميز بأية قدرات ابداعية متميزه ، كما هى الحال فى أية بلدان صغيرة أخرى ، كأيرلندا وهولندا · وان كان يحاول أن يلعب دورا قياديا بين الدول الاسكندنافية الصغيرة التى يعتبر السويد أكبرها وأثراها · غير أن هذا الدور القيادى ، داخل الكتلة الاسكندنافية التى تحتل برمتها مكانا هامشيا فى خريطة العالم السياسية أو الحضارية ، لا يروى عطش السويد الى الدور والفاعلية · ومن هنا تحاول السويد أن تلعب بالجائزة ، ومن خلالها ، دورا ثقافيا وحضاريا فى عالمنا · اذ يأتيها بسببها نجوم الأدب والعلم والاقتصاد كل عام ، فيحطمون بمقدمهم نطاق العزلة التى ضربتها حولها الطبيعة ، ويذكرون أهلها بأنهم ليسوا نسيا منسيا فى أقصى أطراف الأرض ، ويعوضونهم بزيارتهم عن تجاهل القادة والساسة لعاصمتهم الجميلة طوال العام ·

ولذلك تنشغل السويد كلها بقضايا هذه الجوائز ، وتهتم أجهزة اعلامها اهتماما واسعا بشتى أمورها · فما أن اقترب أكتوبر من منتصفه أو تجاوزه لا أذكر على وجه التحديد ، حتى ظهرت قائمة التصفيات النهائية لكل جائزة · وبنشر هذه القائمة لا تدخل الجائزة مرحلتها النهائية فحسب · ولكن ينفتح الباب على مصراعيه للجدل والنقاش ، حول ما ظهر فى هذه القائمة الأخيرة من أسماء (حوالى العشرة أو أقل قليلا) هى ما تبقى بعد الدرس والغربلة والتمحيص ، من الأسماء الكثيرة التى رشحتها للجائزة العديد من المؤسسات السويدية والدولية ·

ويبدأ الترشيح للجائزة فى كل فرع من

فروعها المختلفة — ولنقصر حديثنا هنا على جائزة الأدب — في شهر فبراير من كل عام • فتقدم أقسام الأدب في الجامعات السويدية المختلفة ترشيحاتها • وقد كان قسم الأدب العربي بجامعة استكهولم من بين الأقسام التي طلب منها التقدم بترشيحاتها لأول مرة ابتداء من العام الماضي ، فرشح يوسف ادريس لنيلها • هذا بالاضافة الى الترشيحات المختلفة التي يتقدم بها أعضاء الأكاديمية السويدية ، والمؤسسات الدولية ، والهيئات العلمية والأدبية ، في العديد من بلدان العالم • وتتجمع هذه الترشيحات المشفوعة بمبررات الترشيح بالطبع ، لدى الأكاديمية السويدية الملكية التي تقوم بدراستها، وفرزها ، وتصفيتها ، حتى تتبقى مجموعة صغيرة من الأسماء ، يجرى عليها النقاش والاقتراع في بداية نوفمبر •

وقد ضمت قائمة التصفية هذا العام مجموعة من الاسماء البارزة كان من بينها الشاعر البلجيكي الكبير هنرى ميشو (١٨٩٩) الذى تمتزج في شعره العبثية بالسريالية ، بالنزعات الفلسفية ، والاشراقات الرؤيوية ، والذى كتب العديد من الأعمال الشعرية البارزة مثل (بربرى في آسيا) ١٩٣٢ ، و (بلوم) ١٩٣٠ ، و (محاولة استحضار الأرواح) ١٩٤٥ ، و (الهروب للداخل) ١٩٤٤ أو غيرها من الأعمال الشعرية التي جعلته واحدا من أبرز شعراء الفرنسية في عصرنا • ومن بينها الروائي الانجليزي الشهير أنتوني بيرجس (١٩١٧ — ٠٠٠) الذى يواصل في استقصاءاته الروائية الشائقة مغامرات جيمس جويس في الشكل واللغة • ومحاولاته لفض مغاليق النفس البشرية والغوص في أعماقها ، واستكناه أدق دقائقها ، منذ روايته الأولى (وقت لنمر ما) ١٩٥٦ ، حتى روايته الأخيرة (القوة الارضية) ١٩٨١ ، مرورا برواياته الشهيرة (البرتقالة الميكانيكية) ١٩٦٢ ، و (رجفة النية) ١٩٦٦ ، والثلاثية الماليزية ١٩٦٠ — ١٩٧٠ ، وغيرها من الروايات التي جعلته واحدا من أبرز الروائيين الانجليز المعاصرين •

وقد ضمت القائمة أيضا الروائية الانجليزية دوريس ليسنج (١٩١٩ — ١٩٨٢) التي رحلت عن عالمنا قبل أسابيع قليلة ، وهي روائية مرموقة ، وان اختلف اتجاهها الروائي كلية عن بيرجس • اذ آثرت الاهتمام بقضية التقدم الاجتماعية والاشتراكية ، عبر رواياتها العديدة ، منذ (العشب يغني) ١٩٥٠ ، و (كانت هذه بلاد الرئيس القديم) ١٩٥١ ، و (البحث عن الانجليزي) ١٩٦٠ ، و (المفكرة الذهبية) ١٩٦٢ وغيرها •

وبالاضافة الى هؤلاء الكتاب الأوروبيين الثلاثة كان هناك كاتب وكاتبة آخرين لا أذكرهما ، وان كنت أذكر أن أحدهما فرنسي أو ألماني ، والأخرى انجليزية من جنوب فريقيا على ما أظن • وكان هناك أيضا كاتب أفريقي ، وثلاثة كتاب من أمريكا اللاتينية •

أما الكاتب الافريقي فهو الكاتب المسرحي النيجيري الموهوب وول سوينكا (١٩٣٤ —) الذى يكتب مسرحياته الشعرية المرهفة بالانجليزية ، والذى تحظى أعماله المسرحية العديدة ، مثل (رقصة الغابات) و (سكان الاهواز) ، و (الطريق) ، و (الأسد والجوهرة)، و (حصاد كونجي) ، و (محاكمة الأخ جيرو) ، و (تحولات جيرو) ، و (المجنون والاخصائيون) وغيرها ، بمكانة مرموقة في المسرح الانجليزي •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأما كتاب أمريكا اللاتينية الثلاثة فهم : خورجي لويس بورجيز (١٨٩٩ —) الشاعر والقاص الأرجنتيني صاحب (المتاهة) ، و(كتاب المخلوقات الخيالية) و (محاكم التفتيش الأخرى) ، و (مشكلات السيدة ايزيدرو بارودي) و (الألف وقصص أخرى) • و (كتابات الاله) ، و (تاريخ الأبدية) ، وغيرها من الأعمال التي جعلت الكثيرين يعتبرونه الأب الحقيقي لأدب أمريكا اللاتينية الحديث • والشاعر المكسيكي الكبير أوكتافيوباز (١٩١٤ — ٠٠٠) صاحب الدواوين والأشعار الجميلة التي تواصل تراث الشعر الأسباني في أمريكا اللاتينية بصوره المتوهجة بالأحاسيس والألوان ، ورؤاه الكثيفة الثرية بالأساطير الممتزجة بالعقائد والخرافات المكسيكية • ثم الكاتب الكولمبي جابرييل جارسيا ماركيز صاحب (مائة عام من العزلة) و (لا أحد يكتب الى الكولونيل) و(جنازات الأم الكبرى) و (خريف الأب الكبير) و (أوراق

العاصفة) وغيرها من الأعمال التى بالثراء والخصوبة والشاعرية ، والتى حظيت باهتمام الكثيرين من النقاد والقراء فى معظم بلاد العالم ، على مدى ستينات هذا القرن وسبعيناته ٠

وما ان أعلنت قائمة التصفية النهائية هذه حتى دارت فى صحف استكهولم ومنتدياتها مناقشات عديدة ، حول ما ظهر بها من اسماء ٠ وهى مناقشات المفروض فيها أنها لا تؤثر على رأى الأكاديمية ، وان كانت تعكس أحيانا بعض وجهات النظر التى دارت فى قاعات المداولة السرية ٠ كما أنها تؤثر بطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة فى الاكاديمية مهما ادعت غير ذلك ٠ وقد تابعت بعض هذه المناقشات عن كثب ، فكان ثمة اجماع على أن معظم المرشحين الأوروبيين لن ينالوها ٠ اما لأنهم لا يرقون الى مستواها أو لأن الذين يرقون الى هذا المستوى كأنتونى بيرجس ، ودوريس ليسنج ٠ قد فاتهم قطارها ٠ أو تأخرت هى عليهم ٠ ومن ثمة فقد يرفضونها ٠ بل كان هناك هاجس قوى بأن ليسنج ، ذات الاتجاه السياسى الراديكالى ، قد ترفضها ان عرضت عليها ، وقد كانت فى الواقع أقوى المرشحين الأوروبيين لها ، ليس فقط لأنها كاتبة ممتازة ، ولكن أيضا لأنها امرأة ، ولم تفز امرأة بهذه الجائزة منذ سنوات طويلة ٠

ومن هنا ، بات مرجحا أن الجائزة ستذهب الى العالم الثالث لدرء بعض الشبهات عن تحيز الجائزة ضده ، ولأن وضع السويد الاقتصادى فى الوقت الراهن ، يحتاج الى دفعة لمكانتها فى هذا العالم الثالث ٠ وما ان طرح هذا العامل على صعيد المناقشة ، حتى بات واضحا ان الجائزة ستذهب هذا العام ، ان ذهبت الى العالم الثالث ، الى أحد كتاب أمريكا اللاتينية ٠ فالسويد تحاول أن ترفع حجم تعاملها الاقتصادى مع هذا الجزء الثرى من العالم ٠ لأن المرشح الأفريقى لا يزال صغير السن، ولا تزال أمامه أكثر من فرصة فى الأعوام القادمة٠

وقد يستغرب البعض ورود كل هذه الحجج والمبررات التى لا تتصل ٠ من قريب أو بعيد بمعايير القيمة الأدبية أو الفكرية ٠ غير ان قرار منح الجائزة تدخل فيه العديد من العناصر السياسية والاقتصادية ، وحتى العاطفية ، وتلعب بعض هذه العناصر غير الأدبية دورا كبيرا فى ترجيح فوز واحد على الأخر ٠ خاصة بعد التوصل الى قائمة التصفية النهائية ، التى يعنى نشرها ، ضمنيا ، أن كل من ورد اسمه بها يستحق الجائزة من الناحية الأدبية الصرفة ٠ لكن جدارة أعماله بالجائزة لا تضمن له وحدها الحصول عليها ٠ وهناك من يقول بأن فتح باب ترشيح الكتاب العربى ليس الا محاولة من السويد لرفع اسهمها فى العالم العربى ، ومن هنا تدخل الكثير من العوامل السياسية فى الاختيار والترشيح ٠ فلا يكفى أن يكون المرشح وجها أدبيا جيدا فى هذه الحالة ، بل لا بد أن يكون وجها عربيا جيدا فى الوقت نفسه ٠

والى جانب هذه الاعتبارات السياسية هناك اعتبارات أخرى ، فما أن اتجهت المناقشات الى اختيار أى من كتاب أمريكا اللاتينية الثلاثة للفوز بالجائزة حتى بدا واضحا أن هناك اتجاها لاستبعاد « بورجيز » لأنه قد تجاوز الثمانين ولن تفيده الجائزة فى شىء ٠ لكن هذا الاتجاه لم يلق قبول الجميع ، فقد كان هناك من يرون أنه أجدر الثلاثة بالجائزة ، ليس فقط لأهمية اسهاماته ، وعمق رؤاه ، وإصالة كشوفه الفنية والمضمونية على السواء ، ولكنه أيضا لأن الجميع يعتبرونه أبا لأدب أمريكا اللاتينية الحديث بأسره ٠ ولا ينكر كل من « باز » و « ماركيز » تأثرهما البالغ باستقصاءاته ، وكشوفه ، وعالمه الثرى الفريد ٠

واذا ما استبعد بورجينى ، فان احتمالات الفوز تنحصر بين « باز » و « ماركيز » ، وعند المفاضلة بينهما رجحت كفة « باز » فهو أكبر سنا من ماركيز ، كما أنه أقل شهرة منه ٠ فقد نجح ماركيز بالفعل فى اختراق حاجز الشهرة العالمية ، وترجمت رواياته منذ أواخر الستينات الى معظم لغات العالم ، وعرفه جميع المهتمين بالأدب ، من دارسين وقراء ، على أوسع نطاق ، ومن هنا فان الجائزة لن تضيف اليه شيئا ٠ أما « باز » فانه برغم قيمته الأدبية الكبيرة غير معروف خارج دائرة المتخصصين ، والمهتمين بآداب اللغة الأسبانية فى العالم ، وان كان واسع الشهرة بين الناطقين باللغة التى يبدع بها وفيها ٠

وما أن أعلن فوز « جابرييل جارسيا ماركيز » بالجائزة حتى أحس الجميع بأن الأكاديمية آثرت الاختيار المضمون والسهل · اذ اختارت كاتبا يعرف الجميع قيمته وأهمية أعماله حتى ترد الاعتبار للجائزة التى تزعزعت مكانتها فى عيون الكثيرين فى السنوات الأخيرة · اختارت كاتبا صغير السن نسبيا ، ولا يزال يواصل عطاءه فى خصوبة وتوقد ، ويحظى بينهما باحترام العالم وتقديره ، ويحظى بسبب مواقفه التقدمية والانسانية الرافضة لما فى واقع أمريكا اللاتينية من قهر وفساد وعفن باحترام شعوب المنطقة التى ينتمى اليها ، ويعبر عن أفضل ما فيها من رؤى وأشواق ·

فقد توحد اسم ماركيز منذ بداياته الأولى وعلى الأخص منذ ظهور رائعته الكبرى (مائة عام من العزلة) بحلم انسان أمريكا اللاتينية بالانعتاق من ربقة واقعه الوحشى الفظ · وبرؤى هذا الانسان الشعبية ، وابداعات عقله الجمعى ، وبعالم خبراته الدفينة وتصوراته التى طالما تاق الى بلورتها والافصاح عنها ، حتى أقبل جارسيا ماركيز ، فأبدع هذا المزيج الشعرى الخلاق من الفانتازيا والواقع ، حيث يختلط الخيالى بالواقعى ، وتمتاح الأساطير والخرافات فى نسيج الحياة اليومية ، وتحدث الغرائب والمعجزات فلا تثير دهشة أحد ، ربما لأن واقع الحياة فى هذا الجزء من العالم ، قد تجاوز أكثر الغرائب امعانا فى الغرابة ، وربما لأن عبثية الحياة قد أفقدت انسان هذا العالم حسه بالدهشة وبراءته · وربما لأن الكاتب يريد أن يتحدى بعالمه الخلاق الصورة الزائفة التى تطرحها السلطات الرسمية للواقع والتاريخ على السواء ·

فاذا كان باستطاعة السلطات الرسمية أن تقرر ما هو حقيقى ، وما هو زائف ، فان باستطاعته أيضا أن يفعل نفس الشىء ، ان يحرر نفسه من الأكاذيب الرسمية ، بخلق أكذوبته الجميلة الخاصة : بخلق عالمه الفنى الشائق الكثيف المعقد الذى ينطوى على مستويات عديدة للمعنى ، والذى تبدو خيالاته الجامحة ، وكأنها ليست الا نوعا من المبالغة المنطقية لواقع يستكن العبث فى جوهره · ولا تثير فيه أية دهشة أن تمطر السماء أزهارا صفراء ، أو أن يبعث الغجرى من الموت ليصادق أسرة بيونديا طوال مئة عام ، أو أن ينطوى مخطوط كتب بشفرة غريبة وباللغة السنسكريتية (اللغة الأم بالنسبة للغات الاوروبية ، واللغة السحر والرمز والعرافة) بكل ما دار فى واقع قرية ماكوندو الخيالية ، طوال الأعوام المئة التالية لكتابته بكل دقة وتفصيل · أو أن يصلب أهل هذه القرية المعزولة بمجموعة غريبة من الأوبئة والطواعين والظواهر الغريبة · كوباء الأرق الجماعى الغامض الذى يصيب الناس جميعا ويفقدهم الذاكرة او كطاعون الطيور الميتة أو تلك العاصفة المطرة التى تستمر لأربعة أعوام دونما توقف ·· هذا العالم الغريب الذى يلتهم فيه النمل الأطفال · ويدمر الاعصار البلدة ــ العالم باكملها · وتتبع فيه سحابات من الفراشات السيدة بيونديا ·· يبدو عندما نتأمله عن كثب أقل غرابة وأكثر جمالا وسحرا وعذوبة ، من واقع أمريكا اللاتينية المعاصرة الذى صدر عنه ، والذى ستتوجه اليه فى آن واحد ·

فروايات ماركيز وخاصة (مائة عام من العزلة) تدخل فى علاقة جدلية خلاقة مع تراث كولمبيا الشفهى ، ومع تراث أمريكا اللاتينية المكتوب ، فى الوقت نفسه ، وتخلق عبر هذا الجدل الخلاق عالما مناظرا للعالم الواقعى ، وان كان غير مفارق له · فهو عالم ملىء بشخصيات كشفت عنها حجب المستقبل ، وتتمتع ببصيرة نافذة ، ومع ذلك فهى عاجزة ازاء عبثية الواقع وبلادته ، ذلك الواقع الذى تثير فيه الهياج والاضطراب صرخة «حريق» فى حكاية ترويها أورسولا بيونديا ، عن حريق شهدته فى طفولتها الباكرة ، ولا تثيره الحرائق المندلعة أمام أعين الجميع فى الواقع ، والتى تحيل حياتهم الى هشيم ، وتقدد أرواحهم على نيرانها الهادئة ، الماحية للذاكرة ، وللروح ، وللانسانية معا ·

ولا أريد الاستسلام لاغراءات الحديث عن هذه الرواية الجميلة ، ولا عن أعمال ماركيز الأخرى التى لا تقل عنها عمقا وثراء ، لأننى فى هذا التقرير الوصفى أريد الاكتفاء بتسجيل ما شاهدته ، ولا أطمح الى تقديم دراسة عن ماركيز ، الذى يستحق بلا شك أن نتأمل انجازاته وكشوفه

الفنية والمضمونية . صحيح أن الكثيرين قد أحسوا – كما ذكرت من قبل – بأن الأكاديمية قد آثرت الخيار السهل والمضمون عندما اختارت ماركيز للجائزة هذا العام ، غير أن الجميع قد أجمعوا على جدارته بها ، وعلى أن الجائزة هى التى فازت به ، وقد بدا هذا واضحا فى احتفال تسليم الجائزة .

وقد تم هذا الاحتفال فى يوم الجمعة العاشر من شهر ديسمبر الماضى .. وعادة ما يتم تسليم الجائزة فى الجمعة الثانية من شهر ديسمبر ، ليصبح جزءا من احتفالات السويد بأعياد النور ، أو عيد القديسة لوسيا ، والذى يبدأ باحتفالات تسليم الجائزة يوم الجمعة ، ويستمر حتى صباح الاثنين التالى وطوال يومى السبت والأحد . وهى احتفالات طقسية جميلة توقد فيها – بلا أية مبالغة – ملايين الشموع فى مدينة استكهولم التى شهدت هذه الاحتفالات فيها ، فلا تجد نافذة واحدة فى أى مبنى الا وفيها شمعدانات توقد فيها الشموع ، منذ بداية الاسبوع ، وتستمر حتى أعياد الميلاد فى محاولة من هذا البلد البعيد لدرء الظلام الدامس الذى يهبط عليه منذ الساعة الواحدة بعد الظهر ، ويستمر حتى الساعة الثامنة أو التاسعة صباح اليوم التالى طوال فصل الشتاء .

وتبدأ احتفالات تسليم الجائزة فى قاعة الموسيقى الكبرى (وهى بيت فرقة استكهولم السيمفونية) حيث يقدم أحد أعضاء الاكاديمية العضو الفائز فى ايجاز ، يعرض فيه مبررات الفوز ، ثم يطلب منه أن يتقدم لتسلم جائزته من الملك ، ولا يتجاوز تقديم كل فائز أكثر من خمس دقائق ، ومن هنا فان مراسيم الحفل كلها لم تزد على نصف ساعة . وكان جابرييل جارسيا ماركيز متميزا بجلبابه الشعبى الأبيض وسط جمهور حاشد يغص به القاعة ، ويرتدى رجاله الحلل الرسمية السوداء . كان متميزا بين الفائزين الستة الآخرين والجمهور على السواء بوجهه الأسمر الهادىء ، وشاربه الكث ، وابتسامته الهادئة الواثقة المطمئنة ، وكأنه واحد من شخصيات كتابه الشهير (جنازات الأم الكبرى) وحيد ، معتز بنفسه ، يحاول أن يؤكد الحس بكرامته ، برغم كل الطقوس والافتعالات الرسمية التى أصابت بقية الفائزين بالجمود أو التوتر والاضطراب .

وتأكد انطلاق ماركيز وعفويته فى الحفل الذى أعقب مراسيم تسلم براءات الجائزة والذى برهن فيه ماركيز على أن الجائزة هى التى فازت به . وهذا الحفل فى العادة هو حفل عشاء كبير على شرف الفائزين يتم فى قاعة محافظة استكهولم ، ويدعى اليه عدد كبير من الفائزين السابقين والشخصيات الرسمية والشعبية ،والممثلين لمختلف قطاعات الشعب السويدى وعلى الأخص طلابه ودارسيه وجامعاته . لأنه حفل يدعى اليه ١٨٠٠ شخص ، يتناولون عشاء فاخرا ، يبدأ الطبق الأول فيه فى الساعة السابعة ويقدم الطبق الأخير فيه حوالى العاشرة . وعادة ما يعقب العشاء – كما قيل لى – رقص وموسيقى حتى منتصف الليل ، أو بعده بقليل .

لكن ما حدث هذا العام كان شيئا فريدا . اذ أتى ماركيز معه بمائة وثلاثين عارضا ، وراقصا ، وموسيقيا ، ومغنيا ، من خيرة فنانى أمريكا اللاتينية ، أخذ هؤلاء العارضون بملابسهم الزاهية ، وشخصياتهم المتفجرة بالحيوية والتدفق، وفنهم الجميل يقدمون رقصهم وموسيقاهم وأغانيهم عندما اقترب العشاء من نهايته ، فشدوا انتباه الجميع ، وخسفت شمس عرضهم الساطعة تقليدية الفرقة الموسيقية التى كانت تعزف فى قاعة الرقص المجاورة ، والتى كان مفروضا أن ينتقل اليها الجميع بعد العشاء كالعادة . وانتصف الليل ، وتجاوزت الساعة الواحدة ، ومعظم المدعوين لا يزالون على مقاعدهم فى قاعة الطعام ،

وما أن انتهى عرض هؤلاء الفنانين حتى انتهت احتفالات الجائزة التى سيطروا عليها بحضورهم القوى ، وفنهم الممتع الذى يحمل فى ثناياه الكثير من تراث أمريكا اللاتينية الشعبى . أو بالأحرى . بدأت الاحتفالات بأعياد النور السويدية ، بتلك الدفقة الحارة من الضوء الألاق الذى جاء به جابرييل جارسيا ماركيز ، الى هذا البلد البعيد الذى تكاثفت من حوله ظلمات العزلة ، فاستقدم اليه طلائع النور من عباقرة العالم ومبدعيه ، ولو لأيام قليلة كل عام حتى يدرأ بهم عن نفسه العزلة والوحشة والظلام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

روائي الربع الأخير من القرن

يفوز بجائزة نوبل

■ علي شلش

في عام ١٩٧٨ أهداني صديق أمريكي كتابا أنيقا كان قد ترجم الى الانجليزية لتوه، وأوصاني بقراءته. وشفع توصيته بتعليق نقدي قال فيه ان مؤلف الكتاب سيكون روائي الربع الباقي من هذا القرن بلا منافس!

والامر ما لم اعمل بتوصية الصديق. فقد شغلت عن الكتاب فترة، وربما صدني عنه احساس نفسي مضاد لمثل هذه التعليقات. ومع مرور الوقت وكثرة الأسفار والتنقلات راح مؤلف الكتاب يعترض طريقي في المكتبات والاذاعات والصحف، مرة باسمه على أغلفة روايات أو قصص أخرى له، ومرة بصوته في مقابلات اذيعت في أمريكا وانجلترا، ومرة ثالثة بصورته ضمن مقالة عنه أو مقابلة معه في صحيفة او مجلة. ومن هذه المقابلات استوقفتني مقابلة داخل تحقيق صحفي عنه نشرتها «مجلة التلغراف» الاسبوعية التي تصدر وتوزع يوم الأحد مع العدد الأسبوعي من صحيفة «ديلي تلجراف» الانجليزية.

اما كاتب التحقيق ومدير المقابلة فهو أحد محرري الصحيفة ويدعى جون آرثر. واما ذلك الرجل الذي اعترض طريقي كثيرا في السنوات القليلة الماضية فهو جابرييل جارثيا ماركيث (كما ينطق في لغته) واذا بدا اسمه غريبا على القارئ العربي فليس هذا ذنبه، وانما هو ذنب تخلفنا عن مواكبة ما يحدث على خريطة العالم الأدبي من تغيرات وتحركات دائمة.

وماركيث كاتب قصصي وروائي من أبناء بلد صغير يقع على الأطراف الشمالية الغربية لأمريكا اللاتينية، ويشتهر بالبن والموز والاضطرابات السياسية، هو كولومبيا. ومعنى ذلك أن ماركيث يكتب بالأسبانية التي يكتب بها كل أبناء أمريكا اللاتينية باستثناء البرازيل. ومع هذا فقد ترجمت رواياته وقصصه الى ٣٢ لغة حتى الآن، وبيع من احدى رواياته وهي «مائة عام من الوحدة» عشرة ملايين نسخة منذ نشرت لأول مرة عام ١٩٦٧، ومنحته جامعة كولومبيا الأمريكية درجة الدكتوراه الفخرية تقديرا لموهبته وامتيازه في هذه الرواية بالذات. وأصبح يرشح سنويا منذ خمسة أعوام لنيل جائزة نوبل في الآداب حتى انقادت اليه أخيرا!

قال عنه الروائي الناقد الانجليزي ف. س. بريتشت: «انه أستاذ في نسج ما هو حقيقي بما يمكن حدسه. تبهرك على الفور طاقته الوصفية. أما نثره فعادي دقيق بارع نابض بالحياة سهل القفز الى المضحك والمرح» ووصف شاعر شيلي الراحل بابلو نيرودا الذي نال الجائزة أيضا روايته «مائة عام من الوحدة» بقوله: «لعلها أعظم مفاجأة في اللغة الأسبانية منذ ظهور رواية «دون كيخوته لسرفانتيس».

جده وجدته صاحبا رأسماله:

ولد ماركيث عام ١٩٢٨ في بلدة صغيرة تدعى «أراكاتكا» تقع جنوب منطقة المستنقعات الكبرى على ساحل البحر الكاريبي. ورباه جداه لأمه

اللذان عاشا مستغرقين فى ماضيهما الحافل . وحتى سن الثامنة كان قد تشرب ذلك الماضى بأمجاده الساذجة وخرافاته . يقول عن طفولته : « ان أبعد ذكرى فى ذهنى هى أننى كنت ألعب ذات أصيل فى فناء منزل جدى حين ذكر أحدهم أن جسدا مقطوع الرأس قد عثر عليه فى البلدة . كنت فى الثالثة أو الرابعة . وأذكر أننى عدوت فى الشارع الى حيث نقل الجسد ، ولكن أملى فى رؤيته خاب . فقد كان مغطى بالخرق . وكانت زوجة صاحبه تتمشى بالقرب منه وهى تحمل رأسه المقطوع . وكان من الواضح أن خنجرا حز الرأس فى خناقة » . واذا صح هنا ما يقوله الروائى الانجليزى جراهام جرين من أن « فترة الطفولة هى رأسمال الكاتب » فان طفولة ماركيث كانت غنية جدا ، وهذا ما تعكسه رواياته وقصصه القصيرة . وهو نفسه يقول عن طفولته التى قضاها فى أحضان جديه : » كنت أشارك جدتى لغة واحدة قوامها الخرافات والحكايات السحرية والتنبؤات ... وهذا العالم هو أساس كل كتبى « أما جده لأبيه العقيد نيكولاس ماركيث اجواران فقد اشترك فى حرب « الألف يوم » الأهلية التى شبت فى كولومبيا فى بداية هذا القرن بين الليبراليين والمحافظين . وهى حرب تركت فى ذهن الرجل العجوز رصيدا كبيرا من الذكريات والصور عاش عليه الحفيد فى طفولته . يقول : « ان الحقائق والاسماء والاشياء الاخرى التى أذكرها فى كثير من قصصى لا تنتمى للحقيقة التاريخية ، ولكنها تنتمى للقصص التى رواها لى جدى . وأحيانا تفصل الحقيقة عن الواقع . »

كان جده هذا يعيش فى بيت كبير من الخشب مسقوف بالحديد يقول عنه ماركيث : « كان بيتا كبيرا يعج بالناس دائما . وكان لجدى ١٧ ابنا ينتشرون فى المكان ، وقد ظلوا جميعا يترددون على البيت ويركبون الحمير وينامون في أسرة معلقة. كذلك كان عندنا بيت للغرباء . وكان القطار يصل الى البلدة فى الحادية عشرة من صباح كل يوم فتقول جدتى « هيا . لابد أن نعد اللحم والسمك لأننا لا نعرف من سيأتى وماذا يحب » ومع ذلك يروى ماركيث انه كان يشعر بالوحدة داخل هذا الضجيج والزحام . وكانت نسوة البيت يغرسن فيه الخوف منذ البداية ، ويخفنه بالموت كلما تحرك أو خرج عن طوعهن . وارتبط الموت عنده بالليل والظلام اللذين ظل يخشاهما حتى اليوم فاذا أقام وحيدا فى فندق استيقظ فى منتصف الليل وهو يشعر بالرعب والفزع من الظلام . وكانت البلدة زمن طفولته قد بلغت أوج تجارتها فى الموز ولذلك كانت مقصد الأجانب من كل جنس ، فضلا عن الحواة وآكلى النار الذين يترددون عليها للتسرية عن زائريها . وكانت عطلة نهاية الاسبوع تشهد « موالد » يختلط فيها الحابل بالنابل ثم يطلع صباح الاثنين على الشوارع وقد تناثر فيها الجرحى والقتلى !

وفى سن الثامنة غادر ماركيث البلدة ليدرس فى مدرسة « الليسيوناثيونال » وهى مدرسة داخلية بالقرب من العاصمة « بوجوتا » حيث طرأ عليه أكبر تغير فى حياته كما يقول : « كان ذلك أشبه بالموت لأنى فقدت بلدتى وأهلى وأسرتى — بل فقدت أسلوبى فى التصرف وثقافتى الكاريبية. وشعرت بأنى أجنبى » ولكنه ما لبث — وهو بعد تلميذ صغير — ان تعلق بالكتابة ، وقرر ان يكون كاتبا . ولما كان أبوه قد نصحه بدراسة القانون فى الجامعة فقد لبى النصح ليدخل السرور على قلب أبيه ، وفى الوقت نفسه ليكتب بعد انتهاء اليوم الدراسى . يقول : « ذات يوم نشر رئيس تحرير مجلة « السبكتادور » مقالا قال فيه ان الجيل الجديد من الأدباء تافه فأرسلت اليه قصة كنت قد فرغت من كتابتها فنشرها ، وكان ذلك بداية حياتى الأدبية » .

بين الصحافة والمنفى :

كانت الأربعينيات والخمسينيات فترة اضطراب سياسى عنيف فى كولومبيا راح ضحيتها نحو ١٠٠ ألف نسمة ، وعند ذاك شعر ماركيث بالحنين الى ساحل الكاريبى بعد أن فقد كثيرا من ممتلكاته ولا سيما قصصه وآلته الكاتبة ، فرحل الى مدينة قرطاجة الاسبانية على الساحل الكاريبى حيث عمل صحفيا . وفى الوقت ذاته أمدته تلك الفترة فيما بعد بمادة روايته « خريف البطريرك » التى أرخ فيها لحياة أحد الطغاة بمنطقة الكاريبى . وفى هذه الرواية الكبيرة ينزل السرد على القارىء نزول السيل ، فليس ثمة فصول أو مشاهد ، وانما كل ما فيها بضع فقرات طويلة متصلة وقليل من علامات الترقيم . « انها — كما يقول — الكتاب الوحيد الذى لم أعش خلاله . ومع ذلك فهو أكثر كتبى صلة بالسيرة الذاتية . اذ أتحدث عن المشاعر والجنون والأفكار والخرافات والحنين — وكلها خصائص شخصية تمت الى ولكنى نسبتها للبطريرك . وطبيعى أننى لا أعرف شيئا عن السلطة ، ولكن السلطة والشهرة متماثلتان » .

وبعد هدوء الاضطراب الذى شمل بلاده عاد ماركيث الى بوجوتا ليعمل مخبرا صحفيا فى

« السبكتادور » ، ولكنه ما لبث أن كتب موضوعا أثار عليه غضب الحكومة ، فقررت المجلة ايفاده الى أوربا ليراسلها من هناك . وكانت روما أول محطة أوربية يتوقف فيها ، حيث راقت له دراسة السينما . ثم انتقل الى باريس وعند ذاك أغلقت الحكومة المجلة التى جاء لمراسلتها . وكان لا مفر أمامه من الصعلكة فى مواجهة الضنك ، فعاش فى فقر مدقع . وفى « ساعة النحس » هذه ـ كما يقول ـ كتب مجموعته القصصية « لا أحد يكتب الى العقيد » ، كانما ليتذكر جده والأيام الحوالى التى قضاها فى بلدته الصغيرة .

لم يلبث ماركيث طويلا في باريس فشد رحاله الى جارة بلاده .. فنزويلا حيث قضى بها عامين عاد بعدهما الى بوجوتا فانشا وكالة أنباء لكاسترو . ثم انتقل مرة أخرى الى هافانا ولكنه ضاق بها فرحل مرة أخرى الى نيويورك . وفى تلك الأثناء نشبت أزمة خليج الخنازير الكوبية فسحبت كوبا تاشيرته واضطر الى الرحيل الى المكسيك حيث عاش فى عاصمتها «نيو مكسيكو» وكتب روايته النادرة «. مائة عام من الوحدة » وفيها تألقت موهبته كروائى صقلته تجارب الحياة ومحنها . والرواية ملحمة عصرية تروى قصة ستة أجيال متتالية تنتمى كلها لأسرة بوينديا وتشبه فى اطارها سفر التكوين . وفيها أيضا تتدفق بلدة صغيرة هى ذاتها مقر أحداث مجموعته القصصية السابقة ، وتظهر من العدم شيئا فشيئا حتى يصيبها البوار والخراب بالعدم مرة أخرى . ويمتزج واقعها بالخيال امتزاجا عجيبا فترى قسا من قسسها يسبح فى الهواء كلما شرب كوبا من الكاكاو الساخن ، ورجلا غريب الأطوار يتعقب الفراشات بلا كلل ، وأمطارا تهطل طوال أربع سنوات وأحد عشر أسبوعا ويومين ، وأناسا يعمرون فى الأرض كما عمر نوح عليه السلام ، وفتاة تصعد الى السماء كما صعد المسيح !

وعند ظهور هذه الرواية عام ١٩٦٧ كان ماركيث قد رحل الى برشلونة فى أسبانيا حيث اقام فترة ثم غادرها الى فيتنام ليكتب عن تجربتها فى الحرب . وكان قد تزوج قبل ذلك بسنوات وانجب ولدين أحدهما (٢١ سنة) يدرس التاريخ بجامعة هارفارد الأمريكية والآخر (١٩ سنة) يدرس الفلوت ويعزفه فى باريس .

واليوم يعيش ماركيث منذ سنوات مع زوجته فى حى ثرى من أحياء نيومكسيكو وقد تفرغ نهائيا للكتابة . وهو فى صوره الأخيرة التى تنشرها الصحف العالمية يبدو ربعة ممتلىء الجسم عريض المنكبين . ويقول صاحب التحقيق الانجليزى انه أيضا مبتسم دائما دافىء الصوت يشد بقوة على يد مصافحه . وغرفة مكتبه منفصلة عن البيت الذى يعيش فيه وقد جهزها بحرارة خاصة لا تفارق الدرجة ٢٨ طوال العام ، وهى الدرجة التى ولد وتربى فى ظلها . وعند الكتابة يرتدى زيا خاصا بسيطا مكونا من « بدلة » عامل غامقة الزرقة ، ويجلس الى مكتب يشبه مكاتب رجال الأعمال وحوله كتبه وآلته الكاتبة وعلى الجدران صوره مع كتاب المكسيك وأسرته وكاسترو . وفى هذه الصومعة يقضى ماركيث ست ساعات بمفرده يوميا قبل أن يتناول غداءه متأخرا (بالقياس الى أوربا وأمريكا بالطبع) فى الوقت الذى تتولى فيه زوجته تصريف شئون البيت والمطبخ والرد على التليفون . وبعد الغداء ينام ماركيث كما هى العادة فى دول أمريكا اللاتينية والعالم الثالث بوجه عام قبل أن يقضى أمسياته مع أصدقائه . ولكنه يحب تجنب الصحفيين ، ويخشى العودة الى بوجوتا لأنه يخشى الاختطاف . يقول : « انهم يخطفون الكلاب فى كولومبيا لأنهم أصبحوا فى حالة يأس شديد » ! ومع ذلك فقد أعلن بعد حصوله على الجائزة أنه سيعود الى بوجوتا بعد أن تغيرت الأوضاع مؤخرا الى حد ما ، وأنه سينشىء صحيفة هناك .

وماركيث بعد هذا كله يعانى من الشهرة ويعتقد أنه كلما ازدادت شهرة الكاتب جنى ذلك على كتابته وأصبحت صعبة . ويقول : « من الصعب أن تزول من ذهنى حقيقة أن كل كلمة واحدة أكتبها تتوجه الى عدد متزايد من القراء . لقد كنت أحب أن ينشر انتاجى كله بعد وفاتى ـ وعندئذ كان سيتاح لى الوقت لأكتب كل كتبى دون أن أقلق عليها .

لا أحد يكتب الى العقيد :

هذه صورة عامة للروائى والقاص الذى قيل لى يوما انه سيهيمن على السنوات الباقية من القرن . وهذا ما يجعلنى أعود الى ذلك الكتاب الذى أهديت اياه وشغلت عنه .. انه هو نفسه المجموعة القصصية « لا أحد يكتب الى العقيد » . وتتضمن المجموعة رواية قصيرة تحمل عنوان الكتاب كما تتضمن بضع قصص قصيرة تحت عنوان شامل هو « جنازة جدتى » ، ترجمها كلها الى الانجليزية جريجورى راباصا الذى تخصص فى نقل أعماله الى الانجليزية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتبدا الرواية القصيرة بالعقيد المتقاعد وهو يعد لنفسه القهوة فى احدى أمسيات اكتوبر ·· شهر الشتاء والجو الممطر الرطب الملبد بالغيوم وطوال ما يقرب من ستين عاما ـ منذ نهاية الحرب الأهلية الأخيرة (فى مطلع القرن) ـ لم يفعل العقيد شيئا سوى الانتظار · وكان شهر اكتوبر أحد الأشياء القليلة التى وصلت · والى جوار العقيد ترقد زوجته فى سريرها ذى الناموسية وهى تثرثر معه وعلامات الاجهاد بادية على وجهها وتنفسها متحشرج · وفجأة تدق أجراس الكنيسة فى الخارج مؤذنة بجنازة واحد من شباب القرية كان العقيد قد نسيها لفرط انشغاله بانتظار أشياء أخرى · ومن خلال حديث الزوجين العجوزين نعرف أن الشاب ولد عام ١٩٢٢ بعد شهر من مولد ابنهما الوحيد ·· أوغسطين الذى قتل برصاصة شرطى بدعوى أنه قام بتوزيع منشورات سرية فى مصارعة الديكة فى البلدة !

وينهض العقيد من فراشه المعلق وزوجته تعاتبه على اهماله ارتداء الجوارب وقت النوم اتقاء للبرد · ولولا قرع الأجراس المتصل لعاد من فوره والتف بطانيته ونام · انه ينهض فيتذكر ذلك الديك الذى ربط رجله الى السرير ·· كان ديكا من ديوك المصارعة رباه ابنهما القتيل ·

يتحرك العقيد فى البيت الفقير المكون من غرفة نوم ضيقة وغرفة جلوس أوسع قليلا تضم أربعة مقاعد تهتز بالجالس عليها ، وساعة حائط ولوحة زيتية تمثل امرأة ترتدي ملابس شفافة ويحيط بها كيوبيد فى قارب من الزهور · ويملأ الرجل العجوز ساعة الحائط التى تشير الى السابعة ثم يتناول الديك فينقله الى المطبخ ويربط رجله الى الموقد ويضع أمامه ماء فى صفيحة وقليلا من الأذرة · وسرعان ما يأتى الى فناء البيت بعض الأطفال فيخترقون فجوة فى جدران المطبخ ويجلسون حول الديك يرقبونه فى صمت حتى ينهرهم العقيد ثم يدخل غرفة النوم فيرتدى سترته السوداء التى سيحضر بها الجنازة · ثم تشرع الزوجة فى حديث محزن عن ابنهما القتيل الذى لابد قد التقى فى رحاب الله عندئذ بالشاب الميت .!

قالت الزوجة : لابد أنه التقى بأوغسطين · ربما لا يذكر له شيئا عما أصابنا منذ وفاته ·

وقال العقيد : لعلهما يتحدثان فى هذه اللحظة عن الديكة ،

ويبحث العقيد عن مظلة تقيه المطر فيعثر على مظلته القديمة التى فازت بها زوجته ذات يوم فى حفل جمع تبرعات لاقامة حفل تكريم له · ولكنه يجد المظلة قد تهرأت ولم يبق منها سوى الأسلاك · ويتناول موسى فيحلق ذقنه باللمس نظرا لعدم وجود مرآة بالبيت ، ويرتدى ملابسه الرثة فى صمت ، ولكنه لا يغادر البيت قبل التاسعة حين يصفو الجو · ويخرج مهندما بارز عظم الوجنتين وعيناه تشعان بريقا · ويشق طريقه الى أحد أطراف البلدة حيث منزل الميت · وفى الطريق يستوقفه أحد معارفه ويعرض عليه اعارته مظلته ولكنه يشكره ويمضى حيث يلتقى فى منزل الميت دساباز اشبين ابنه القتيل والزعيم السياسى الذى هجر السياسة فيثرثران حول الديك وأحواله وثمنه !

وبعد الفراغ من الجنازة قبل حلول موعد حظر التجول فى البلدة فى الحادية عشرة يعود العقيد الى بيته فيلزمه قرابة أسبوع لا يخرج خلاله ، متعللا برداءة الجو ومشدودا الى فراشه وزوجته وديكه · وبعد ظهر يوم الجمعة التالية جاءه زملاء أوغسطين الذين كانوا يعملون معه فى محل الترزى ، جاءوا لينظروا الى الديك ويطمئنوا الى صلاحيته لمباراة المصارعة القادمة · فهم قد ادخروا بعض المال للمراهنة عليه يوم المباراة · ولكن زوجة العقيد تسخر منه ومن الديك معا وتقول :

« عندما تنفد الأذرة سيكون علينا أن نطعمه كبدينا ! »

ويرد عليها العقيد قائلا :

« أمامنا بضعة أشهر ، فنحن نعرف الآن أن مباريات المصارعة ستنظم فى شهر يناير وعندئذ نبيعه بثمن أعلى » ·

وكان زملاء الابن القتيل قد قدروا الديك بخمسين بيزيته أى ما يوازى خمسة جنيهات · وعندئذ يقرر العقيد الخروج وهو يتعجل زوجته كى تكوى بنطلونه فتقول :

« آه · نسيت أن اليوم الجمعة » ·

كان يوم الجمعة هو اليوم المخصص لخروجه الاسبوعى ، وهو أيضا اليوم الذى يجمع فيه خطاباته من مكتب البريد فى البلدة · وقد مضى عليه الآن خمسة عشر عاما ظل طوالها يخرج كل أسبوع منذ أحيل الى الاستيداع · وطوال هذه السنين ظل ينتظر خطابا من ادارة المعاشات بالموافقة على تقرير معاش له ولكن دون جدوى ·

وحين تصل عربة طرود البريد الى المكتب فى ذلك اليوم ويتم تفريغها يتأكد العقيد ان شيئا لم يصل · وعندئذ يقول له ناظر المكتب : « لا شىء اليوم يا عقيد » فيرد العقيد بكبرياء : « لم أكن أنتظر أى شىء » ·

العالم ·· فاسد

وفى تلك اللحظة يقع بصره على طبيب البلدة المعالج لزوجته بالأجل فيسأله : « ماذا فى الأنباء ؟ » ويناوله الطبيب بضع صحف قائلا : « لا أحد يدرى · فمن الصعب أن نقرأ ما بين السطور التى أفلتت من يد الرقيب » ويبدأ العقيد فى قراءة العناوين الكبيرة فيجدها كلها مرتبطة بأخبار دولية · وعلى رأس احدى الصحف يجد تقريرا عن قناة السويس وأسفله اعلانات للوفيات شغلت معظم مساحة الصفحة الأولى · ويتساءل العقيد : « أليس هناك أمل فى الانتخابات ؟ » فيجيب الطبيب : « لا تكن ساذجا يا حضرة العقيد · لقد كبرنا الآن على انتظار المسيح » ·

ويعود العقيد الى البيت ، وبعد السابعة مساء تدق أجراس الكنيسة معلنة تصنيفات الرقابة على الأفلام فى دار السينما الوحيدة بالبلدة ، وتحصى زوجته اثنتى عشرة دقة للأجراس ومعناها ان الافلام لا تصلح لأحد فتعلق : « لقد مضى علينا عام الآن والأفلام لا تصلح لأحد » · ثم تدلى الناموسية على السرير وتجمجم « ان العالم فاسد » فلا يعلق العقيد !

وهكذا تمضى الايام بالعقيد وزوجته وبلدته معا ·· لا شىء يهم · فكل شىء خامد آسن · وفى كل يوم جمعة يخرج العقيد بحثا عن الخطاب كعادته فلا يجده · وفى كل يوم تتناقص نقوده وتنفق على طعام الزوجين العجوزين وديكهما · ولم يعد بالبلدة احد على صلة به بعد أن قتل زملاؤه أو نفوا وتحول هو الى رجل لا عمل له الا انتظار البريد · لقد عاش تسعة أشهر حتى الآن على ثمن بيع ماكينة الخياطة التى كان يملكها ابنه القتيل ولم يبق معه سوى قطعتين من فئة العشرين قرشا وقطعة من فئة العشرة قروش · وهو لا يخرج الا لاحضار ما يؤكل له أو لزوجته أو للديك · ولم يعد فى البيت ما يباع الا الساعة واللوحة · وكلما شكت زوجته قال لها : « لا تقلقى · سيأتى البريد ·· غدا أو بعد غد أو يوم الجمعة !

وذات يوم يقرأ العقيد الصحف التى جاءت للطبيب فيقول له : « كلما حلت الرقابة خرست الصحف عن كل شىء ما عدا الحديث عن أوربا · وافضل شىء للاوربيين أن يأتوا الى هنا وأن نذهب نحن الى أوربا · وبهذا يستطيع كل منا أن يعرف ما يدور فى بلده ! » وقال الطبيب : « ان أمريكا الجنوبية بالنسبة للاوربيين عبارة عن رجل ذى شوارب وقيثارات وبندقية · انهم لا يفهمون المشكلة » ·

وذات يوم أيضا بعد أن يتم ناظر البريد فحص عناوين الخطابات التى تلقاها المكتب يطلق عبارة تصير مثلا فى البلدة كلها : « لا أحد يكتب الى العقيد » · ويومها يتلقى العقيد العبارة فى أسى وكبرياء ثم ينسحب عائدا الى بيته فى هدوء · وحين يبلغ زوجته بما حدث تزيد فى تقريعه والسخرية من صبره الطويل · فقبل تسعة عشر عاما كان مجلس الشيوخ فى البلاد قد أصدر قانونا بمعاشات للمحاربين القدماء ، واستطاع العقيد وقتها أن يثبت حقه فى ثمانى سنوات من الخدمة ثم زاد عليها ست سنوات أخرى حتى يتم ادراج اسمه فى القوائم · وكان خطاب ادراج اسمه هو آخر خطاب تلقاه وبعدها خرس الجميع عنه ·

جفت بشرته من الانتظار :

وحين يفكر فى تغيير محاميه بمحام آخر حتى يجد له مخرجا يقول له الأول : « لقد تغير المسئولون كثيرا فى الخمس عشرة سنة الأخيرة · فكر فى هذا · لقد جاء سبعة رؤساء للجمهورية ، وكل رئيس غير وزارته عشر مرات على الأقل ، وكل وزير غير هيئة مكتبه مئات المرات على الأقل » ومع ذلك لا يفقد العقيد أمله ولا ييأس من الانتظار فيكتب شكوى جديدة للمسئولين ، غير ملق بالا الى زوجته التى تتألم بعد أن اعتزلت الحياة ومضى على آخر فيلم شاهدته أكثر من عشرين عاما !

لقد جفت بشرة العقيد من الانتظار وتصلبت عظامه وآلمته · وفى النصف الثانى من نوفمبر ، أى بعد شهر ونصف تقريبا اعتقد أن الديك لا محالة هالك من الجوع ، ولكنه راح يمنى نفسه بأن المباراة بقى على اقامتها شهران ، أما زوجته فيزداد كرهها للديك وتعتقد أنه وراء موت ابنهما · « فلو لبث فى البيت يوم ٣ يناير ولم يذهب الى مباراة المصارعة لما حانت ساعة نحسه » ·

وأمام الاضطرار يحاول العقيد أن يبيع الساعة ويخرج بها بالفعل ولكنه يعود بها مرة أخرى دون أن يجرؤ على مواجهة موقف البيع · بل

يحاول أن يسم الديك نفسه في النهاية ، ولكنه يتخاذل فى كل مرة يذهب فيها الى « ساباز » الذى وعده بثمن مرتفع (تسعة جنيهات) · وذات مرة يجرؤ على طلب الثمن فينزله ساباز الى أربعة جنيهات وعندئذ يوافق العقيد ويعود بالنقود على أن يسلم الديك بعد عودة المشترى من سفر قصير · ويشترى العقيد طعاما وتشترى له زوجته حذاء جديدا وطعاما للديك ومرآة !

يقول العقيد للطبيب الذى ينكر بيع الديك : « لم أستطع ان أفعل شيئا آخر · هذا الحيوان يعيش على جسدينا » فيقول له الطبيب ، « انما الحيوان الوحيد الذى يعيش على أجساد بشرية هو ساباز · انى واثق من أنه سيبيع الديك بتسعة جنيهات » · ويحاول العقيد تصديق ما سمع ولكن الشك والحاجة يهدئان من روعه ·

وبعد أيام يفاجأ العقيد وهو يمر على مكتب البريد بالديك وسط حلبة المصارعة · كان يقف وحيدا عاجزا أمام خصم متوحش · وكان زملاء أوغسطين قد جاءوا الى البيت فى غيابه فأخذوا الديك لتمرينه على المبارزة · وعندئـــذ ينقض العقيد على الديك ويحمله تحت ابطه ويعود به الى البيت حيث يحاسب زوجته على اهمالها ولكنها تقول ان الفتية هددوها وزعموا أن الديك ملك للبلدة كلهـــا لا للعقيد ولا لزوجته فحسب · وعندئذ يعلق العقيد فى هدوء قائلا : « لقد كانوا على حق » ثم يعبث فى جيوبه ويضـــيف قائلا بشىء من الرضا : « الديك ليس للبيع » ويحاول احصاء ما تبقى معه من مال ويقرر اعادة النقود الى ساباز وأن يمهله لسداد ما أنفقه منها · كما يقرر اعادة الحذاء الجديد الى البائع ·· هكذا فى هدوء شديد وكأنه أدرك جرمه فجأة · ثم يدور بينه وبين زوجته الحوار التالى :

- لن يطول الوقت الآن على مجىء المعاش ·
- ولكنك تقول هذا طوال خمس عشرة سنه
- هذا هو سبب أن الوقت لن يطول الآن ·
- عندى انطباع بأن النقود لن تصل !
- بل ستصل ·
- واذا لم تصل ؟

عندئذ لا يجيب العقيد · ويتحشرج صوته ثم يغفو · وتظل زوجته تتكلم وتتكلم شـــارحة المأساة من أولها ، موبخة العقيد على تكاسله وخياله الغريب · وراح هو يحلم بالساعة الثالثة من يوم ٢٠ يناير وحلبة المصـــارعة والديك الفـــائز والمراهنات التى ستنهال عليه وما سيعود عليه هو نفسه من أموال !

ولا تكف الزوجة عن تقريعه طوال الليل وهى تقول :

- ولكن ماذا يحدث اذا خسر الديك ؟ الم يخطر ببالك أن الديك قد يخسر ؟
- انه الديك الذى لا يمكن أن يخسر !
- ولكن افترض أنه خسر ·
- عندئذ يكون امامنا اربعة وأربعون يوما لنبدأ فى التفكير فى ذلك ·

وينفد صبر المرأة فتتساءل : « وفى أثناء ذلك ماذا سنأكل ؟ » وتمسك العقيد من ياقة قميصه وتشرع فى هزه بعنف وهو متمدد فى سريره · ويختم ماركيث القصة بقوله : « لم يحدث طوال خمســـة وسبعين عاما ـ عاشها العقيد دقيـــقة بدقيقة ـ أن وصل الى هذه اللحظة · لقد شعر بأنه خالى البال ، واضح ، لايغلب ، لحظة أن أجاب عن سؤال زوجته السابق بقوله : « كلام فارغ » ·

وهكذا تنتهى هذه القصة التى تصور حال قارة بأكملها هى أمريكا الجنوبية ، وما آلت اليه من تدهور وطغيان وخرافات وفقر ، وانتظار مشوب بالأمل بالرغم من كل شىء ، ومختلف عن انتظار جودو الفاقد لكل شىء ·

رابع الفائزين بنوبل فى قارته :

لقد ذكرت اللجنة المشرفة على جائزة نوبل فى تقريرها عن ماركيث انه يستحق الجائزة لموهبته القصصية المسيطرة وما تتضمنه رواياته وقصصه من تصوير لحياة قارة بأسرها وما يكتنف هـــذه الحياة من صراعات ، وكذلك لما يبديه من التزام نحو الفقراء والضعفاء · وبذلك يكون ماركيث رابع أديب ينال هذه الجائزة من أمريكا الجنوبية بعد الشاعر الشيلى جابريل ميسترال (١٩٤٥) والروائى الجواتيمالى ميجيـــل أنجل اســـتورياس (١٩٦٧) والشاعر الشيلى أيضا بابلو نيرودا (١٩٧١) ·

ولكن الشىء الذى لم تذكره اللجنة المشرفة على جائزة نوبل فى تقريرها عن ماركيث أنه أكثر موهبة وأعمق فنا من كثير ممن منحوا الجائزة فى السنين الأخيرة ، وهذا ما أشار اليه أكثر من ناقد وقارىء · وقد قال الرئيس الفرنسى ميتران فى برقيـــة تهنئـــة الى ماركيث بالجائزة : « أحيى ـ بحب ـ الروائى الذى استولى على خيال الناس فى العالم » ! ·

لا شك ـ بعد هذا كله ـ ان ماركيث من اهم الأصوات الروائية اليوم فى العالم ، ان لم يكن أهمها ، فى هذا الربع الباقى من القرن ·

جارثيا ماركيز

قيلولة الثلاثاء

■ ترجمة : عبد الحكيم فهيم

خرج القطار من نفق الصخور الرملية وراح ينطلق عبر مزارع الموز المتماثلة واللامتناهية .. وأصبح الهواء محملا بالرطوبة ولم تعودا قادرتين على الاحساس بنسيم البحر ..

وتسربت هبة خانقة من الدخان عبر نافذة عربة القطار .. وعلى الطريق الضيقة الموازية لشريط السكة الحديدية .. كانت هناك عربات تجرها الثيران وهي محملة بسباط الموز الخضراء .. والى جوار الطريق وفي مواضع غير مزروعة كانت تقوم مكاتب بها مرواح كهربائية ومبان مشيدة من الطوب الأحمر .. ومساكن بها مقاعد ومناضد بيضاء تتناثر في شرفات وممرات تحف بها أشجار نخيل وأزهار يعلوها التراب .

كانت الساعة الحادية عشرة صباحا .. ولم تكن وقدة الحر قد بدأت بعد ..

— « من الأفضل أن تغلقي النافذة » .. قالت المرأة لابنتها وأضافت :

ان شعرك لن يلبث أن يمتلىء بالسناج « الهباب » .

وحاولت الفتاة اغلاق النافذة لكنها أبت أن تتحرك بسبب الصدأ .

كانت المرأة والفتاة هما الراكبان الوحيدان في عربة الدرجة الثالثة الوحيدة .. ومع استمرار دخان القاطرة في التدفق عبر النافذة تركت الفتاة مقعدها ووضعت الأشياء البسيطة التي تحملانها في سلة من البلاستيك بها بعض الأطعمة وباقة من الزهور ملفوفة في صحيفة .

واتخذت الفتاة مجلسها على المقعد المقابل بعيدا عن النافذة وفي مواجهة والدتها . كانتا ترتديان ملابس حداد خشنة رخيصة .

كانت الفتاة في الثانية عشرة .. وكانت تلك أول مرة تستقل فيها قطارا .

أما المرأة فكانت تبدو أكبر من أن تكون امها بسبب الأوردة الزرقاء فوق جفونها وجسمها الصغير الدقيق غير المتسق في ثوب يبدو مثل رداء قسيس .

وكانت الأم تجلس منتصبة يلتصق ظهرها بمسند المقعد وتمسك بكلتا يديها حقيبة يد جلدية سوداء كالحة تضعها في حجرها .

وكانت تبدو عليها ملامح هدوء واع لشخص تعود على الفقر .. ومع حلول الساعة الثانية بدأت الحرارة تشتد وتوقف القطار مدة عشر دقائق للتزود بالماء في محطة تقوم في مكان ليس به مدينة .

وخارج القطار كان يخيم سكون المزارع الغامض .. وكانت الظلال تبدو نظيفة .. في حين كان للهواء الساكن داخل القطار رائحة تشبه رائحة الجلد غير المدبوغ .

ولم يزد القطار من سرعته .. وتوقف عند مدينتين متماثلتين تقوم فيهما بيوت خشبية مطلية بألوان زاهية ، ومال رأس المرأة على صدرها .. واستغرقت في النوم .

أما الفتاة فقد خلعت حذاءها .. ثم توجهت الى دورة المياه لتضع باقة الزهور في بعض الماء .

ولدى عودتها الى مقعدها كانت أمها تنتظرها لتناول الطعام .. أعطتها قطعة من الجبن ونصف رغيف من القمح وقطعة من البسكوت .. وأخذت نصيبا مماثلا من سلة البلاستيك لنفسها .

وبينما كانتا تأكلان عبر القطار جسرا حديديا ببطء كبير ، ثم اجتاز مدينة أخرى مماثلة للمدن السابقة .. الا أنه كان في هذه المدينة حشد يتجمع في الميدان ..

وكانت هناك فرقة تعزف لحنا جميلا تحت حرارة الشمس الشديدة . وعلى الجانب الآخر من المدينة كانت المزارع تنتهي في امتدادها الى سهل تشققت أرضه من الجفاف .

وتوقفت المرأة عن الأكل وطلبت من ابنتها أن تلبس حذاءها في قدميها .

ونظرت الفتاة خارج النافذة .. لم تر شيئا سوى السهل المهجور حيث بدأ القطار يستعيد سرعته ثانية .. ووضعت القطعة الأخيرة من الكعكة في السلة وأسرعت الى انتعال حذائها ، وأعطتها المرأة مشطا .. وقالت لها :

« مشطي شعرك » .

وبدأ القطار يطلق صفارته على حين راحت الفتاة تمشط شعرها ، وجففت المرأة حبات العرق فوق رقبتها ومسحت الزيت من وجهها بأصابعها .

وعندما فرغت الفتاة من تمشيط شعرها كان القطار يمر بالبيوت الخارجية لمدينة أكبر لكنها أشد حزنا من المدن السابقة .

وقالت الأم : اذا كنت ترغبين في شيء فلتفعليه الآن . أما فيما بعد .. فلا تتناولي شربة ماء في أي مكان حتى ولو كنت تموتين من الظمأ .. وفوق كل شيء .. لا بكاء .

وأومأت الفتاة برأسها .. وهبت ريح جافة خارقة متسللة داخل النافذة يخالطها صفير القاطرة وشخشخة العربات العتيقة .

وطوت المرأة الحقيبة البلاستيك مع بقايا الطعام ووضعتها في حقيبة اليد .

وللحظة ارتسمت صورة كاملة للمدينة في النافذة في يوم الثلاثاء ذاك الساطع من أيام أغسطس .

ولفت الفتاة الزهور في الصحيفة المبللة بالماء وابتعدت قليلا عن النافذة وحملقت في أمها .. وتلقت نظرة حلوة في المقابل .

وبدأ القطار في ارسال صفيره وأبطأ من سيره وبعد لحظة توقف عن السير .

لم يكن ثمة أحد في المحطة .. وفي الجانب الآخر من الشارع على رصيف تظلله أشجار اللوز لم يكن مفتوحا سوى صالة ألعاب التسلية كانت المدينة تسبح في الحرارة .

وغادرت المرأة وابنتها القطار وعبرتا المحطة الخالية .. وكان البلاط الذي يكسو أرضية المحطة قد شققه ما نبت بينه من حشائش . واتجهتا الى الجانب الظليل من الشارع .

كانت الساعة قد أشرفت على الثانية .. وفي تلك الساعة كانت المدينة المثقلة بالنعاس تقضي القيلولة .. المخازن والمحال التجارية ، المكاتب الحكومية والمدارس العامة كانت كلها مغلقة منذ الساعة الحادية عشرة ولا يعاد فتحها الا قبل الساعة الرابعة بقليل ..

كان الفندق المواجه للمحطة بحانته وصالة ألعاب التسلية فيه ومكتب التلغراف على الجانب الآخر من الميدان .. هي وحدها التي بقيت مفتوحة ..

وكانت أبواب المنازل ـ المشيدة في معظمها على طراز مباني شركة الموز ـ مغلقة من الداخل وكانت ستائرها مسدلة .. وكانت الحرارة داخل بعض هذه البيوت من الشدة بحيث يلجأ سكانها الى تناول الغذاء في ساحاتها . وكان سكان آخرون يضعون مقاعد مستندة الى الجدار تحت ظلال أشجار اللوز ويقضون فترة القيلولة في الشوارع .

وفي حماية ظلال أشجار اللوز دخلت المرأة والفتاة المدينة دون أن تزعجا فترة القيلولة .. توجهتا مباشرة الى الأبرشية .. وطرقت المرأة الباب .. انتظرت لحظة ، ثم طرقت ثانية .

كانت هناك مروحة كهربائية تطن في الداخل . ولم تسمعا وقع الخطوات ولم تكادا تسمعان الصرير الخفيف للباب .. وجاءهما في التو صوت حذر يقول :

ـ من هناك ؟

وقالت المرأة وهي تحاول أن تنظر الى الداخل : أريد القسيس

ـ انه نائم الآن ..

وقالت المرأة باصرار هادىء : انه أمر عاجل .

وفتح الباب قليلا وبغير ضجة ، وظهرت سيدة مسنة ممتلئة الجسم يكسو جلدها شحوب شديد وشعرها بلون الحديد ، وكانت عيناها تبدوان صغيرتين خلف نظارتها السميكة .

وقالت المرأة المسنة وهى تفتح الباب بالكامل « ادخلا » .

ودلفت المرأة والفتاة الى حجرة تعطرها بقايا رائحة زهور قديمة ..

وقادتهما سيدة البيت الى مقعد خشبى وأشارت اليهما بالجلوس ، وجلست الفتاة بيد أن أمها بقيت واقفة غائبة الذهن وهى تمسك بكلتا يديها حقيبة اليد .

ولم يكن ثمة صوت آخر بخلاف طنين المروحة الكهربائية يمكن سماعه . ومرة أخرى ظهرت سيدة البيت عند الباب فى الطرف البعيد للحجرة وقالت فى صوت خفيض « يقول لكما انه ينبغى أن تعودا الساعة الثالثة » .

وردت المرأة قائلة : ان القطار يغادر المدينة فى الثالثة والنصف . وكان ردا مقتضبا حازما وان ظل صوت المرأة لطيفا وخفيضا .

وابتسمت سيدة البيت للمرة الأولى .. وقالت : وهو كذلك .

وعندما أغلق الباب البعيد مرة أخرى جلست المرأة بجوار ابنتها .. كانت حجرة الانتظار الضيقة فقيرة مرتبة ونظيفة .. وعلى الجانب الآخر من الحاجز الخشبى الذى يقسم الحجرة الى قسمين كانت هناك منضدة عمل عليها غطاء من المشمع . وعند الطرف البعيد للمنضدة كانت هناك آلة كاتبة بدائية بجوار آنية للزهور وخلفهما سجلات الأبرشية .

وكان فى امكان الناظر أن يرى أنه مكتب تقوم على تنظيمه عانس .

وفتح الباب البعيد .. وفى هذه المرة ظهر القسيس وهو ينظف نظارته بمنديل .. وفقط عندما وضعها على عينيه بدا من الواضح أنه شقيق المرأة التى فتحت باب الأبرشية .

وسأل القسيس : أى خدمة ؟

وقالت المرأة : أعطنى مفاتيح المقبرة .

كانت الفتاة تجلس والزهور فى حجرها ، وكانت ساقاها متشابكتين تحت المقعد .

ونظر القسيس اليها ثم الى المرأة ثم أرسل نظراته بعيدا عبر النافذة الى السماء الصافية الخالية من السحب .

وقال : « فى هذا الحر ؟ . كان فى امكانك أن تنتظرى الى أن تغرب الشمس !

وهزت المرأة رأسها فى صمت .. وعبر القسيس الحجرة الى الجانب الآخر من الحاجز ، وأخذ مذكرة مغلفة بالمشمع من أحد الادراج ، وريشة ومحبرة وجلس الى المنضدة .. كان هناك قدر كبير من الشعر يغطى يديه بما يعوض الشعر المفقود فى رأسه !

وسأل القسيس : أى قبر ستزورين ؟

أجابت المرأة : قبر كارلوس سينتينو .

— من ؟

وأعادت المرأة قولها : « كارلوس سينتينو » .

ولم يفهم القسيس بعد ما تقول .

— وقالت المرأة فى نفس نبرة صوتها : انه اللص الذى قتل هنا الأسبوع الماضى .

وتفحصها القسيس .. وحدقت فيه فى هدوء وضبط للنفس ، واحمر وجه القسيس .. وخفض رأسه وشرع يكتب ، وعندما فرغ من ملء الورقة طلب من المرأة أن تعرفه بنفسها ، وأجابت بغير تردد وبتفاصيل محددة كما لو كانت تتلوها . وبدأت حبات العرق تظهر على وجه القسيس وخلعت الفتاة رباط حذائها الأيسر وأخرجت كعبها منه وأراحته على حاجز المقعد .. وفعلت نفس الشىء بقدمها اليمنى .

وقع الحادث يوم الاثنين من الأسبوع الماضى فى الساعة الثالثة صباحا .. على بعد مبان قليلة من الأبرشية سمعت ربيكا وهى أرملة وحيدة تعيش فى منزل ممتلىء بأشياء بسيطة كثيرة فوق صوت المطر المتساقط شخصا يحاول فتح الباب الأمامى للبيت عنوة من الخارج .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونهضت الأرملة . وفتشت فى دولابها عن مسدس عتيق لم يستخدمه أحد منذ أيام الكولونيل أورليانو بونديا .. وتوجهت الى « حجرة المعيشة » دون ان تضيء النور ووجهت نفسها بخوف نما فى داخلها خلال ثمانية وعشرين عاما من الوحدة أكثر مما وجهها الصوت الناجم عن محاولة فتح الباب . وثبتت خيالها لا على البقعة التى يقوم فيها الباب فحسب بل على الارتفاع المحدد لقفل الباب .

وتشبثت بالمسدس بكلتا يديها وأغلقت عينيها وضغطت على الزناد ..

كانت أول مرة فى حياتها تطلق بندقية .. وعقب الانفجار مباشرة لم تستطع ان تسمع شيئا اللهم الا صوت تساقط المطر فوق السطح المغطى بالحديد ..

ثم سمعت صوت ارتطام فوق المدخل الأسمنتى أعقبه صوت خافت لطيف لكنه فى غاية الارهاق .. آه ياأمى !

وكان الرجل الذى عثروا عليه ميتا أمام البيت فى الصباح وقد تمزق أنفه يرتدى قميصا ذا خطوط ملونة وبنطلونا عاديا يحيط به شريط يستخدم كحزام .. وكان حافى القدمين ولم يتعرف عليه أحد فى المدينة .

وتمتم القسيس عندما فرغ من الكتابة : اذن فان اسم هذا الرجل هو كارلوس سينتينو ؟

وقالت المرأة : نعم . كان ابنى الوحيد .

وذهب القسيس الى الدولاب .. كان هناك مفتاحان كبيران يعلوهما الصدأ معلقين على الجانب الداخلى من الباب .. وتخيلت الفتاة - مثلما تخيلت أمها عندما كانت فتاة وكما لابد أن يكون القسيس قد تصور فى وقت ما - أن هذين المفتاحين هما مفتاحا القديس بطرس .

وأخذ القسيس المفتاحين ووضعهما على المذكرة المفتوحة الموضوعة على الحاجز وأشار بسبابته الى موضع على الصفحة التى فرغ من كتابتها وهو ينظر الى المرأة :

- وقعى هنا .

وشخبطت المرأة اسمها وهى تضع حقيبة اليد تحت ذراعها وحملت الفتاة الزهور وتقدمت الى الحاجز وهى تراقب أمها باهتمام .

وتنهد القسيس :

- الم تحاولى أبدا الأخذ بيده للسير على الصراط المستقيم ؟

- وأجابت المرأة بعد أن انتهت من التوقيع : كان رجلا طيبا للغاية ..

ونظر القسيس أولا الى المرأة ثم الى الفتاة وأدرك وهو يحس بنوع من الدهشة الوقور أنهما ليستا على وشك الانخراط فى البكاء .

وتابعت المرأة قولها بنفس النبرة :

- لقد قلت له ألا يسرق قط أى شيء يحتاجه انسان ليأكله وقد استمع الى كلامى . وكان من ناحية أخرى حين كان يشترك فى الملاكمة فيما مضى ، قد اعتاد أن يقضى ثلاثة أيام فى الفراش منهكا .. من اللكمات ..

وقاطعتها الفتاة قائلة : لقد خلعت أسنانه كلها .

ووافقتها الأم : هذا صحيح .. ان كل لقمة كنت أتناولها فى تلك الأيام كانت تحمل مذاق الضربات التى كان يتلقاها ابنى فى ليالى أيام السبت ..

وقال القسيس : ان مشيئة الله فوق الأفهام!

بيد انه قال ذلك بغير اقتناع كبير .. من ناحية لأن التجربة جعلته يجنح الى التشكك الى حد ما .. ومن ناحية أخرى بسبب الحر ، واقترح القسيس على المرأة وابنتها أن تغطيا رأسيهما حماية لهما من ضربة الشمس .

وبينما راح يتثاءب وهو يوشك أن يستسلم للنوم الكامل أعطاهما تعليمات ليستطيعا العثور على قبر كارلوس سينتينو .. وعندما تعودان فليس عليهما أن يطرقا الباب .. ينبغى عليهما أن تضعا المفتاح تحت الباب وفى نفس المكان ينبغى عليهما - اذا ما كان ذلك فى مقدورهما - أن تضعا شيئا تبرعا للكنيسة .

واستمعت المرأة الى توجيهاته بانتباه كبير الا أنها شكرته بغير ابتسام .

ولاحظ القسيس أن هناك شخصا ما ينظر الى الداخل .. فى الخارج كانت هناك مجموعة من الأطفال .. وعندما فتح الباب تفرق الأطفال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد جرت العادة فى مثل تلك الساعة من النهار ألا يكون هناك أحد فى الشارع اما الآن فلم يكن هناك أطفال فحسب ٠٠ بل كانت هناك مجموعات من الناس تحت أشجار اللوز ٠

وتأمل القسيس الشارع وهو يستحم فى الحرارة ٠٠ وأدرك ما هناك ٠٠ وبهدوء أغلق الباب ثانية وقال : انتظرا لحظة ٠٠ قالها دون أن ينظر الى المرأة ٠

وظهرت شقيقته عند الباب الخلفى وهى ترتدى جاكيت أسود فوق قميص النوم وشعرها ينسدل على كتفيها ٠٠ ونظرت فى صمت الى الأب ٠

تساءل :: ماذا هناك ؟

وهمهمت الأخت : لقد لاحظ الناس ٠٠

قال الأب : من الأفضل أن تخرجا من باب الفناء ٠

قالت الأخت : ان الأمر مماثل هناك ٠٠ ان الناس يقفون عند النوافذ ٠

وكان يبدو على المرأة أنها لم تفهم حقيقة الأمر حتى تلك اللحظة ٠

حاولت أن تنظر الى الشارع من خلال فتحة الباب ، ثم أخذت باقة الزهور من الفتاة وبدأت تتحرك فى اتجاه الباب وتبعتها الفتاة ٠

وقال الأب : انتظرا حتى تغرب الشمس

وقالت الأخت : وهى تقف ساكنة عند مؤخرة الحجرة :

سوف تنصهران من شدة الحر ٠٠ انتظرا وسوف أعيركما « مظلة » ٠٠

أجابت المرأة : شكرا لكما ٠٠ نحن هكذا على ما يرام ٠

وأخذت الفتاة من يدها ٠٠ وانطلقتا الى الشارع ٠

هذا العام فى

معرض القاهرة الدولى الخامس عشر للكتاب

جناح الهيئة المصرية العامة للكتاب

يقدم

- مجموعة ضخمة من الكتب الأدبية والثقافية ،
- كتب التراث العربى المحققة ،
- كتب الأطفال الملونة
- كتب الفن التشكيلى
- مجموعات مختارة من الكتب الأجنبية فى الفن والأدب والثقافة
- مختارات من أشهر التسجيلات الموسيقية
- مجموعة كبيرة من المعاجم العربية والأجنبية

أرض المعارض بالجزيرة

من ٢٧ يناير - ٧ فبراير ١٩٨٣

عينا كلب أزرق

ترجمة : شوقي فهيم

ثم نظرت الى • ظننت أنها كانت تنظر لى للمرة الأولى • لكن عندئذ ، عندما استدارت خلف المصباح ، وكنت ما أزال أحس نظراتها المراوغة المداهنة خلفى ، عبر كتفى ، فهمت أننى أنا الذى كنت أنظر اليها للمرة الأولى • أشعلت سيجارة • سحبت نفسا من الدخان النفاذ قبل أن أدور بالكرسى ، مرتكزا على احدى رجليه الخلفيتين • بعد ذلك رأيتها هناك ، كما لو كانت واقفة بجوار المصباح تنظر الى كل ليلة • لدقائق قليلة كان ذلك كل ما فعلناه ينظر كلانا الى الآخر • نظرت من على الكرسى ، مرتكزا على احدى رجليه الخلفيتين • ووقفت هى ويدها الطويلة الهادئة على المصباح ، تنظر الى • رأيت جفنيها مضيئين مثل كل ليلة • عندئذ تذكرت الشىء المعتاد ، عندما قلت لها : « عينا كلب أزرق » • دون أن ترفع يدها عن المصباح قالت لى « هكذا • لن ننسى ذلك » • تحركت من مكانها وهى تتنهد : « عينا كلب أزرق • لقد كتبتها فى كل مكان » •

رأيتها تسير صوب « التسريحة » • راقبتها وهى تبين فى زجاج المرآة الدائرى تنظر الى بعينيها الجمرتين العظيمتين : تنظر الى بينما كانت تفتح الصندوق الصغير المغطى بلؤلؤة وردية اللون • رأيتها تضع المسحوق على أنفها • عندما انتهت ، أغلقت الصندوق ، ووقفت مرة أخرى ، ومشت صوب المصباح قائلة : « أخاف أن يكون أحدهم يحلم بهذه الحجرة ويكشف أسرارى » • وفوق لهب المصباح مدت نفس اليد الطويلة المرتجفة التى كانت تدفئها قبل أن تجلس الى المرآة • وقالت : « ألا تحس بالبرد » وقلت لها : « أحيانا • » وقالت لى : « يجب أن تحس به الآن • » عندئذ فهمت لماذا لم أستطع أن أكون وحيدا على المقعد • كان البرد هو الذى يعطينى يقين وحدتى • » • قلت « الأن أحس به وهذا شىء غريب لأن الليلة هادئة • ربما سقطت الملاءة • » لم تجب • مرة أخرى بدأت تتحرك صوب المرآة واستدرت ثانية بالكرسى ، معطيا ظهرى لها ودون أن أراها • كنت أعرف ماذا تفعل كنت أعرف أنها جالسة أمام المرآة مرة ثانية ترى ظهرى الذى كان لديه الوقت ليصل الى أعماق المرآة ويقع تحت بصرها الذى كان أيضا لديه الوقت ليصل الى الاعماق ويعود قبل أن تبدأ اليد الدورة الثانية ـ حتى كانت شفتاها الآن مدهونتين باللون القرمزى منذ أول دورة ليدها أمام المرآة • رأيت ، فى مواجهتى الحائط الناعم الذى كان يشبه مرآة أخرى عمياء لم أستطع أن أراها فيها ـ جالسة خلفى ـ ولكنى استطعت أن أتخيلها فى مكانها المحتمل كما لو أن مرآة قد علقت مكان الحائط • قلت لها : (انى أراك) • وعلى الحائط رأيت كما لو أنها رفعت عينيها ورأتنى فى أعماق المرآة وظهرى موجه نحوها من الكرسى ، ووجهى نحو الحائط ثم رأيتها تخفض عينيها مرة أخرى وظلت وعيناها دائما على حمالة ثدييها ، ولا تتكلم • وقلت لها ثانية: « أنى أراك » • ورفعت عينيها من على حمالة ثدييها مرة أخرى • قالت « هذا مستحيل • » سألتها لماذا • قالت وعيناها هادئتان وعلى حمالة ثدييها مرة أخرى : « لأن وجهك موجه نحو الحائط » • عندئذ أدرت الكرسى • كانت السيجارة مثبتة فى فمى وعندما بقيت مواجها المرآة عادت هى الى جوار المصباح • الأن يداها مفتوحتان وممدودتان فوق اللهب ، مثل جناحى دجاجة ، تشوى نفسها ، ووجهها تظلله أصابع يديها • قالت : « أظن أنى سأصاب بالبرد لابد أن هذه مدينة ثلجية • » • أدارت وجهها ليصبح « بروفيل » وجلدها تحول من النحاسى الى الأحمر ، وفجأة صارت حزينة •• قالت « افعل شيئا » ثم راحت تخلع ملابسها قطعة قطعة بادئة من فوق ، بحمالة ثدييها • قلت لها : « سأستدير الى الحائط • » قالت : لا • على أى حال ستراني كما رأيتنى عندما كنت تدير ظهرك » وما أن فرغت من قولها هذا حتى كانت قد أصبحت عارية تماما ، واللهب يلعق جسدها النحاسى الطويل • » دائما كنت أرغب أن أراك هكذا ، وبطنك ملء بالندوب ، كما لو كنت قد ضربت • » • وقبل أن أتحقق من أن كلماتى كانت فجة فى ضوء عريها ، صارت بلا حركة ، تدفىء نفسها على كرة المصباح ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقالت : « أحيانا أفكر اننى مصنوعة من المعدن» وصمتت للحظة . تغير وضع يديها فوق اللهب قليلا . قلت « أحيانا ، فى أحلام أخرى ،فكرت أنك لست سوى تمثال برونزى صغير فى ركن متحف ما . وربما كنت باردة لهذا السبب » وقالت : « أحيانا ، عندما أنام على قلبى ، أستطيع أن أحس بجسدى يصير أجوف وجلدى رقائق من معدن . ثم حين يجرى الدم دفاقا فى داخلى، أحس كأن شخصا ينادينى ويطرق على معدتى وأستطيع أن أحس صوتى النحاسى فى السرير أشبه بما تسمونه بالمعدن المطروق » . اقتربت أكثر من المصباح . قلت : « أود أن أسمعك » .

وقالت : « اذا وجد كل منا الآخر ضع أذنك على أضلعى حين أنام على الجنب الشمال وسوف تسمعنى أردد الصدى . طالما أردتك تفعل هذا يوما ما . » سمعتها تتنفس بثقل وهى تتحدث وقالت انها لسنوات لم تفعل شيئا آخر . وان حياتها قد كرست للعثور على فى الواقع ، من خلال كلمةالسر هذه : « عينا كلب أزرق ». وانها كانت تسير عبر الشوارع تقولها بصوت عال، كطريقة تبلغ بها الشخصالوحيد الذى يستطيع فهمها :

« أنا التى أجىء فى أحلامك كل ليلة وأقول لك « عينا كلب أزرق » . وقالت انها كانت تذهب الى المطاعم وقبل أن تطلب أى شىء كانت تقول للجرسونات : « عينا كلب أزرق » . لكن الجرسونات كانوا ينحنون تبجيلا ، دون أن يتذكروا أنهم قالوا هذا فى أحلامهم . ثم كانت تكتب على المفارش وتحفر بسكين على طلاء الموائد « عينا كلب أزرق » . وعلى النوافذ التى يغبشها البخار فى الفنادق ، والمحطات ، وكل المبانى العامه كانت تكتب بسبابتها : « عينا كلب أزرق» قالت انها ذهبت مرة الى مخزن أدوية ولاحظت نفس الرائحة التى شمتها فى حجرتها ذات ليلة بعد أن حلمت بى . وقالت لنفسها وهى ترى الارضية المكسوة بالفلين النظيف الجديد فى مخزن الأدوية ، لابد أنه قريب من هنا » . ثم ذهبت الى البائع وقالت له : « اننى أحلم دائما برجل يقول لى (عينا كلب أزرق .) وقالت ان البائع نظر فى عينيها وقال لها : «حقيقة يا آنسة ، ان لك فعلا عينين مثل التى تقولين عنهما» وقالت له على أن أجد الرجل الذى قال لى هذه الكلمات بالذات فى أحلامى . وبدأ البائع يضحك وذهب الى الطرف الآخر من المحل

ظلت ترى الفلين النظيف وتشم الرائحة القوية. وكتبت بحروف حمراء : « عينا كلب أزرق » . جاء البائع من حيثما كان . قال لها : « سيدتى لقد وسخت الفلين » وأعطاها قطعة قماش مبلولة وهو يقول « نظيفة » .. وقالت : وهى ما تزال بجانب المصباح ، انها أمضت بعد الظهر كله منحنيه تنظف الفلين وهى تصرخ « عينا كلب أزرق » حتى تجمع الناس على الباب وقالوا انها مجنونه .

والآن ، عندما انتهت من كلامها ، بقيت فى الركن ، جالسا ، أهتز بالكرسى ، قلت. كل يوم أحاول أن أتذكر الجملة التى سأجدك بها والآن أظن أننى لن أنساها غدا . ومع ذلك فدائما كنت أقول نفس الشىء وعندما أستيقظ أنسى دائما الكلمات التى يمكن أن أجدك بها » . وقالت : « انك أنت الذى ابتكرت هذه الكلمات فى اليوم الأول . » وقلت لها : « أنا ابتكرتها لانى رأيت عينيك الرماديتين . لكنى أبدا لم أتذكرها فى الصباح التالى . تنفست بعمق وقبضتاها مثبتتان بجوار المصباح : « لو استطعت على الأقل أن تتذكر الآن فى أى مدينة كنت أكتبها » .. لمعت أسنانها فى ضوء اللهب .. قلت : « أود أن ألمسك الان » . رفعت الوجه الذى كان ينظر الى اللهب ، رفعت نظرتها ، محترقة ، مشوية ، أيضا ، تماما مثلها ، مثل يديها ، وشعرت أنها رأتنى ، فى الركن حيث كنت جالسا ، أهتز مع الكرسى . قالت : (انك لم تخبرنى بذلك أبدا) . قلت : « ها أنا أخبرك الآن ، وانها لحقيقة . » . من الجانب الآخر من المصباح طلبت سيجارة . كان عقب السيجارة قد اختفى بين أصابعى . نسيت أنى كنت أدخن . قالت : «لا أعرف لماذا لا أستطيع أن أتذكر اين كتبتها» وقلت لها : « لنفس السبب الذى من أجله لن أكون فى الغد قادرا على تذكر الكلمات . وقالت بحزن : « لا . انما أحيانا أفكر أنى حلمت بذلك أيضا » . وقفت ومشيت صوب المصباح . كانت وراءه بقليل ، وواصلت المشى والسيجارة والثقاب فى يدى التى لن تمتد وراء المصباح . قدمت لها السيجارة ، وضعتها بين شفتيها ومالت للأمام لتصل الى اللهب قبل أن يكون لدى الوقت لاشعال الثقاب . قلت « فى مدينة ما فى العالم على كل الجدران ، يجب أن تظهر هذه الكلمات مكتوبة : « عينا كلب أزرق » لو تذكرتها غدا لاستطعت أن أجدك . » رفعت رأسها ثانية

كانت الجمرة المضيئة بين شفتيها . « عينـــا كلب أزرق » هكذا تنهدت، متذكرة ، والسيجارة تميل الى ذقنها واحدى عينيها نصف مغلقة . ثم سحبت نفسا من السيجارة وهي تضعهـــا بين صبعيها وأوضحت : « هذا شيء آخر الآن . ان الدفء يسري في . » قالت ذلك بصـوت فاتر متلاشي ، كما لو أنها كتبته على قطعة من الورق وقربت الورقة من اللهب بينما أنا أقرأ: «ان الدفء ثم ظلت ممسكة بها بين السبابة والابهام ، وهي تديرها فيما كانت ــ الورقة ــ تحترق ولم أقرأ سوى » .. في » ، قبل أن تحترق الورقة تماما وتسقط الى الارض وقد تحولت الى رماد مضيء . قلت : « هذا أحسن . أحيانا ارتعب وأنا أراك بهذا الشكل ترتعشين بجانب المصباح .

كنا نرى بعضنا لسنوات عديدة . أحيانا ، عندما نكون معا ، كان يحدث أن يلقي أحدهم بملعقة في الخارج فكنا نستيقظ . وشيئا فشيئا بدأنا نفهم أن صداقتنا تابعة لأشياء ، لأبسط الأحداث . كانت لقاءاتنا دائما تنتهي على هـــذا النحو ، بسقوط ملعقة في الصباح الباكر .. والآن . وهي واقفة وراء المصباح ، كانت تنظر الي . تذكرت أنها كانت تنظر الي في الماضي بنفس الطريقة ، منذ ذلك الحلم البعيد حيث كنت أدير الكرسي على أحـدى رجليه الخلفيتين وأنا أواجه امرأة غريبة بعينين رماديتين . انه ذلك الحلم الذي سألتها فيه لأول مرة : « من أنت ؟ » وقالت لي: « اني لا أتذكر » قلت لها : « لكني أظن أننـــا رأينا بعضنا من قبل » . وقالت بلا مبالاة :« أظن أني حلمت بك مرة بنفس هذه الحجرة وقلت لها تماما : اني بدأت أتذكر الآن » وقالت «ياللغرابة» من المؤكد أننا تقابلنا في أحلام أخرى » .

أخذت نفسين من السيجارة . كنت ما أزال واقفا ، مواجها المصباح ، حين ، فجأة ، ثبت نظري عليهـــا . نظـرت اليها من فوق لتحت وكانت ما تزال نحاسا ، معدنا جامدا وباردا ، لكنـــه نحاس أصفر رقيق قـــابل للطرق . قلت مرة ثانية : « أود لو أمسك » فقالت : « ستدمر كل شيء » . قلت : « لا يهم الآن . ما علينا الا أن نقلب الوسادة لكي نتقابل ثانية » . ومددت يدي فوق المصباح . لم تتحرك . قالت قبـــل أن أستطيع لمسها : «انك ستدمر كل شيء . ربمـــا ، اذا أنت درت وجئت خلف المصباح ، فسوف نستيقظ مرعوبين في مكان ما من العالم لا نعلم ما هو » . لكنني أصررت قائلا : « لا يهم» فقالت : « اذا قلبنا الوسادة فسوف نتقـــابل ثانية . لكن حين تصحو ستكون قد نسيت » . بدأت أتحرك صوب الركن . بقيت هي خلف المصباح تدفيء يديها على اللهب . ولم أكن قد اقتربت من الكرسي حين سمعتها تقول خلفي: « عندما أستيقظ في منتصف الليل ، أظل أتقلب في السرير ، وهداب الوسادة يحرق ركبتي ، وأردد حتى الفجر « عينا كلب أزرق » . ثم بقيت ووجهي صوب الحائط . قلت دون أن أنظر اليها « ان الفجر يقترب . عندما دقت الساعة الثانية كنت مستيقظا وكان هذا منذ وقت طويل مضى » وذهبت الى الباب . وعنـــدما أمسكت بالمقبض سمعت صوتها مرة ثانية ، نفس الصوت لا يتغير. قالت « لا تفتح هـــذا الباب . ان الطرقة مليئة بالأحلام الصعبة » . وسألتها : « كيف عرفت ؟ وقالت لي : « لأنني كنت هناك منذ لحظة وكان علي أن أعود حين اكتشفت أني أنام على قلبي » . كان الباب نصف مفتوح . حركته قليلا فهبت نسمة باردة حملت لي معهـــا الرائـحة الطازجة للأرض الخضراء والحقـول النـدية . تحدثت مرة أخرى . استدارت ، ومازلت أحرك الباب . ذا المفصلات الصامتة ، وقلت لها : « لا أظن انه توجد أية طرقة بالخارج . اني أتلقى رائحة الريف » . قالت لي ، وهي بعيدة بعض الشيء : « اني أعرف هذا أحسن منك . ما يحدث هو أن ثمـة امرأة بالخارج تحلم بالريف » . وعقدت ذراعيها فوق اللهب . وواصلت كلامهـا : « انها تلك المرأة التي كانت تريد دائما أن يكون لهــا بيت في الريف ولم تكن أبدا قادرة على ترك المدينة » . تذكرت أني قد رأيت المرأة في بعض الأحـــلام الماضية ، لكن عرفت ، والباب موارب الآن ، أنه في خلال نصف ساعة ســـيكون على أن أنزل للافطار . وقلت : « أيا كان الأمر ، على أن أمشي من هنا من أجل أن استيقظ » .

في الخارج هبت الريح للحظة ، ثم هدأت ، وكان بالامكان سماع تنفس انسان نائم قد تقلب لتوه في الفراش . الآن توقفت الرياح الآتية من الحقول . لم تعد هناك روائح . قلت « غدا سوف أتعرف عليك بهذا . سوف أعرفك عندما أرى في الشارع امرأة تكتب : « عينا كلب أزرق » على الجدران » . ردت علي بابتسامة حزينة ــ كانت بالفعل ابتسامة استسلام للمستحيل ، لما لا يمكن الوصول اليه ــ : « لكنك لن تتذكر أي شيء خلال النهار » . ووضعت يدها على المصباح ، واكتست ملامحها بسحابة من الأسى . « أنك الرجل الوحيد الذي لا يتـذكر شيئا ، مما حلم به ، بعـد أن يستيقظ » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العودة إلى الحبّ

رواية : عبد البديع عبد الله
عرض : د. السعيد الورقى

« العودة الى الحب » ★ هى الرواية الثانية للكاتب الروائى عبد البديع عبد الله ، بعد روايته الأولى « بيت صغير فى المدينة » ١٩٨٠ ، الى جانب مجموعة قصص قصيرة بعنوان « حكاية الطين الأخضر » ١٩٦٩ .

حاول عبد البديع عبد الله فى روايته الأولى ان يقدم ظهور الطبقة الوسطى وتبلورها فى مصر ، تلك التى حلت محل الاقطاعية الارستقراطية ، كما قدم كذلك فى روايته هذه بداية تشكل الحركة العمالية التى بدات تسعى الى احتلال مكان لها فى المجتمع المصرى .

قدم عبد البديع عبد الله فى روايته الأولى اذن ظهور الطبقتين : الوسطى والعمالية فى المجتمع المصرى وبداية الصراع بينهما لتعارض مصالحهما وذلك من خلال تتبع تكوين ونشاة عدد من افراد اسرة قاهرية جمعت فى تكوينها بين الطبقة العمالية وبين الطبقة الوسطى الصغيرة الصاعدة .

وقد اثر هذا الاختيار على بناء الرواية ، التى انتمت الى ما يمكن ان نسميه بالرواية الواقعية التسجيلية ، وهى التى حاولت ان تقدم تمثيلا موضوعيا للواقع الاجتماعى وذلك بالنفاذ المباشر فى الحياة والواقع ، ذلك النفاذ الذي يتقبل الأشياء كما تبدو لنا فى الظاهر » (١) .

وتختلف رواية « العودة الى الحب » عن رواية « بيت صغير فى المدينة » اختلافا كبيرا فى مجال الاهتمام بالقضايا المطروحة اولا ، ثم فى البناء الذى استخدمه الكاتب فى كل منهما ثانيا .

فبينما كانت رواية بيت صغير فى المدينة رواية تسجيلية ، قدمت رؤية الملاحظ لظاهرة اجتماعية معينة ، نرى رواية العودة الى الحب تستخدم احدث اساليب البناء الفنى الروائى ، وهو تيار الوعى ، لتقديم تجربة اقرب فى تكوينها الى ان تكون تجربة داخل الشخصيات ، او هى كذلك بالفعل .

ان هذا يفسر لنا تحول عبد البديع عبد الله عن التسجيل الى تيار الوعى . فبينما كان فى روايته الاولى يسعى الى رصد ظاهرة اجتماعية ، نراه فى روايته الثانية يتجه الى داخل شخصياته لرصد الموقف النفسي الذى عاشته كل شخصية من شخصيات العمل .

لقد تركت حرب ١٩٦٧ آثارا بعيدة المدى على كل شخصيات المجتمع ، فبدات تعيد النظر فى موقفها ، او تعيد حساباتها على حد التعبير الدارج . وشخصيات « العودة الى الحب » كلها شخصيات تنتمى الى جيل الشباب ـ باستثناء هذا الجيل الذى نشأ مع ثورة ١٩٥٢ وانتمى فكريا وتكوينيا اليها .

والحدث فى الرواية حدث عادى وبسيط ، فالأهمية هنا ـ كما قلنا ـ للواقع النفسى ، وليس للحدث الذى يتحرك من خلال ثلاث شخصيات : احمد رشدى وليلى زوجته وشوقى الذى كان زميلا لليلى فى الجامعة وحبيبها آنذاك .

تطرح ليلى حب شوقى لها وحبها لشوقى جانبا ، وتتزوج من احمد رشدى الضابط السابق الذى اصبح يشغل منصبا مرموقا فى السلك الدبلوماسى ، والسبب ، انها من مكونات عصر لم يعد يعرف من قيمة سوى المادة . ويهاجر شوقى بعد تخرجه هروبا من سلسلة الهزائم والاحباطات المتلاحقة ، الى احدى دول النفط بحثا عن ملاذ يحتمي به من فشله ومن نفسه ، وسعيا الى دفء المال بعد ان بطل دفء المشاعر . وتحدث الهزيمة العسكرية عام ١٩٦٧ ، وتتخبط القيادات ، وتضطر الى اقالة بعض رجالها تهدئة للنفوس المضطربة ، فيصبح احمد رشدى بلا عمل فى بلد بدا كل من فيه ينظر الى الآخر والى نفسه بعين الاتهام . وفى وسط هذه

★ صدرت عن منشورات روح العصر القاهرة ١٩٨٢ .

(١) انظر دراسة صدرت لنا بعنوان : اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ فرع اسكندرية ١٩٨٢ ص ٧٨ .

المتاهة ، يضل البعض الطريق ، ويفقده البعض الآخر ، ويتحول احمد رشدى الى سمسار يتاجر بأقوات المجهدين وارزاقهم • وتسعى ليل الى الانتماء مرة أخرى الى الطلبة فتعود الى الجامعة لتستكمل دراستها التى قطعتها فى فرحة الزوج والزواج • ولكن الطلبة يرفضونها ، فقد فاتها أنها فقدت تواصل المعاصرة معهم من زمن ، بل انهم يتهمونها بالعمالة لصالح السلطة • وعندما تغيب المتاهة وتحدث الافاقة ، كانت العودة الى الحب بعد التطهر ارهاصا بانتصارات أكتوبر ١٩٧٣ • فيعود احمد رشدى الى الجيش ضابطا جديدا يسعى للنصر ، ويعود شوقى الى مصر بعد أن ترك من قبل البلاد العربية الى انجلترا حيث درس بها الاخراج السينمائى ، يعود ميلادا جديدا يرى بغير عين الماضى ، وتتشوف ليل المستقبل على ضفاف النيل فى نبت صغير سيشهد انتصار الغد ، هذا النبت هو ابنها الذى تركه زوجها احمد بين يديها وهو يسعى الى جبهة القتال على أمل لقاء بسعيد دافىء مشرق •

لحدث كما رايناه ، حدث بسيط وعادى ، يجمع أطراف الثالوث الشهير : الزوج والزوجة والحبيب • وبالرغم من أن الحدث فى رواية كرواية العودة الى الحب ليس بذى أهمية ، فان الكاتب قد نجح فى ان يحركه على أكثر من محور •

فهو اولا على مستوى « القصة » ـ أو البعد الأول ـ حدث له مقوماته البنائية ، ثم ان له محوره الاجتماعى من حيث تناوله لظـواهر اجتماعية ارتبطت بحقبة تاريخية فى حياة مجتمعنا •

والى جانب هذا المحور الاجتماعى ، هناك المحور النضالى الذى يتناول صورة من نضال الانسان مع أنظمة الحكم ومع معوقات التقدم الاجتماعى • ومن هذه الناحية يمكن ان يقدم تفسيرا رمزيا للعمل يرى فى ليل مصر وفى شوقى وابنها أحياء مصر ومستقبلها ، ويرى فى احمد رشدى طبقة المثقفين الذين عليهم أن يغيروا منهجهم واسلوب نظرتهم الى الوطن •

ثم هناك المحور الانسانى الذى يتناول نضال الانسان مع نفسه للتعرف على معوقات التقدم البشرى نحو اعلاء قيمة الانسان •

لم يلجأ عبد البديع عبد الله فى عمله الروائى الثانى « العودة الى الحب » الى أسلوب البناء التسجيلى الذى يقوم على ملاحظة الأحداث الخارجية • وذلك لاختلاف طبيعة التجربة عن التجربة الروائية التى قدمها فى روايته الأولى « بيت صغير فى المدينة » •

فالكاتب هنا مهتم اهتماما أكثر برصد داخل الشخصية ، وتتبع ردود أفعالها تجاه المواقف • ولما كان هذا لا يتوافر الا بالتعرف على الشخصية فى منطقة ما قبل الحديث الملفوظ وما قبل الأفعال الارادية ، اختار المؤلف هنا اسلوب تيار الوعى لبناء عمله الروائى •

قسم المؤلف روايته الى عدد من الفصول ، سعى كل فصل منها الى تقديم جانب من الحدث يتم تخليقه وتكوينه من خلال رصد وعى شخصية من شخصيات الرواية ومتابعة ما يتم داخل هذا الوعى من استدعاء وحضور ومن تعـليق ومناقشة ومن تخوف وتبصر •

وقد نجح الكاتب فى هذا البناء ، نجاحا يؤكد بحق انه سوف يكون معلما بارزا فى الرواية العربية المعاصرة ، فالرواية بحق تملك من النضج والفنية ما تفتقر اليه أعمال روائية كثيرة •

استطاع عبد البديع عبد الله أن يحقق هذا التفوق فى الواقع بفضل تمرسه الروائى من ناحية • والفضل احساسه الشعرى والدرامى باللغة • لقد استطاع المؤلف ان يستخدم اللغة فى روايته طاقة انفعال ومشاعر ، تثير الانفعال بالموقف وتحركه فى صراع درامى •

ولعلى لا أتجاوز الحقيقة اذا قلت ان رواية « العـودة الى الحب » لعبد البـديع عبد الله من الأعمال القليلة التى امتعتنى من بين مجمـوعة الأعمال الروائية التى تتخـذ أسلوب تيار الوعى فى الرواية العربية المعاصرة •

فى أعدادنا القادمة

تقرأ لهؤلاء

- يوسف ادريس
- عبد الغفار مكاوى
- سناء البيسى
- فتحى سعيد
- ابراهيم أصلان
- بدر الديب
- ألفريد فرج
- بهـاء طاهر
- ماهر شفيق فريد

وغيرهم

عين سمكة

رواية : محمود عوض عبد العال

عرض : السيد الهبيان

هناك قلة من الروائيين يحاولون جاهدين مواكبة التطور الروائي ويعملون على أن تاتى تجاربهم الابداعية ذات سمات محددة خاصة بهم ، تضعهم بين المجددين الذين يعنون بالابتكار ويتخطون الأشكال الجاهزة .

ومن هؤلاء القلة - « محمود عوض عبد العال » الذى يحاول تقديم تجارب روائية جديدة معاصرة الى حد ما ، بدت - من قبل - فى روايته « سكر مر » ، وتلاحظ فى روايته الثانية « عين سمكة » التى استطاع أن يؤكد من خلالها اختلاف تجربته الروائية عن تجارب الآخرين . الذين سبقوه ، وايضا من هم من نفس جيله .

ورواية « عين سمكة » - كما كتب على ظهر غلافها - رواية تحتاج الى جهد ومعاناة فى القراءة فالقارىء لرواية « عين سمكة » سيفتقد الشخوص التقليدية التى ارتآها كثيرا - وربما دوما - فى روايات غيرها ، ذلك لأن « محمود عوض عبد العال » قدم له شخوصا مغلقة على داخلها ، وترك له مفاتيحها ، ومن ثم فعليه أن يتعرف بنفسه على ماهية هؤلاء الشخوص وهو يعايش عوالمها .

رشا ادريس : الابنة الهاربة من الأب ، واحدى نساء الليل ، فى الخامسة والعشرين من عمرها ، وقد تبدو مثل أية امرأة - ساقطة - عادية ، انضمت الى عالم البغاء . وقد تكون الظروف التى دفعت بها الى ذلك العالم لها ما يشابهها ، وان اختلفت فى التفاصيل ، فهى ، قبل أن تكون بغيا ، كانت طالبة جامعية .. (.. بيت الطالبات ضمنى مثل رحم معقمة بالثانوية العامة ادبى ..) ص١٦ (.. كان شعرها طويلا مضفورا ، ولم تكن تستعمل المساحيق ، رغم العالم الرومانسى التى تعيشه زميلاتها - الطالبات - حولها . كانت تبدو حزينة كتمثال ، لفتت انتباه المشرفة الاجتماعية ، لكنها لم تبح لها بسر حزنها .. ذلك السر الذى تخجل أن تقوله لها .

بدأ لها الخروج من البيت هو المنفذ من صراعات الداخل .. لكنه كان بداية الطريق الى عالم نساء الليل ، حيث عليها - فى ذلك العالم - ان تعرض جسدها كسلعة لتؤمن المأوى والمأكل .

الأب : محارب قديم .. اشترك فى الحرب العالمية الثانية .. ولتكاسله واهماله لم يستمر .. وانضم بعد التحقيق معه الى جمعية المحاربين القدماء .

فاطمة السوداء : قوادة .. (فى حجم العالم .. قادمة من خط الشمس .. التجاعيد .. جفناها مسنونتان بالاغتصاب .... برواز صدرها مجرد تلافيف .. غابات فى حالة سيئة .. يموت هناك على فخذيها كل ما يقوله جرس الكنيسة ..) ص٦٥ .

ثلاثة شخوص لعوالم ثلاثة : الاختفاء .. البحث .. الرذيلة .. وثمة شخوص أخرى .. لكنها تبدو كاشارات سريعة .. تلقى الضوء على شىء ما .. يكون ايضاحه لأى من العوالم الثلاثة من الأشياء تبرز أحد مواقفها .

عالم الاختفاء تعيشه الابنة الهاربة « رشا ادريس » .. وعالم البحث يعيشه « الأب » .. وعالم الرذيلة « فاطمة السوداء » .. وهذه - العوالم - رغم بروزها فى الرواية على مستوى واحد من الأهمية - كخطوط اساسية - الا أنها تكشف - من خلالها - عن عوالم اخرى متغايرة ومضادة .. تبدو ايضا كاشارات سريعة موحية .. وتلقى الضوء على أشياء شاذة - كثيرة - متواجدة فى واقع الشخوص .

كل هؤلاء - العوالم والشخوص - يبدون فى اطار يجمع بينهم بتمازج حتمى .. فثمة ارتباط واحد هو الذى يتواصل بين الشخوص وعوالمها .. يتمثل ذلك الارتباط فى الشخصية الرئيسية للرواية - رشا ادريس - اذ يفرز واقعاها - الخارجي والداخلي - كل المواقف والأحداث التى تبدو فى عالمى الاختفاء والبحث .. اللذين يبدوان - بطبيعتيهما - متضادان وان نبع احدهما من الآخر .. فهما يتقاربان الى حد التلاقى .. ثم يتباعدان .. لكن يظل الالتقاء - النهائى - المنتظر تعترضه علامة استفهام .

ذلك لأن عالم الاختفاء يظل دونما نهاية ٠٠ متداخلا فى عالم الرذيلة الذى يمكن القول بانه تحول لعـــالم الاختفاء ٠٠ فالعالمان بالنسبة للشخصية الرئيســية فى الرواية ـ رشا أدريس ـ قد يكونان شيئا واحدا ٠٠ لأنها تعيش مختفية فى عالم البغاء ٠٠ ومن ثم فمصير البحث ـ الجارى من الأب ـ يبقى معلقا لعدم عثوره على ابنته ٠

كل ذلك يبدو من خلال واقع « رشـــا ادريس » الذى عاشته ٠٠ وقدمه « محمود عوض عبد العال » من خـــلال حاضرها ٠٠ فبدا ـ الواقع ـ بازدواج ـ خارجى وداخل ـ متداخل ٠٠ ولا يغير من هذا التحديد الفاصل بين الحاضر والماضى ٠٠ كواقع خارجى تعيشه « رشا ادريس » ٠٠ وزمن نفسى للمواقف التى عاشتها ٠

فمن خلال الحاضر ـ الموقف الخارجى ـ تبدو «رشا أدريس» مختبئة فى ركن منزو ٠٠ بانتظار توقف سقوط المطر ٠٠ (٠٠ تسعل ٠٠ تكح ٠٠ ترتجف ٠٠ بلا ارتبـــاط مع احد ٠٠) ٠٠ ثم يبدا الواقع الداخلى ـ الزمن النفسى ـ يتدفق بكثافة ٠٠ بتداع يبـــدأ من لحظة الحاضر بوصـــف الحال ٠٠ ثم يتقهقر الى الوراء دفعة واحدة ٠٠ ليبدأ مع الخطوات الأولى لعالم الاختفاء ٠٠ عندما اخذت «رشا ادريس» تسير (٠٠ من شارع الى شارع ٠٠ من محطة الى محطة ٠٠ مكسورة الخاطر ٠٠) ولم تكن تدرى انها تخطو جهـــة السقوط ٠٠ ظانة ان الحيـــاة بعيدة عن مسرح الواقعـــة الشاذة والأب الذى ارتكبها ٠٠ هو الخلاص الوحيد من اثارة التقزز فى نفسها ٠٠ وسوف تستطيع بالعمل تامين احتياجاتها ٠٠ لكنها اكتشفت انها القت بنفسها فى طريق الضياع المرصوف بالموت والحزن والأخطار المحدقة ٠

اما عالم البحث فقد عاشه الأب مع بداية عالم الهروب ٠٠ عندما اكتشف ٠٠ (٠٠ لجا الى نافذته المغلقة ٠٠ حاد ورفيع كان صراخه ممتدا ٠٠ ابحثوا لى عن ابنتى ٠٠ تجمع الأهل والجيران محوطة عيونهم على أولادهم ٠٠ يصرخ ٠٠ ابنتى ٠٠) ص ٨ ٠٠ لكنه لم يجد منهم اية معـــاونة ٠٠ فاصطحب مناديا واخذ يجوب معه الشوارع والحارات وهو يتمنى ان يعثر عليها ٠٠

لكن البحث لم يسفر عن شىء ٠٠ فكاد يركن الى الياس ٠٠ لكنه استمر املا فى العثور عليهـــا ٠٠ ورغبـــة فى الحصول على تسامحها له ٠٠ (٠٠ يا ابنتى لا بعيدا عنك ٠٠ تيبست ملامحى مثل حجمك ٠٠ لم يبق ســـوى اشارة مكررة ٠٠ الغفران ٠٠ أتجنب تسيج صوتك ٠٠ ترعد ذنوبى ٠٠ بحـــدود البحر اضيق ، خمســـين يوما ابحث عنك ٠٠ منكمشا على ناحية ٠٠ الفضيحة فى ثوب نام ٠٠) ص ٣١ ٠

وعالم البغاء ٠٠ تعيش فيه « فاطمة السوداء » ٠٠ (عاهرة باكوس جعلت الجمـــل يعبر من ثقب الابرة) ص ٥٦ ٠٠ فلم تكن « رشـــا آدريس » تفكر بالانخراط فى عـــالم البغايا ٠٠ جاهدت فى البحث عن عمل لا تفقد فيه طهارتها ٠٠ ويؤمن لها المأوى والمأكل ٠٠ لكن الأبواب لم تكن تسمح الا لعبور جسدها اولا ٠٠ حاولت السفر بعيدا عن دائرة البحث التى ضاقت حولهـــا ٠٠ سافرت دونما نقود ٠٠ قبض عليها شرطى القطار والقى بها داخـل غرفة انتظـــار التحقيق ٠

هـــذه العوالم الثلاثة ٠٠ التى قدمهـــا « محمود عوض عبد العال » فى « عين سمكة » ليس الالمام بها سهلا كمـــا بدا فى هذا الايجاز البسيط ٠٠ فكلها تبدو متداخلة بمزج كثيف يجعل من الصعب استمرار متابعة اى منها دون ان يواجه القارىء موقفا او مواقف تعترضه ٠٠

ان هدف الرواية او مضمونها ليس ـ فقط ـ تنـــاول سقوط امراة فى حياة الليل ٠٠ السقوط ـ فى الحقيقة ـ ليس غير فكرة نسج حولها « الكاتب » خيوطا متشابكة ٠ تتفرع وتتلاقى ٠٠ دونما بداية ـ لها ـ او نهاية ٠٠ لكنها فى مجموعها تشكل واقعـــا ملموسا ٠٠ فيه كل الموبقات رغم انه ـ اساسا ـ يرفضها ٠٠

ليلة العشق والدم

رواية : إبراهيم عبد المجيد

عرض : شوقي فهيم

(هذه هى الرواية الثالثة لابراهيم عبد المجيد ، فقد أصدر من قبل « فى باطن الأرض » ١٩٧٢ ، ثم « فى الصيف السابع والستين » ١٩٧٩ (عن دار الثقافة الجديدة بالقاهرة) ..

(أبطال هذه الرواية ثلاثة رجال وفتاة ، تجمعهم رابطة المكان الواحد : تلك المجاهل الوعرة المحيطة بترعة المحمودية على مشارف الاسكندرية (حيث عاش المؤلف طفولته وصباه) يجمعهم المكان ويربط بينهم برغم اختلاف انتماءاتهم الاجتماعية . فالفتاة «وردة» ذلك الجمال المقابل لكل القبح الموجود بالمنطقة، هى ابنة صاحب المعدية ، معشوقة الرجال الثلاثة فى صباهم : فؤاد الذى رحل ليعمل فى القاهرة ، وحسن المداوى ودومة كانا ـ فى أيام الصبا أيضا ـ يعملان تحت امرة أبيها على المعدية وفى رعاية حيواناته التى يربيها فى الحظيرة .

(لكن الرواية تبدأ بعد عشرين عاما من غرام الصبا وصراعاته . تبدأ بالدم .

عشرون عاما تغير فيها كل شىء الا ذكريات القلوب الجريحة . هناك من صعد ، ومن هبط ، ومن ظل حائرا لا يجد الطريق . كثيرون الأن من يجلسون على المقاهى الرخيصة، على ترعة المحمودية ، يفتحون حقائب السمسونايت ويعدون العملات الأجنبية والمحلية متحدثين عن البضاعة المسافرة والقادمة وعن سعر الحشيش ويعلنون فى الصحف عن مشاريع كبرى وهمية .

عشرون عاما تراكمت فيها القمامة فسدت الطريق أمام مبنى المدرستين الوحيدتين فى المنطقة ، هى نفس الأعوام التى صعدت بـ « حسن المداوى » ليصبح « رجل أعمال » وبرلمانيا كبيرا .

(محوران للرواية : اللحظة الحاضرة حيث اجتمع الرجال الثلاثة : فؤاد ، الذى مازال حائرا ، وحسن رجل الأعمال ، ودومة : العاشق المنافس لحسن فى الماضى ، وأحد أتباعه الآن . أما وردة فقد اختفت ، أحرقت نفسها احتجاجا على زواج لم تكن تقبله . اجتمع الرجال الثلاثة فى سرادق للعزاء هذه الليلة (أبو فؤاد هو الذى توفى) .

(المحور الثانى هو : ذكريات الماضى ، وتقلبات الأعوام العشرين تدور فى رؤوس الرجال الثلاثة . تلتقى وتتصادم مثلما تلتقى عيونهم وتتباعد وهم جلوس فى السرادق والقرآن يقرأ . ويقع الحدث ، الذى لايخفيه المؤلف منذ السطور الأولى : يقتل دومة حسن المداوى وسط السرادق وعلى رؤوس الأشهاد . ويكون فعل القتل هو « جبل الجليد » الذى يخفى وراءه عشرين عاما من القبح ، والجدب ، والجمال ، الموءود ، والمشاعر المحترقة ، يكون تصفية حساب لكل هذه السنوات وما تحمله .

تتداخل الأزمنة والاشارات الى الشخصيات واسترجاع الماضى ، مما يتطلب من القارىء انتباها مركزا فى القراءة .

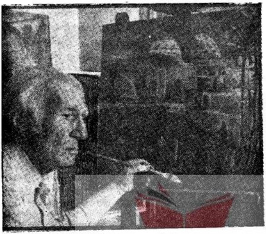

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

راغب عياد

آخر جيل الفنانين الرواد

■ بدر الدين أبو غازى

منظر طبيعى من مرحلة ايطاليا

راغب عياد
تواريخ وأحداث

● ولد بالقاهرة فى ١٠ مارس ١٨٩٢ .

● التحق بمدرسة الفنون الجميلة عند انشائها فى القاهرة سنة ١٩٠٨ .

● تولى بعد تخرجه تدريس الرسم بمدارس الأقباط الكبرى ، وقام بعدة زيارات الى فرنسا وايطاليا ، لاستكمال ثقافته الفنية قبل ايفاده الى الخارج .

● أوفد فى سنة ١٩٢٥ فى أول بعثة حكومية الى روما لمدة خمس سنوات ، حيث التحق بالمعهد العالى للفنون الجميلة ، وأقام عام ١٩٢٩ أول معرض خاص لأعماله .

● عين بعد عودته فى سنة ١٩٣٠ رئيسا لقسم الزخرفة فى كلية الفنون التطبيقية وتولى مهام تنظيم هذا القسم حتى عام ١٩٣٧ اذ عين أستاذا بكلية الفنون الجميلة ورئيسا للقسم الحر فيها .

● أقام عام ١٩٣٧ معرضا خاصا لأعماله ، وأعمال زوجته الفنانة أماكالى عياد فى مدينة روما ، قدمه الناقد الفنى المعروف باريبنى .

● تولى عدة مهام متحفية فانتدب لتنظيم المتحف القبطى عام ١٩٤١ ، وعين مديرا لمتحف الفن الحديث فى القاهرة عام ١٩٥٠ وتولى فى هذه الفترة انشاء جناح لأعمال المثال المصرى الأول مختار بمتحف الفن الحديث .

● ساهم فى تكوين الجماعات الفنية ، وفى لجان وزارة الثقافة ، وفى لجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، كما شارك فى كثير من المؤتمرات الدولية الفنية بالخارج .

● شارك فى معظم معارض «صالون القاهرة» الذى تنظمه جمعية محبى الفنون الجميلة منذ عام ١٩٢٤ على امتداد أكثر من نصف قرن ، وعرض فيه أهم أعماله ، هذا فضلا عن معارضه الخاصة التى تجاوزت الأربعين معرضا ومشاركاته فى المعارض العامة بمصر والخارج .

● يحتفظ متحف الفن الحديث بالقاهرة ، ومتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية بمجموعات من أعماله كما أن الكثير من أعماله ضمن المجموعات الخاصة والعامة فى مصر والخارج .

● منحته مصر جائزة الدولة التقديرية للفنون سنة ١٩٦٥ وهى أعلى تقدير لرجال الفنون .

● ومنحته ايطاليا وساما رفيعا تقديرا لفنه .

● كما منحته أكاديمية الفنون فى مصر الدكتوراه الفخرية .

● توفى فى ١٦ ديسمبر ١٩٨٢ .

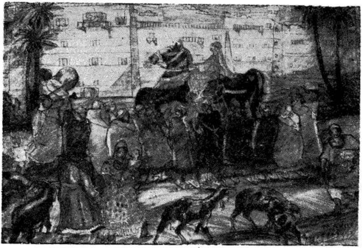

عادات شعبية (المطاهر)

فى السادس من شهر ديسمبر ، وعام١٩٨٢ يقترب من نهـايته ، اختتمت فى صمت حياة فنان من رواد الفن التشكيلى المعاصر ، صـحب الحركة الفنية فى مصر منذ بدايتها ، وكان علما من أعلام التجديد التى ارتفعت وظلت خفـاقة فى سمـاء التحولات التى مر بها فن التصوير المعاصر فى مصر .

وعندما اجتمعنا حول نعشه لوداعه فى الكنيسة التى تزدان بلوحاته الدينية كنا قلة من أهل الفن والثقافة ، لو احصيناها ما تجاوزت عشرة افراد من عارفى فضـله وأثره ، وهكذا كان الصـمت هو الذى شيعه ، وكان الصـمت هو الذى واراه التراب .

ولو أنصـفت موازين العـدل الثقافى لكانت جنازة راغب عيـاد جنازة رسـمية وثقافية ، يشارك فيها المسئولون ، ورجال الأدب والفنون ، وتتقدمها أكاليل الورود، وجموع من أساتذة الفنون وطلبتها اعترافا بفضل رائد أعطى حياته للفن ، وشـق طريقـا لحركات التجـديد فى الفن المصرى المعاصر .

غير أن الفنان التشكيلى مازال غريبا فى مصر ، أو هو على الأقل لا ينـال التقدير الجدير بعطائه العظيم فى حياتنا الثقافية ، ولعل أصحاب الفنون التشكيلية مسئولون بقدر كبير عن هذا الوضـع فهم أقل أهل الثقافة ابرازا لشـأن شوامخهم ، وأقلهم تكريما لهم ، ويكفى أن نقارن بين اهتمام الموسيقيين بروادهم ، واهتمام المسرحيين والشعراء والادباء بشـوامخهم ، وبين اعراض الفنـانين التشكيليين عن آبائهم وتنكرهم لهم ، لندرك أنهم قد هونوا بذلك من أنفسهم ، ومن دورهم الخطير فى حياتنا الثقافية ، فانصرف الاعلام عنهم ، وضاقت مجالات التعريف بهم رغم ما لهم من نقـابة وتجمعات فنية ، ورغم انتشـار كليات الفنون ومعاهدها فى مصر .

ولعلنا نستخلص العبرة مما اكتنف رحيـل آخر جيل الرواد فنراجع موقفنا .

لقد اختتم **براغب عياد** السفر الأول فى تاريخ الحـركة الفنيـة فى مصر ، **ذلك التاريـخ الذى تتحدد بدايته الرسمية بانشاء مدرسـة الفنون**

عادات شعبية

الجميلة عام ١٩٠٨ ، وهو العام الذى شهدانشاء الجامعة الأهلية فكان انشاؤهما علامة من علامات النهضة التى أخذ كبار المفكرين يبشرون بها ، ويدعون الى اقامة مؤسساتها ، وهكذا أخذ تعليم الفنون الجميلة مكانه الى جانب دراسة الفلسفة والأدب والعــلوم الانسانية فى الجامعــة الأهلية وتلاقى طلائع الفنانين مع جيل الكتاب والمنكوبين من الشباب الذين دخلوا الجامعة ، بحثا عن الفكر والمعرفة والثقافة ، خارج نطاق المدارس العليــا الحكومية التى كانت تعد طلبتها للوظائف العامة ·

تشابهت نشأة مدرســة الفنون والجامعة ، فكلتاهما ثمرة فكر ومناخ ثقافى أخذ يتفتح ·· كانت الدعوة الى الجامعة دعوة جهيرة مبــاشرة تبناها مصطفى كامل ، وسعد زغلول ، وقاســم أمين ، وأيدها لطفى السيد وغيره من المفكرين ، بينما هيأ لاقامة المدرسة احساس بحاجة المجتمع المصرى الى الفنون ودخولها حلبة الثقافة ، وقد تردد ذلك فى كلمات قاسم أمين ، وفى كتابات لطفى الســيد فى الجريدة عن الفنون الجميلة ، وأهمية التوازن بين العقــل والذوق فى حيــاة المصريين ، ولا سبيل الى ذلك ما لم « ندخل فى مجمع علومنا الفنون الجميلة » كما كان يقول ·

تحققت فكرة المدرسة بدعم من الأمير يوسف كمــال ، وبجهود بعض الفنانين الأجانب الذين وفدوا الى مصر ، وتحققت فكرة الجامعة بدعم من الزعماء والمفكرين ، وعن طريق اكتتاب ســاهم فيه المستنيرون من المصريين · وتلاقت مسيرة المؤسستين الثقافيتين فى حركة التنوير ·

توافد على المدرسة والجامعة شباب متطلع الى المعرفة والثقافة ، شاغله الاتصال بمعطياتها أكثر من اهتمامه بالشهادة والوظيفة ·

وتلاقى فى مدرســة الفنون الجميلة ـ عنــد افتتاحها ـ أفراد قدموا من الريف · أو تركوا الأزهر ، أو قطعوا مسيرتهم فى التعليم النظامى، يشدهم الى « الفنون الجميلة » انبهار بسحر الكلمة والمعنى ·

بين هؤلاء طالب تلقى دراسته الأولى بمدارس الفرير ، وشهد فى حى الخرنفش مراسم الفنانين الأجانب الذين اتخــذوا من هذا الحى فى مطلع القرن العشرين مركزا لنشاطهم الفنى · وهكذا طرق الطالب راغب حنــا عياد أبواب مدرســــة الفنــون الجميلة ، وفى ذهنــه تصــــور لدورها ومهمتها ·

ولم يكن راغب عياد ـ على حد قوله ـ طالبا متميزا لأنه كان من الرافضين للقواعد الفنيــة

http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى السوق

الضيقة المقيدة ، وكان من الكارهين للدراسات الأكاديمية البحتة كالرسم من التماثيل ، وتصوير الطبيعة الصامتة ، وفن تصوير الأشخاص وغير ذلك من مناهج تعليم الفنون فى مدارسها .

على أن الدراسة بمدرسة درب الجماميز (١) لم تكن كلها على هذا النهج ، فقد وجد الطلبة فى ناظرها المثال لابلانى ، وفى استاذ التصوير فورشيلا وأستاذ الزخرفة كولون فنانين محبين للطبيعة المصرية ، لفتوا أنظار تلاميذهم الى ملامح الوجوه ، وخصائص البيئة ، وخرجوا بهم من مراسم المدرسة الى أحياء القاهرة وضواحيها وأسواقها ، لتسجيل ما تراه العيون .

وما كادت أعوام الدراسة تنقضى فى مدرسة درب الجماميز حتى اصطدم الجيل الأول بمرارة الواقع الثقافى ، فبرغم ما كان فى السنوات التى سبقت الحرب العالمية الأولى من اشراقات تبشر بعصر النهضة ، فان مجال الفنان التشكيلى فى المجتمع كان مضيقا . شهدت هذه السنوات نشأة الجامعة ، وازدهار الشعر ، وظهور المسرح الغنائى ، والمسرح التراجيدى ، ولكنها لم تستقبل من نشاط الفن التشكيلى الوليد سوى مشاركات عامة فى الجنازات القومية ، والمظاهرات التى تحمل تماثيل لمصطفى كامل ومحمد فريد هى بدايات المثال الناشىء محمود مختار على طريق الفن القومى ، كما أنها لم تشهد من معارض فن هذا الجيل الناشىء سوى معرض أقيم عام ١٩١١ وجمع لوحات وتماثيل شكلت الملامح المصرية الأولى فى فن طلائع الخريجين .

كان فى الجيل الاول أفراد موهوبون تفاوتت قدراتهم وتباين قدرهم ، فمنهم من لم تسعفه الظروف أو لم تسعفه قدرته على مواصلة الطريق، ومنهم من صمد وواصل المسيرة وأسهم بقدر أو بآخر فى اقامة دعائم الحياة الفنية فى مصر ، وفى طليعة هؤلاء أربعة هم : المثال محمود مختار، والمصورون محمد حسن ، ويوسف كامل ، وراغب عياد ، ثم لحق بهم بعد عامين من تخرجهم المصور: أحمد صبرى .

وبعيدا عن بيئة مدرسة درب الجماميز كان اثنان من دارسى القانون وهواة الفن يترددان على مراسم الفنانين الأجانب فى الاسكندرية ثم يتوجه أولهما « محمد ناجى » الى فلورنسا لدراسة الفن على نفقته ، ويعود بعد ذلك فيستكمل اعداده الفنى فى « جيفرنى » بفرنسا عام ١٩١٨ ، قريبا من رائد الحركة الانطباعية كلود مونيه .. أما الثانى « محمود سعيد » فيدخر لدراسة الفن رحلات صيفية يلتحق خلالها بأكاديميات الفنون

(١) افتتحت مدرسة الفنون الجميلة فى مايو سنة ١٩٠٨ بحى درب الجماميز فى بيت مملوك للامير يوسف كمال .

الحرة ، ويتردد على المتاحف الكبرى ليستكمل اعداده الفنى فى ظل روائع الفن الفلامنكى ، وابداعات عصر النهضة الايطالية .

وشكل هؤلاء السبعة جيل الرواد فى حياتنا الفنية .

اختلف عطاء كل منهم ، وتنوع قيمة وقدرا ، ولكنهم على أى حال شقوا طريقا صعبا ، وعبروه وأقاموا دعائم حركتنا الفنية .

يكفى للحكم على دورهم الرائد العظيم أن تتأمل كلمات كتبتها الأديبة مى بمناسبة معرض الصور المصرى الذى أقيم عام ١٩١٩ ، برعاية مجموعة من السيدات المصريات بعد دخول المرأة الحياة العامة فى أعقاب الثورة .

كتبت مى هذه الكلمات :

« لقد أضيف الى الأحاديث المزعجة التى ملأت أندية القاهرة فى هذه الأيام موضوع لم تألفه بعد اجتماعاتنا ، موضوع الفنون الجميلة ، لم يكن فى هذا المعرض ثمة ما هو منقول عن الطبيعة مباشرة ، أو معبر عن فكرة شخصية سوى رسمين اثنين ، الا أن من الرسوم المنسوخة عن رسوم موضوعة وفوتوغرافيات ما كان حسنا » .

كانت بدايات الفن التشكيلى اذن تعتمد على المنقول ، ولا ترقى الى مستوى الابداع ، وكان الذوق العام يميل الى طراز الباروك والروكوكو الذى كان يحتل بيوت الأثرياء ، ومحلات بيع التحف ، واللوحات الفنية .

ولكن عودة محمود مختار من بعثته الى باريس عام ١٩٢٠ بنموذج تمثاله « نهضة مصر » الذى نال تقدير دوائر الفن فى الخارج ، ولقى من زعماء النهضة كل عون وتأييد ، هذه العودة أحدثت شيئا هو أقرب الى معجزات التحول ، اذ ارتبط المجتمع برؤية جديدة ، ومفهوم آخر للفن ورسالته غير مفهوم الزينة والتجميل ، مفهوم اقترنت فيه الثورية بالخط القومى ، والعودة الى منابع التراث ، والرؤية الابداعية للبيئة بكل مقوماتها ، وما أن اقيم **فى عام ١٩٢١ معرض** الربيع وهو ثالث المعارض التى أقامتها الجمعية المصرية للفنون الجميلة عام ١٩١٩ ، حتى لمسنا فى هذا المعرض تحولا اذ التقت فيه تماثيل « المصرية » « وابن البلد » لمختار . الى جانب مناظر من سوق السلاح لراغب عياد ، ولوحات محمد ناجى من وحى الأقصر ، ومشاهد من بوابات القاهرة ومساجدها ، ومناظر المربع ليوسف كامل ، وصور الفلاحين والمناظر الريفية لمحمد حسن .

وكان هذا التحول فى الموضوع عند البعض ، والتحول فى الموضوع والأسلوب معا عند القلة ، ايذانا بدعوة للذاتية الثقافية وخروجها عن القواعد التلقينية القائمة على النهج الأوربى .

وقد أخذت هذه الدعوة شكلا وتجمعا برئاسة مختار ، فكانت « جماعة الخيال » التى تأسست عام ١٩٢٧ من مجموعة من الفنانين والأدباء صاحبة الدعوة الى فن قومى أصيل .

وقد استطاع مختار أن يجد فى التراث جذورا لأسلوبه الفنى الذى تحقق فيه التوازن بين التراث والعصر ، فرسم الطريق للفن المعاصر ، وخلف لمصر ملحمة جمعت أطراف التعبير عن روحها . وتجاوز أثره عمره المحدود على هذه الأرض ، فقد كان أول الراحلين من الرواد قبل أن يكتمل ثلاثة وأربعين عاما .

أما ناجى ومحمود سعيد فقد ظهر فى لوحاتهما معالم المصرية فى التعبير الفنى . وكان ناجى مبشرا بالعودة الى اللوحات المصرية الجدارية القديمة ، ونموذجا لالتقاء المفهوم الشرقى مع المفهوم الغربى فى الفن . **وكان محمود سعيد مصريا بالمنطق المعمارى** المكين الذى يسود تكوين لوحاته ، **ومصريا بحساسيته البصرية فى اللون،** وبالنور الذى يشع من لوحاته وبرؤيته الخاصة للبيئة .

يتبقى بعد هذا دور المصورين الأربعة من طلائع خريجى مدرسة الفنون الجميلة فهم بعد استكمال عددهم الفنى فى الخارج قد عادوا الى مصر للاسهام فى حركتها الفنية ، كل بما هو ميسر له .

كلاهما بدأ حياته فى وظائف تدريس الرسم بالمدارس العامة ، وكلاهما شق طريقه وسط صعاب كثيرة حتى أتيح له أن يستكمل اعداده الفنى فى بعثة الفن الرسمية الأولى الى اوربا عام ١٩٢٩ بعد أن تعاونا معا على استكمال الدراسة فى الخارج . قبل أن تتقرر بعثات الفنون الحكومية فى عهد برلمان مصر الحديث عام ١٩٢٤ .

تلاقت أقدارهما فى الكثير ، واختلفت فى الكثير .

تلاقت فى مناصب الفن الرسمية ، وفى بعض النشاط الفنى العام ، وفى تقديم رؤية للبيئة المصرية ، وان اختلفت أساليب التناول وعندما بدأ لقاء المجتمع بأعمالهما من خلال معرض « صالون الربيع » فى أول العشرينات كتب الناقد الأجنبى « وودز » يقول :

« ان فخر صالون الربيع يتقاسمه يوسف كامل وراغب عياد »

أما يوسف كامل فقد جذبه الى الانطباعيين اعلاؤهم لعنصر النور ، فأخذ فى اعتناق وسائلهم ، والاقتراب من عوالمهم ، وقد ظل وفيا للنزعة الانطباعية ، وقدم من خلالها رؤيته لمصر الأسواق والضواحي والأحياء القديمة .

بينما خاض « راغب عياد » رحلة جريئة ، لاح وكأنه نسى تعاليم المدرسة ، فتحرر بأسلوبه من الزخرف ، والوشى ، والبهرجة الفنية ، وانتقل التصوير معه من الرومانسية والاكاديمية الى الواقعية التعبيرية الصريحة ، وحرر أسلوبه من بلاغة « المقامات » التقليدية ، ومن البديع التشكيلي ، فأدى لفن التصوير دورا يتشابه مع دور المازنى فى الأدب .

من صميم البيئة الشعبية البلدية ، بيئة احياء المدن استمد **راغب عياد** موضوعات فنه الأولى فى العشرينات ، هكذا تبدو فى لوحات العشرينات : « مدخن الجوزة » ، « ريا وسكينة » ، ومناظر من سوق السلاح .

ولقد تابع هذا الخط وأنجز لوحيات هى علامات طريق منها لوحات « الدلوكة » عام

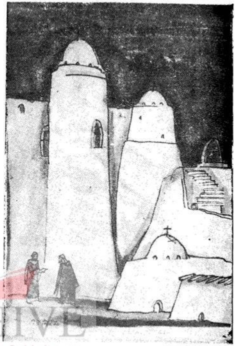

مرحلة الأديرة

أدى محمد حسن دورا فى نهضة الفن التطبيقى واحياته الى جانب أثره فيما خلفه من صور للأشخاص تحمل جماع خبرة سنادها الواقع والتمكن الأكاديمى ، وما خلفه من لوحات للريف المصرى وسكانه ، بلغ قدرة فائقة فى التعبير عنها فى اطار التزام «العمود الأكاديمى».

وقام أحمد صبرى بدور معلم الفن وأستاذ أجيال تتلمذت عليه فكان طرازا من أساتذة المراسم الذين أدركوا واجب الأستاذية ، وتفانوا فى أدائه .. ولكنه خلف أيضا تراثا فذا فى فن تصوير الأشخاص يرى فيه الأستاذ الكبير عباس العقاد : « الأثر الصالح الباقى فى فن التصوير » .

وبقى **يوسف كامل** وراغب عياد اللذان ارتبطت حياتهما وكانا آخر الراحلين من جيل الرواد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٩٣٧ التى بلغ فيها ذروة فى التكوين والتعبير، والتوفيق الرائع بين مجموعة من القيم اللونية أضفت على اللوحة بلاغة تشكيلية مميزة .

وكانت هذه اللوحة بداية لمجموعة لوحاته الزيتية التى امتدت حتى نهاية الأربعينات ، ومثلت الأسواق حول القاهرة ، والعمل فى الريف ، كما سجلت ببراعة واقتدار حيوانات البيئة .

وظل راغب عياد يرصد صور الحياة الشعبية بعين نافذة يستوقفه منهـا عنصر الحركة فى تشكلها ، وغناء الألوان فى اجتماعها .

تلك هى الحقبة التى تمثلها لوحته : « السوق الكبير » وهى لوحة حقق بهاد عياد أروع خصائصه اللونية ، وقدراته التعبيرية ، عن ملامح الناس ، وسمات الحركة ، وجرأة الخطوط والتكوين .

ولا يتوقف عياد طويلا عند ملامح الناس الداخلية ولكنه بخط هنا ، وخط هناك ، يسجل ملامح تكشفت عنها الحركة والنظرة والوصفة ، فيبلغ بهذا أحيانا التزاوج الرائع بين الشعر والسخرية .

ولقد خلدت لوحات عياد موالد مصر وأعيادها ، وتجمعات الناس حول ملاعب الخيل ، وحفلات الزار والرقص ، واستخدم للتعبير عنها الألوان المائية ، والأحبار والأقلام الملونة استخداما واعيا محملا بطاقات تعبيرية .

ومن العلامات التى نستطيع أن نضعها على طريق انتاجه ونحدد بها مراحله تلك الأعمال التى تلت مرحلة الأفراح والاعياد ، وركز فيها طاقته لتصوير « العمل » ذلك الموضوع الذى استحدث على رقعة من الابداع التشكيلى فى الستينات بخاصة ، وكان السد العالى من العناصر التى جعلت لموضوع « العمل » الصدارة عند كثير من التشكيليين . وكان عياد فى مقدمة هؤلاء . صور العمل فى الريف ، فى لوحاته التى استخدم فيها الاسلوب المصرى القديم فى الغاء البعد الثالث ، والاستعاضة عنه بالبناء الرأسى للتجمعات ، والمشاهد على سطح اللوحة

وكذلك كان « السد العالى » من محاور ابداعه الفنى .

غير أن عياد رجع بعد تجوال فى بيئة مصر ، وبين أحيائها الشعبية ، الى هدأة تأمل صامت وئيد حين عكف على تسجيل الأديرة المصرية فى لوحاته ، ولعل الطابع الدينى للموضوع أضفى على أعماله سكينة بعد حركة ، وصمتا بعد صخب ، كما أتاح له أن يعبر عن مبانى الأديرة فى أصفى أشكالها ، وفى جلال ألوانها البيضاء ، فجمع الجلال والشعر فى تلك الأعمال .

لقد ظل راغب عياد حتى أيامه الأخيرة حريصا على مواصلة ابداعه الفنى الذى مهد به الطريق لحركات التجديد التى خاضها تلاميذه ، وقدر له أن يشهدها ، ويتابع تحولاتها ، فهو من هؤلاء البنائين الذين نبتت فى أرضهم أزهار كثيرة ، وهو من الذين تفتحت رؤى جيلنا على ثورتهم الفنية .

واذا كان الجيل الذى تلا عياد قد اتجه الى باطن الحياة الشعبية ، وصور سحرها وأسرارها ، وتفنن فى التجديد فهو مدين له بتمهيد الطريق .

وسواء اقتربت اتجاهات التجديد من رؤيته ، أو بعدت عنها ، فانها مدينة له بفضل كبير ، مقياسه حالة الفنون فى بداية ظهوره ، ودوره فى اتجاه التمصير والتجديد .

سيظل دور راغب عياد ، فنانا ، وأستاذا ، ومسئولا عن بعض متاحفنا ، دورا مذكورا بما قام به من جهد كبير فى معاهد الفن ومتاحفه .

هو أستاذ من أساتذة هذا الجيل غير منازع .

وهو رائد من رواد الفن غير منازع .

وهو أحد أعلام حركة التجديد غير منازع .

عندما مات المصور الفرنسى الكبير **جورج براك** وقف « **اندرى مالرو** » وزير ثقافة فرنسا على قبره ، وقال :

« **ان براك يمثل جزءا من مجد فرنسا** »

وكذلك ، فان راغب عياد يمثل جزءا من مجد مصر .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٦١٤٥/١٩٨٣

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

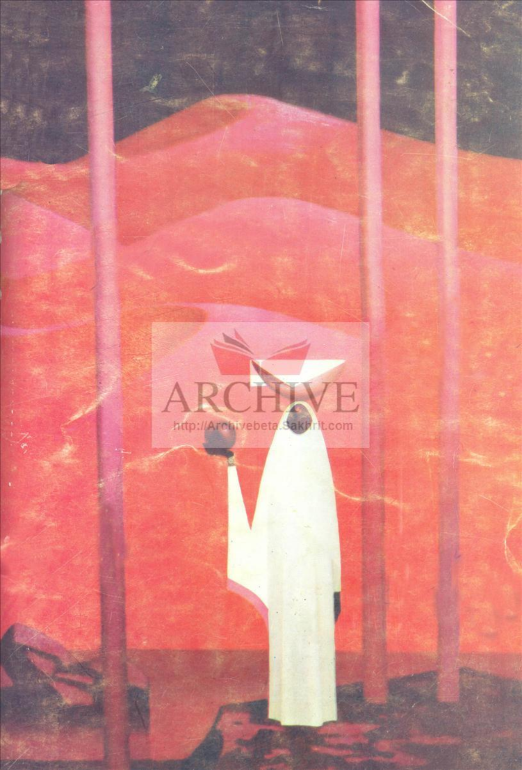

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com